الطبعة 2

الفريق

الشاذلي

العسكري الأبيض

مصطفى عبيد


الفريق
الشاذلى
العسكرى الأبيض

الفريق الشاذلي – العسكري الأبيض

مصطفي عبيد

■ الطبعة الأولى.......... يناير 2012

■ الطبعة الثانية.......... نوفمبر 2012

الغلاف: أحمد مراد

المراجعة اللغوية: محمد الكشك

رقم الإيداع: 19787/ 2011

الترقيم الدولي: 1 - 11 - 5153 - 977 - 978



3 شارع إدريس – أول شارع الوحدة – إمبابة – الجيزة

هاتف وفاكس: 33100951 (202)

محمول: 01147379183

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing



مصطفى عبيد



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

إهداء

إلى سافح دماء الحبر وقاتل الورق الأبيض

الدكتور محمد الجوّادي

باحثًا

ومفكرًا

وكاتبًا فريدًا.

مصطفى عبيد

مرسومٌ بإقالة خالد بن الوليد
شعر
"نزار قباني"

سرقوا منا الزمانَ العربي

سرقوا فاطمةَ الزهراء من بيت النبي

يا صلاحَ الدين:

باعوا النسخةَ الأولى من القرآن..

باعوا الحزنَ في عينيّ علي.

يا صلاح الدين:

باعوك،

وباعونا جميعًا في المزادِ العلني.

سرقوا منا الطموح العربي...

عزلوا خالد في أعقاب فتح الشام..

سمّوه سفيرًا في جنيف.

يلبس القبعة السوداء...

يستمتعُ بالسيجار

والكافيار...

يرغي بالفرنسية...

يمشي بين شقراواتِ أوروبا كديكٍ ورقي.

أتراهم

دجّنوا هذا الأميرَ القرشي؟

هكذا تُخصى البطولاتُ لدينا يا بُني.

سرقوا من طارق معطفَه الأندلسي.

سرقوا منه النياشين...

أقالوه من الجيش...

أحالوه إلى محكمة الأمن.

أدانوه بجرمِ النصر...

هل جاء زمانٌ

صار فيه النصرُ محظورًا علينا يا بُني؟

ثم هل جاء زمانٌ

يقفُ السيفُ به متهمًا

عندَ أبوابِ القضاءِ العسكري؟

ثم هل جاء زمانٌ

فيه نستقبلُ "إسرائيل" بالوردِ

وآلافِ الحمائم والنشيدِ الوطني؟

لم أعدْ أفهمُ شيئًا يا بُني.

لم أعدْ أفهمُ شيئًا يا بُني.

رهنوا الشمسَ لدى كلِ المرابين..

وباعوا بالملاليم القمر.

باعوا سيفَ عُمر..

شنقوا التاريخَ من رجليه

باعوا الخيلَ والكوفيةَ البيضاء

باعوا أنجمَ الليلِ وأوراقَ الشجر.

سرقوا الكحل من العين،

وباعوا في عيونِ البدوياتِ الحَور.

أجهضونا قبل أن نحبل..

أعطونا حبوبًا تمنعُ التاريخَ أن ينجبَ أولادًا

وأعطونا لقاحًا يمنعُ الشام أن تصبحَ بغدادًا

وأعطونا حبوبًا تمنعُ الجرحَ الفلسطيني

أن يصبحَ بستانَ نخيل.

وماريغوانا لقتلِ الخيل أو قتلِ الصهيل

وسقونا من شرابٍ

يجعلُ الإنسانَ من غيرِ مواقف

ثم أعطونا مفاتيحَ الولايات،

وسمونا ملوكًا للطوائف.

يا صلاح الدين:

هل تسمعُ تعليقَ الإذاعات؟

وهل تصغي إلى هذا البغاء العلني؟

أكلوا الطعم،

وبالوا فوقَ وجهِ العنفوانِ العربي.

ما الذي يجري على المسرح؟

من يجذبُ خيطانَ الستارِ المخملي؟

من هو الكاتب؟

لا ندري

من هو المخرج؟

لا ندري

ولا الجمهور يدري يا بُني

إنهم خلف الكواليس،

وهم يغتصبونَ امرأة تُدعى الوطن.

ويبيعونَ الخلاخيل برجليها

يبيعون البساتين بعينيها

يبيعون العصافير التي تسكنُ في نافذة النهدين

مذ بدء الزمن.

ويبيعون بكأسينِ من الويسكي أملاكَ الوطن.

سرقوا منا الزمانَ العربي

أطفئوا الجمر الذي يحرق صدرَ البدوي

علقوا لافتة البيع على كل الجبال

سلموا الحنطة والزيتون والليل وعطر البرتقال.

فهل جاء زمانٌ

صار فيه كلُ من يحمل صندوقَ سلاح

كالذي يحمل صندوقَ حشيش يا بُني؟

ثم هل جاء زمان

صار فيه الحرف ضد الشفتين؟

يا صلاح الدين:

هذا زمن الردة والمد الشعوبي القوي.

أحرقوا بيت أبي بكر،

وألقوا القبضَ في الليلِ على آل النبي.

فَ شريفات قريش

صِرنَ يغسلن صحون الأجنبي

يا صلاح الدين:

ماذا تنفعُ الكلمةُ في هذا الزمان الباطني؟

ولماذا نكتبُ الشعرَ وقد نسي العربُ الكلام العربي؟

طرقاتٌ قبلَ الولوج

الحمد لله الذي شاءت إرادته؛ أن تسطع شمس الحقيقة رغم محاولات الغش والتظليم، التي مارسها الحكام لتزوير التاريخ وتعظيم ما لم يعظم، وتحقير ما كان مميزًا.

عاش "سعد الشاذلي" مقاتلًا صلبًا لم ينحن، ولم يجبن، ولم يصفق، فشاء الله أن يرد له الاعتبار بعد أن سبقنا إلى دار الحق المطلق؛ فكرموه وخلّدوه واحتفلوا به، بينما طاردت اللعنات من ظلمه واضطهده وحاكمه زورًا وبهتانًا وألقى به في غياهب السجن.

في يوم الخميس 10 فبراير 2011؛ رفرفت عصافير الجنة فرحًا للقاء مجاهد عسكري قدم روحه وحياته ثمنًا لكرامة بلده (هو الفريق "سعد الشاذلي" رئيس أركان حرب القوات المسلحة في 6 أكتوبر 1973) قبل ساعاتٍ قليلة من إرغام الرئيس السابق "محمد حسني مبارك" على التخلي عن السلطة، بعد ثلاثة عقود من الفساد والطغيان.

لقد كان "الشاذلي" يترأس مبارك خلال حرب أكتوبر المجيدة، وعندما شاء القدر أن يعتلي المرؤوس حكم "مصر"؛ زوّر التاريخ ليبالغ في صناعة مجد شخصي، بزعم دورٍ محوري للضربة الجوية في النصر الخالد، مع تحقيرٍ وتهوينٍ وتشويهِ خطةِ المعركة الرئيسية التي وضعها وتابع تنفيذها رئيس الأركان وقتها ـ الفريق سعد الشاذلي.

كأن إرادة الله أبت أن يُنكَرَ الفضل، وتُسرق البطولات، ويُزيف الوعي؛ فقيدت عشرات

الأقلام لترد الاعتبار للبطل الحقيقي، ومفتاح الانتصار في آخر الحروب المصرية مع الصهيونية. وصدق قوله تعالى "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" الأنفال - الآية (30).

سنواتٌ وسنواتٌ والطبالون والزمارون والمتقوسون يرتلون المدائح عن حكمة البطل الأوحد (محمد حسني مبارك) صاحب الضربة الجوية ومحقق أعظم الانتصارات، وينشرون الأكاذيب والدعاية السوداء عن مهندس العبور والنصر الفريق سعد الشاذلي ، الذي لولا عبقريته ما كان النصر، ولولا حنكته ما تحقق المجد.

كانت الأوركسترا الإعلامية للرئيس مبارك لا ترى في أكتوبر سوى الضربة الجوية؛ رغم محدودية دورها بشهادة العسكريين والمؤرخين، وراحت تحجب أي حديث عن دور آخر، ومارست تجاهلًا متعمدًا تجاه باقي قادة القوات المسلحة؛ حتى ظنّ كثير من أبناء جيل مبارك أنه كان قائدًا عامًا للمعركة!

والخطير؛ أن الرئيس مبارك حاكم - ولأول مرة في تاريخ الحروب - بطل الحرب ومفتاح النصر، ولفق للفريق "سعد الشاذلي" أخطر اتهامٍ يمس الوطنية، هو الاتهام بالخيانة وإفشاء أسرارٍ عسكرية.

وتمت محاكمة الرجل غيابيًا، وصدر حكم بسجنه وهو في المنفى الاختياري بـ"الجزائر"، وعندما عاد إلى حضن الوطن قُبضَ عليه بالمطار وأُودع السجنَ حتى أنصفه القضاء.

كانت المواقف تجاه بطل الحرب مخجلة؛ فقد سُحبت منه نجمة الشرف، وأُلغي جوازُ سفره الدبلوماسي، ومُنعت مذكراته وكتاباته من النشر في "مصر"، وخضع للعزلة الإعلامية والسياسية حتى فاضت روحه بعد عمر قارب التسعين عامًا.

وكان كل ذلك - بدون شك - دافعًا كبيرًا لي؛ لأفتش وأبحث وأحقق حقيقة ما جرى لبطل مصريّ أصيل قد يختلف معه البعض؛ لكن هناك إجماعًا على وطنيته ونقائه وعبقريته العسكرية. من الجزائر بدأت الرحلة؛ فهناك صدرت مذكرات الرجل عن حرب أكتوبر، وعن فترة عمله بالسلك الدبلوماسي، وعن حرب الخليج 1991، وعكفتُ عليها دراسة وتحقيقًا وتأصيلًا؛ لأجد نفسي أمام شخصية فذة يندُر أن تتكرر.

وعندما بدأت الرحلة في هذا الكتاب؛ كان الفريق "الشاذلي" يرقد على سرير المرض رقدة النهاية الحتمية لبني آدم، وكان نظام مبارك على وشك الانهيار بعد أن أتخمه الفساد وساده الظلم، وكتبت في "جريدة الوفد" خلال الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر 2010 في عمودي الأسبوعي مقالة بعنوان "الشاذلي والتكريم الواجب" قلت فيها:

"يحتاج منا الفريق "سعد الشاذلي" أن نرد له اعتباره ونعيد إليه مجده الذي أُهدر بفضل الدساسين ومدمني النمائم. أبسط شيء أن نسأل عن الرجل الذي وضع خطط العبور في أكتوبر في العام 1973، وتحمل عبء الحرب لاستعادة الكرامة المصرية الضائعة. يرقد الفريق الشاذلي مريضًا منسيًا إلا من اتصالاتٍ قليلة من بعض أحبائه وأقربائه للسؤال عنه، وتجاهلٍ تامٍ من الإعلام الحكومي والخاص".

ثم قلت:

"شاء القدر أن يعيش العقل المدبر لحرب أكتوبر متهمًا منبوذًا مضطهدًا بفعل دسائس الكراهية وحقد المنافسين. في 12 ديسمبر 1973، وقبل مرور تسعة أسابيع على الحرب؛ قرر الرئيس "السادات" إعفاء "الشاذلي" من منصبه (رئيس أركان حرب القوات المسلحة) وتعيينه سفيرًا لـ"مصر" في "لندن"؛ لخلاف في وجهات النظر حول كيفية التعامل مع ثغرة الدفرسوار".

وقلت أيضًا:

"وأسهمت بعض الدسائس في الوقيعة بين الرجلين، واتهم "السادات" الفريق الشاذلي بالمسؤولية عن الثغرة، وفى أكتوبر في العام 1974؛ منح "السادات" الأوسمة والنياشين لقادة الحرب وتناسى "الشاذلي"، والغريب أن "سوريا" كرمته ومنحته أعلى النياشين في احتفالها بحرب تشرين".

وأضفتُ:

"لا كرامة لنبي في وطنه.. هكذا تعلمنا من التاريخ، ويكفى الرجل ما ذكره العالم حول عبقريته في إدارة حرب أكتوبر. قالت مجلة "كريستيان ساينس مونيتور": إن الفريق "الشاذلي" هو البطل وراء هجوم "السادات" الناجح في أكتوبر 1973، وكتبت "جولدا مائير" في مذكراتها أن "حرب أكتوبر" زلزلت "إسرائيل" ودفعتها إلى الهاوية، وقال "موشيه ديان": إن خطة "الشاذلي" جعلت من الصعب التنبؤ بقيام الحرب، أما نحن؛ فلم نقلْ ما يستحقه الرجل و لم نوفه حقه علينا وعلى الأجيال التي ولدت بعد عودة سيناء والنصر على "إسرائيل".

ثم ختمت مقالتي قائلًا:

"لقد منح الرئيس مبارك أوسمة ونياشين لفريق كرة القدم بعد فوزه ببطولة كأس إفريقيا، كما مدت الدولة يد التكريم لكثيرٍ من المبدعين والفنانين، ولا شك أن البطل الراقد على سرير المرض أكثر احتياجًا للمسة وفاء".

وفي الحقيقة؛ فإن النظام الطاغي الذي لم يكن يسمع سوى صوته وأصوات لاعقي أحذية "جمال وعلاء مبارك"، لم يعر الأمر اهتمامًا، ودام التجاهل وطال الظلم حتى حدثت الثورة الأعظم في يناير 2011؛ ليشهد الفريق "سعد الشاذلي" - قبيل وفاته بأيام - انتقام الله من الظالمين، ويرى سوء خاتمة غريمه وقاهره التي شاءها له أعدل العادلين.

إن هذا الكتاب محاولة متواضعة، من كاتب لا يمتلك التميز، إنما يمتلك الرغبة لإعادة اكتشاف "سعد الشاذلي" المواطن الوطني والإنسان العبقري، والكاتب والمحلل البارع في السياسة والعسكرية، وحسبي أن أقصد الحق، وأنحاز للحقيقة، وأجلي الزيف، وأضيء شمعة في ظلام العتمة، وأفتح نوافذ جديدة للمعرفة على هذه الشخصية النادرة.

وكلي أمل ألا يفهم القارئ أن هدف هذا الكتاب تبجيل وتعظيم الفريق الراحل، وإنما هو استجلاء للحقيقة وبعثٌ للمسكوت عنه، وتوثيقٌ للوقائع، فليست مهمة الكاتب أن يصفق ولا أن يطعن، وإنما هو عود كبريت مشتعل في حجرة مظلمة؛ يجلي المخفي، ويظهر المخبوء، والويل لكاتبٍ لا يمرض ولا يسهر ولا يتعب في البحث عن الحقيقة.

لقد كان عليّ أن أستحضر كل كلمة وحرف كتب عن الفريق الراحل، كما كان عليّ قراءة كل ما خَط الرجل بيديه، سواء كتبًا صدرت معظمها خارج "مصر"، أو مقالاتٍ نُشرت في بعض الصحف العربية والدوريات الاستراتيجية.

في الوقت ذاته؛ كنت مصرًا على الحصول على أكبر وأصدق شهادات عن الرجل؛ مما دفعني للسفر إلى قريته "شبراتنا - مركز بسيون - محافظة الغربية"؛ لاستحضار الرحلة من بدايتها، ومن هناك اتسعت الشهادات، وسافرت إلى عدة مدنٍ وقرى للقاء كل صاحب شهادة ورأي للاستفادة به.

كما كان لزامًا عليّ أن أراجع كثيرًا من الوقائع التاريخية التي رواها الرجل بحكم ما بلغه من معلومات، أو لكونه شاهدًا مباشرًا عليها؛ للتحقق منها خصوصًا ما يخص حرب أكتوبر التي تعرض تاريخها لإغفال أدوار وإبراز أدوار أخرى طبقًا لمجريات السياسة.

كذلك حرصت كل الحرص على محاولة استكشاف ملامح العبقرية في شخصية الفريق الراحل، وأهم الدروس التي من الممكن أن نتعلمها منه.

وبعد...

فإنني أتقدم بكل الشكر والعرفان لأساتذتي وزملائي.. مَن بنورهم أهتدي؛ لما أبدوه من توجيهات وملاحظات، وما قدموه من نصائح، وما أمدوني به من مراجع؛ ساعدتني كثيرًا في هذا العمل.

والشكر كذلك واجبٌ لأسرة الفريق "سعد الشاذلي" التي ما بخل أحد أفرادها بوقته وذكرياته وحكاياته وأوراقه؛ لإتمام هذا العمل المتواضع.. والله من قبل ومن بعد له الحمد والشكر أن رزقني الوقت والصحة والعافية أن أكتب هذه الأوراق لتقرأها في كتاب.

مصطفى عبيد

المقطم - يونيو 2011

الجذور والنشأة

(أعزُ بني الدنيا وأعلى ذوي العلا *** وأكرمُ مَن فوق التراب ولا فخرُ)

"أبو فراس الحمداني"

الإنسان ابن بيئته.. يتأثر بها ويكتسب منها كثيرًا من سماته وأفكاره.

والنسب من أهم المؤثرات في بناء الشخصية؛ سواء علميًا عن طريق الهندسة الوراثية، أو أدبيًا عن طريق التأثر ببطولات وحكايات الأجداد.

في "مصر" تظهر هذه الفكرة بشكلٍ واضح في بيوتات وعائلات عديدة، حيث تُعرف عائلة ما بأنها عائلة سياسة، وأخرى بأنها عائلة سلطة دينية، وثالثة ببطولات الحرب، لذا؛ لم يكن غريبًا أن توارثت بعض العائلات العمل السياسي لأكثر من قرن من الزمن؛ مثل: عائلة غالي القبطية، أو عائلة الأباظية، أو عائلة عبد النور.

ومن هنا؛ فإن العائلة والبيئة تضعان الأساسيات الأولى لبناء الشخصية، وهكذا بدأ الفريق "سعد الشاذلي" حياته الطويلة في مناخ ريفي بسيط، لكنه صاخب بأحداث سياسية وزخم حاد؛ بعد ثلاث سنوات فقط من ثورة 1919م العظيمة.

عائلة لها تاريخ

في قرية "شبراتنا" بمركز "بسيون" محافظة "الغربية"، وفي يوم عاصف من شهر أبريل من العام 1922م؛ وضعت "تفيدة الجوهري" الزوجة الثانية للحاج "الحسيني الشاذلي" - أحد ملاك الأراضي الزراعية - طفلًا جميلًا أطلق عليه اسم "سعد"، كان اسم "سعد" هو الاسم الأعظم في "مصر"؛ ففي الأعوام التالية على الثورة الشعبية التي جابت "مصر" من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها ضد احتلال عاتٍ، كان "سعد" هو القدوة والمثال والزعيم المحبوب.

كان رمزًا لكفاح شعب "مصر" ضد سطوة الاحتلال البريطاني وقهره وظلمه، حتى إن إحصائيات أسماء المواليد في تلك السنوات، تؤكد أن اسم "سعد" كان الأكثر انتشارًا."1"

وكان "سعد" هو الطفل الثاني لتلك الأم، بينما كان الابن الأصغر للحاج "الحسيني" الذي تزوج من قبل وأنجب تسعة أبناء هم: محمد، حامد، عبد الحكيم، الحسيني، عبد السلام، نظيمة، فريدة، وبسيمة، ومربسية، وقد اشتهر منهم الشيخ "محمد الحسيني" أحد علماء الأزهر الشريف.

أما الأخ الشقيق لسعد، فكان "مظهر الشاذلي"، وقد كان يعمل طيارًا مدنيًّا، وتوفي قبل عودة "الشاذلي" من الجزائر بشهور، وكانت لسعد شقيقتان من أمه، هما: "ألفت" حرم المهندس "عبد الرحمن الشاذلي" رئيس الهيئة الزراعية، و"نبيلة" حرم "زكريا شتات" الخبير التأميني.

كانت مدينة "بسيون" أهم مراكز محافظة الغربية، وتقع على ضفة "رشيد" من الناحية الشرقية، وتحدها من الشمال محافظة "كفر الشيخ"، ومن الجنوب مركز "كفر الزيات" و"طنطا"، ومن الشرق مركز "قطور"، وكلمة بسيون "2" كلمة هيروغليفية قديمة تعني "الحمام"، وكانت في العصر الفرعوني حاضرة لعاصمة "مصر" في عهد الأسرة الـ"26".

وظلت "بسيون" طريقًا لمرور التجارة بين القاهرة والإسكندرية طوال عصور الحكم الإسلامي. واشتهرت أكثر عندما أنشئ خط السكك الحديدية في العام 1870م، وأصبحت "كفر الزيات" هي مركز الإدارة، وصارت "بسيون" قرية كبيرة من توابع "كفر الزيات" منذ هذا التاريخ، ولم تستقل "بسيون" إداريًّا إلا على يد رجال "الوفد" في العام 1950م، في احتفال تاريخي حضره "فؤاد سراج الدين" وزير داخلية "الوفد".

أما "شبراتنا"؛ فهي قرية شهيرة تابعة لـ"بسيون"، ويقول أهلها إن ذلك الاسم يعنى الحديقة الغنّاء. وقد تعددت مسميات شبرا داخل مصر ؛ فهناك "شبرا، وشبرا الخيمة، وشبراخيت وغيرها، ومن الواضح أنها كانت إشارة للحدائق المنتشرة في ربوع "مصر" خلال عصر الفراعنة.

أبو الحسن الشاذلي

كانت عائلة "الشاذلي" من العائلات الميسورة الحال، وكان والده (كما تقول "زوجة "سعد الشاذلي" للمؤلف) "3" ينتمي لعائلة مرموقة لها وضعها الأدبي والاجتماعي داخل القرية؛ بسبب عمل كثير من أفرادها بالتجارة، وبسبب عظم تاريخها.

1ـ انظر ـ مصطفى أمين ـ الكتاب الممنوع. أسرار ثورة "مصر" ـ أخبار اليوم ج 1.
2ـ انظر مجموعة أبناء بسيون على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك"
3ـ محضر لقاء المؤلف بالسيدة زينات السحيمي زوجة الفريق "سعد الدين الشاذلي" ـ مارس 2011م.

إن عائلة "الشاذلي" تمتد إلى رجل دين شهير يدعى "سيدي أبو الحسن الشاذلي"، وهو أحد الأولياء الصالحين، الذي يمتد نسبه إلى "الحسن بن علي بن أبي طالب"، وهو ما يعني انتماءه للأشراف.

وقد ولد "أبو الحسن" في المغرب، وتعلم بمدينة "فاس"، ويبدو أن حسد منافسيه من أهل العلم قد دفعهم إلى اتهامه بالزندقة؛ فسافر إلى "مصر" وأكرمه أهلها واحتفوا به لانتسابه لبيت النبي - عليه الصلاة والسلام، و لم يكن غريبًا على بلد التسامح أن تعظّم وتبجّل الشيخ الكبير، وأن تولد له مدرسة دينية تحمل اسمه، وأن يكون من بين تلاميذه "السيد البدوي" الولي الشهير بطنطا.

المهم أن أبناء "أبي الحسن" تفرقوا في عدة محافظات في دلتا مصر مثل: الدقهلية، والشرقية، والغربية، والبحيرة، وتوارثت أبناء الأبناء صفات المروءة والكبرياء والشموخ والفخر بانتمائهم إلى بيت النبي - محمد عليه السلام، واستقر أحد الفروع بمحافظة الغربية وتحديدًا في مدينة "بسيون" وبعض قراها.

والحاصل (طبقًا لشهادة المستشار أحمد الشاذلي "4" أحد أبناء العائلة) أن الفرع الرئيس للشاذلية استقر في "شبراتنا" نفسها، ومنها خرج كثيرٌ من الفروع الصغيرة إلى القرى المجاورة؛ حتى إن إحدى تلك القرى سُميت باسم "الشاذلي" القبلية، وغيرها سُميت "الشاذلي" البحرية، وقد ذاعت شهرة العائلة؛ لارتباطها بعائلات كبيرة في "بسيون" عن طريق المصاهرة والنسب مثل عائلات: المراسي، حتاتة، والمسلماني.

والحقيقة أن كثيرًا من أبناء عائلة "الشاذلي" اهتموا بتتبع نسب العائلة، واكتشفوا أنهم أحد بيوت الأشراف واستخرج بعضهم شهادات بذلك، ومن هؤلاء كان "سعد الشاذلي" الذي استخرج بالفعل شهادة بانتسابه إلى الأشراف.

***

محبة العسكرية

وطبقًا لشهادة الفريق "سعد" نفسه إلى "أحمد منصور" في برنامج (شاهد على العصر)"5"، ثم إلى "أحمد المسلماني" في لقاءات خاصة كتب بعض أجزائها في "المصري اليوم"؛ "6" فإن

4- محضر لقاء المؤلف بالمستشار أحمد الشاذلي ابن عم الفريق "سعد الشاذلي" – القاهرة يونيو 2011م.
5- تسجيل تلفزيوني للقاء شاهد على العصر بالفريق الشاذلي - تقديم أحمد منصور - قناة الجزيرة 1993م.
6- سلسلة مقالات عن الشاذلي نشرت بجريدة "المصري اليوم" لأحمد المسلماني - أغسطس 2006م.

أسرة الشاذلي بـ"بسيون" اشتهرت بحب الحياة العسكرية ومشاركة كثير من أبنائها في حروب داخل وخارج "مصر"، وهو ما أكسب الأجيال التالية سمات الشجاعة، والإقدام، وحب المغامرة، وهي سمات سنراها ملازمة لـ"سعد الشاذلي" في مختلف مراحل حياته.

إن كثيرًا من المصادر ذكر أن "جد سعد الشاذلي" مات خلال قتاله بالسودان أيام "الخديو إسماعيل"، والغالب أن ذلك القائد هو "الشاذلي الشاذلي" والد "الحسيني" والد الفريق "سعد"، و لم أتمكن في ظل المصادر التاريخية المتاحة من التعرّف على تفاصيل حياة ذلك القائد.

ثم هناك إشارات عديدة إلى أن بعض ضباط العائلة حاربوا إلى جوار الزعيم "أحمد عرابي" خلال الثورة العرابية، وشاركوا بعدها في معركة "التل الكبير"، وهو ما يؤكد تشرُّبَ الأسرة فكرة التضحية والاستشهاد في سبيل الوطن.

لقد كانت عائلة "الشاذلي" عائلة ثرية جدًّا؛ إذ كان والده يمتلك نحو سبعين فدانًا، كما أن ابن عم الوالد "عبد السلام باشا الشاذلي" كان مديرًا لمديرية "البحيرة"، وهذا المنصب يوازي في الوقت الحالي محافظ البحيرة، ورغم أنه من أبناء "شبراتنا" نفسها؛ فإنه عمل في "البحيرة" حتى وصل إلى أعلى المناصب في تلك المحافظة المجاورة.

والحقيقة أن بعض المصادر الخاصة بمحافظة "البحيرة" تشير إلى أنه تولّى منصب مدير المديرية بدءًا من العام 1929م حتى منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي، وفي عهده أنشئ مبنى الأوبرا بـ"دمنهور"، ومبنى المجلس البلدي ومديرية الأمن، ويعد أحد من لهم الفضل في نقل مدينة "دمنهور" نقلة حضارية رائعة، كما عمل "عبد السلام باشا" بعد ذلك وزيرًا للأوقاف، وعُين فيما بعد عضوًا بمجلس الشيوخ.

وقد وجدتُ بالمصادفة مقالة نادرة للمفكر الإسلامي "سيد قطب" في العام 1951م، نشرتها جريدة "الاشتراكية" لسان حال "مصر الفتاة" في ذلك الوقت؛ يهاجم فيها "عبد السلام باشا الشاذلي" تحت عنوان "لا تتمسحوا بالإسلام" يقول فيها:

"إن عبد السلام باشا الشاذلي وقف في مجلس الشيوخ يحذر من صراع الطبقات ويستشهد بالإسلام، وأنا أقول له لا تتمسحوا بالإسلام"، ثم واصل "سيد قطب" تهكمه على الرأسماليين وأصحاب الأطيان ووصفهم بالجشع والانتهازية، والتساؤل إن كان ذلك من الإسلام أم لا؟!"[7]

7- جريدة "الاشتراكية" - عدد 9 ديسمبر 1951م.

المهم أن الفتى "سعد الشاذلي" تعلّم في بيت يقدر النجاح ويهتم بالعلم وبتحصيله، وهو ما جعل والده حريصًا على تعليمه هو وإخوته، كذلك كانت تلك السنوات غاصة بالأحداث السياسية التاريخية خلال حكومة "الوفد" الأولى، ثم حادث مقتل السير "لي ستاك" وما تبعه من كشف للأبطال السريين لثورة 1919م وبطولاتهم وعملياتهم الفدائية.

أيام المدرسة

في تلك الأيام؛ شب "سعد" حالمًا بدورٍ وطني كبيرٍ في خدمة بلده، مثله مثل أجداده ومثل رموز العائلة الذين كانت حكاياتهم متداولةً بين الناس.

وكان والده قد ألحقه بـ"مدرسة بسيون الابتدائية"، وكانت تبعد عن قريته "شبراتنا" نحو ستة كيلومترات كان يمشيها على قدميه مع أصدقائه وإخوته.

إنه يقول عن ذلك:

"فكانت الحياة سهلة ومريحة، وإن كانت لا تخلو من المشاق؛ فكنا مثلًا نطلع كل يوم للذهاب إلى المدرسة، وكانت تبدأ في الشتاء المدرسة الساعة الثامنة، وكان الجرس يضرب الثامنة إلا ربع، وكان الطريق يستغرق منا ساعة كاملة، ما يعني أننا نخرج مبكرًا في الساعة السادسة والنصف ونتحرك من القرية، وكان ذلك الموعد قبل أن تشرق الشمس، وفي بعض الأوقات كانت الأمطار تهطل علينا، وكان البرد شديدًا، ولكن على الرغم من كل هذا؛ فكانت الحياة سهلة ومريحة، وبعد ما حصلت على الشهادة الابتدائية؛ أخذ والدي لنا بيتًا في "مصر" "8" حتى نكمل دراستنا"."9"

ولا شك أن منظر الحقول الخضراء المتسعة بلا حدود، التي تكاد تميز الريف المصري تبعث في القلوب بساطة وطيبة ومحبة للآخرين، وربما أن صفة البساطة التي لازمت "سعد الشاذلي" في مختلف مراحل حياته؛ قد اكتسبها بفضل السنوات الأولى التي قضاها في الريف.

وعندما قرر الأب الميسور الحال استكمال تعليم أبنائه؛ اشترى شقة جديدة في "القاهرة"، انتقلت إليها الأم مع أطفالها لمتابعة دراستهم في ظل وجود أخوالهم من عائلة "الجوهري" في القاهرة، ومع ذلك الانتقال إلى العاصمة؛ فإن صلة العائلة بالقرية لم تنقطع؛ فكانوا يقضون الإجازات الصيفية هناك.

8ـ كان من المعتاد أن يطلق أهل الريف على القاهرة كلمة "مصر"، وما زالت هذه العادة سارية عند كثير منهم حتى الآن.

9ـ حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر ـ تقديم أحمد منصور ـ قناة الجزيرة ـ أكتوبر 1993م.

في تلك الأثناء؛ بدأ الصبي الصغير يستمع إلى حوارات غريبة وحكايات مثيرة عن الاحتلال وسنينه ومآسيه، ولا شك أن "سعد" كان يتطلع مثل كثير من أبناء جيله إلى حلم استقلال "مصر" وخروج الغاصبين الأجانب منها، في الوقت نفسه كان والده الحاج "الحسيني الشاذلي" أحد أبرز محترفي الشطرنج، ولم يكن أحد يمكنه أن يتغلب عليه - على حد وصف أبناء العائلة، ويبدو أن الطفل الصغير "سعد" ورث حب لعبة الشطرنج من والده، ويبدو أيضًا أنها أهّلت ذهنه وفكره للعلوم العسكرية.

***

ميراث الحكمة

إن والد سعد الشاذلي كان ممن يتسمون بالحكمة والعقلية الراجحة بين أبناء القرية، وكان كثيرٌ من الأهالي يقصدونه للتوسط للحكم في الخلافات وللصلح بين العائلات، وكانت للرجل كلمة مسموعة عند الكبير والصغير - كما يقول "عبيد العقاد" أحد أبناء العائلة."10"

في العام 1936م وقّعت "مصر" معاهدة استقلال جزئي مع بريطانيا، حصلت بمقتضاها على خروج جزئي لقوات الاحتلال من كثير من المدن والمحافظات، وتم إعلان استقلال "مصر" بصورة مرحلية، وقتها اختلف الناس حول جدوى المعاهدة، وثارت حوارات عديدة داخل المجتمع الريفي والحضري على حد سواء في هذا الشأن، وكان "سعد الدين" يتعلم أول دروس السياسة؛ وهو أن هناك اختلافًا في الآراء، وأن ذلك جائز وممكن، وأن الحوار مهم وضروري في جميع الشئون العامة وفي الشأن السياسي بشكل خاص.

كما تعلم الطالب "سعد الدين الشاذلي" وقتها أن عليه أن يصمت عندما يتكلم الكبار، وأن عليه أن يحترمهم ويقدرهم ولا يرد عليهم لو كانت آراؤه تختلف مع آرائهم.

10- محضر اجتماع المؤلف بالأستاذ "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - الغربية - يونيه 2011م.

البِذلة الخضراء

(الإنجازات العظيمة من صنع رجال عظماء..
وهؤلاء عظماء لأنهم عقدوا العزم على أن يكونوا عظماء)

"تشارلز دي جال"

للعسكرية المصرية تاريخ مشرف.

حكايات الانتصار والفداء محفورة في التاريخ منذ معارك "أحمس" و"رمسيس الثاني" و"تحتمس الثالث".. كانت "مصر" بحكم موقعها المتميز على موعد دائم مع الغزاة من فرس وإغريق وبطالمة ورومان وحيثيين؛ حيث هاجمت الجيوش الغازية "مصر" من كل اتجاه، وخاض المصريون حروبًا مشرفة دفاعًا عن أرضهم وأرض أجدادهم؛ ليرسموا مثالًا يُحتذى للتضحية والفداء.

وعندما جاء الإسلام أوصى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ باتخاذ جند كثيف في "مصر"؛ لأنها خير أجناد الأرض، ومن وقتها.. و"مصر" هي حائط الصد الأول ضد الغزاة من جميع الأقطار. لقد قادت "مصر" النصر على الصليبيين بعد سنوات طويلة من الهزيمة والانكسار في "حطين"، ومنها خرج "صلاح الدين" ليقيم واحدة من كبرى الممالك الإسلامية ويحرر مدينة "القدس" من أيدي الصليبيين، كما أوقفت "مصر" خطر التتار الذي اجتاح العالم بسرعة مذهلة ودموية مقيتة، ونجح حاكم مصر "قطز" في قهر التتار في "عين جالوت".

وكثيرًا ما دافعت مصر عن الشرق، وحققت بحكم موقعها الجغرافي حماية حقيقية لجيرانها من أخطار الغزاة وتوسعات الهيمنة للإمبراطوريات القاهرة.

الجيش الحديث

وفي القرن التاسع عشر الميلادي، وتحديدًا في العام 1820م؛ ولدت العسكرية المصرية من جديد على يد رجلٍ طامحٍ مغامرٍ لديه مشروع حضاري وهو "محمد علي باشا". تأسس الجيش

المصري الحديث لأول مرة بعد فترة طويلة ظل فيها الجيش حكرًا على غير المصريين؛ خصوصًا المماليك؛ إذ بدأ "محمد علي" ببناء أول مدرسة حربية تقوم بإعداد الجنود والضباط على الطراز الحديث بمدينة "أسوان"، وأنشأ العديد من الترسانات لتمويل الجيش بأحدث المعدات كالبنادق والمدافع والبارود، واستعان وقتها بالقائد الفرنسي الشهير "سليمان باشا" الفرنساوي.

يقول الأستاذ الرافعي:

"جاء الكولونيل سيف "سليمان" إلى مصر، فلما أنس منه "محمد علي باشا" الكفاءة لتحقيق مشروعه؛ أنفذه سنة 1920م إلى "أسوان" لتكوين النواة الأولى من الجيش، وبدأ العمل بأن قدّم إليه 500 من خاصة مماليكه؛ ليدربهم على أن يكونوا ضباطًا على النظام الحديث، وطلب من رجاله أن يحذوا حذوه ويقدموا من عندهم من المماليك؛ فاجتمع لدى "الكولونيل سيف" نحو ألف شخص أخذ يدربهم على فنون الحرب لمدة ثلاث سنوات؛ فصاروا نواة الجيش النظامي؛ إذ تكونت منهم الطائفة الأولى من الضباط "."1"

ثم يذكر الأستاذ الرافعي أن "محمد علي" استبعد تجنيد "الأتراك" و"الأرناؤوط"؛ لما جبلوا عليه من الغدر والنفور من النظام، وحاول تجنيد السودانيين؛ لكن محاولاته باءت بالفشل، و لم يجد بدًّا من تجنيد المصريين وهو ما لاقى نجاحًا غير متوقع.

يقول المؤرخ الشهير:

"ولا يغيبنّ أن تجربة تجنيد المصريين في عهد "محمد علي" وما برهن عليه الجيش المصري من الكفاية والنظام؛ يدل على مبلغ الاستعداد لدى الأمة المصرية لأن تكون أمة حربية، ويكفي أن نتأمل ما كان عليه الجيش من الفوضى والتأخر حينما كان مؤلفًا من "الأرناؤوط" وغيرهم من أخلاط السلطنة العثمانية"."2"

وفيما بعد؛ أنشأ "محمد علي" عدة مدارس حربية بخلاف "مدرسة أسوان"، مثل: "مدرسة قصر العيني" للتعليم الحربي في العام 1825م، و"مدرسة المشاة بالخانكة"، و"مدرسة الفرسان بالجيزة"، و"مدرسة المدفعية بطرة"، ثم "مدرسة أركان حرب بالخانكة"، و"المدرسة البحرية في الإسكندرية".

وخلال سنوات قليلة صار "الجيش المصري" أحد أقوى جيوش الشرق؛ حيث غزا عدة مناطق وحقق انتصارات عظيمة في الشام والحجاز ثم في تركيا نفسها.

1ـ عبد الرحمن الرافعي ـ عصر محمد علي ـ هيئة الكتاب ـ الطبعة السادسة 2001م ـ ص 327.
2ـ المصدر السابق ص ص 331، 332.

كما وجه "محمد علي باشا" حملاته إلى "جزيرة رودس" و"اليونان"، ونجح في بناء إمبراطورية قوية امتدت من الحدود التركية السورية شرقًا.. حتى السودان جنوبًا، ولم تلبث أن تآمرت الدول الأوروبية لوقف نمو الدولة الصاعدة، وتم توقيع "اتفاقية "لندن" التي حددت قوة "الجيش المصري".

فيما بعد؛ أطل "الجيش المصري" مرة أخرى في ثورة كرامة عظيمة، نفذها بها الضباط المصريون ضد ظلم وتجبر "الخديو توفيق"، ولمواجهة التدخل الأجنبي في شئون مصر، والتف الشعب متلاحمًا مع الجيش في مواجهة خطر الاحتلال، وحارب المصريون بشرف وشجاعة وبسالة، لكن سموم الخيانة أصابت الجيش العظيم بالهزيمة، وبدأ الاحتلال البريطاني.

كان الزعيم "أحمد عرابي" سليل أسرة متوسطة، أتيح لها إلحاق ابنها بالجيش عندما فتح "سعيد باشا" والي مصر الجيش لأبناء الفلاحين للدخول ضباطًا، وفي شهور قليلة؛ أصبح "عرابي" زعيمًا شعبيًا كبيرًا حتى بعد محاكمته ونفيه، وظل اسمه حاضرًا في ضمير الوطنيين المخلصين رمزًا لتضحية العسكرية المصرية في سبيل الحرية.

***

من يومها و"الجيش المصري" أمل كل باحث عن دور لخدمة الوطن، وكل طامح في شرف التضحية والفداء من أجل رفعة "مصر".

لقد كان الأمل يراود كثيرًا من الوطنيين لخدمة الوطن بأي شكل ممكن؛ فلجأ البعض إلى احتراف السياسة، ولجأ آخرون الكتابة في الصحف العالمية عن "قضية مصر"، وآثر آخرون النبوغ في العلوم، وألقى آخرون أنفسهم في خدمة "الجيش المصري".

ومن بين هؤلاء كان "سعد الشاذلي" الذي كانت أسرته لها تاريخ عسكري، انقطع فترة طويلة بعد الاحتلال، وعاد مرة أخرى عندما دخل أحد أفراد الأسرة الجيش في العام 1933م، وكان هذا الشخص هو اللواء "عبد المنعم الشاذلي"، الذي وصل إلى منصب رئيس نادي "هيليوبوليس"، ومن أبنائه السفير "محمد عبد المنعم الشاذلي" سفير مصر في الإمارات ثم في السودان، وقد التقاه المؤلف عدة مرات قبل خروجه على المعاش خلال مهمات صحافية في السودان.

لقد عادت الأسرة إلى العسكرية مرة أخرى من خلال الكلية الحربية، التي دخلها كثير من أبناء الأسر المتوسطة خلال الثلاثينيات من القرن الماضي.

الالتحاق بالحربية

ولا شك أن ذلك كان دافعًا لباقي أبناء الأسرة للتفكير في الدخول إلى الكلية ذاتها بعد ذلك، يقول "سعد الدين الشاذلي" عن ذلك: "الطموح أساسًا في أن تخدم بلدك؛ كان الدافع الأساسي لانضمامي للكلية الحربية.. في ذلك الوقت؛ كانت مصر تغلي في الثلاثينيات بالحركات الوطنية، وهو ما دفعني دفعًا لذلك"."3"

في فبراير 1939م؛ التحق "سعد الدين" بالكلية الحربية، وكان عمره أقل من 17 عامًا وربما كان أصغر أفراد دفعته سنًا، ولا يتذكر "الشاذلي" مواقف معينة خلال فترة دراسته التي لم تزد على عام ونصف العام، ربما كان ما يتذكره "الشاذلي" "4" أن مصروفات الدراسة كانت في حدود 60 جنيهًا في السنة، وهو مبلغ كبير جدًا في ذلك الوقت؛ لم يمكن لجميع الأسر تحمله.

وفي العام 1940م؛ تخرج "سعد الدين" ملازمًا أول في الجيش المصري وكان عمره 18 عامًا، في تلك الأثناء وطبقًا لشهادته في برنامج "شاهد على العصر"؛ كان يهتم كثيرًا بقراءة مقالات "أحمد حسين"، و"إحسان عبد القدوس".

كان "أحمد حسين" سياسيًا مثيرًا للجدل، ولد في مارس 1911م؛ ودرس الحقوق، وأسس "جمعية مصر الفتاة"؛ ليصيغ أفكارًا وطنية متطرفة، تضمنتها عبارات شهيرة أطلقها، كان من بينها "أحبوا وطنكم حتى الجنون"، و"لا تشتري إلا من مصري"، وقد تضمنت أفكاره الأولى جنوحًا شديدًا نحو القومية المصرية، ثم تحول بعد ذلك لتبني مشروع إسلامي مقارب لمشروع "الإخوان المسلمين"، ثم تحول مرة أخرى إلى الاشتراكية الحادة، وأصدر جريدة حملت ذلك الاسم."5"

أما "إحسان عبد القدوس"؛ فكان كاتبًا سياسيًا يجيد الكتابة البسيطة الجذابة، وهو ابن السيدة "فاطمة اليوسف" الممثلة وصاحبة "مجلة روز اليوسف"، وكان مشهورًا بجرأته وحدته، ولفتت كتاباته السياسية معظم المهتمين بالشأن العام في تلك الأوقات."6"

وربما يلاحظ القارئ أن الكاتبين نفسيهما هما من لفتا نظر البكباشي "جمال عبد الناصر" في السنوات نفسها، كما يشير "خالد محيي الدين" ـ كذلك ـ في مذكراته إلى إعجابه الشديد

3ـ حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر ـ تقديم أحمد منصور – الجزيرة 1993م.

4ـ المصدر السابق نفسه.

5ـ عبد العزيز الدسوقي ـ أحمد حسين ـ منشورات حزب العمل.

6ـ اشتهر "إحسان عبد القدوس" بتحقيقات صحافية جريئة أجراها حول الأسلحة الفاسدة في حرب 1948م،

في ذلك الوقت بـ"أحمد حسين"، وإذا كان "عبد الناصر" قد انضم إلى "مصر الفتاة" فترة من الزمن؛ إعجابًا منه بـ"أحمد حسين" وجرأته؛ فإن "سعد الدين الشاذلي" لم يفعل، وقد برر ذلك بأن عمره كان وقتها 18 سنة وكان لا يريد أن ينضم إلى حزب ما أو تيار معين؛ لأنه اختار العسكرية، والعسكرية تعني الانضباط.

وفي تصوري.. أن ذلك المبرر صحيح؛ لأن أحدًا من جيل "سعد الشاذلي" لم ينضم إلى أي من الأحزاب القائمة حتى الجيل السابق له وهو جيل "عبد الناصر"؛ فقد كان بعيدًا عن الحياة السياسية الفعلية، ومن انضم وقتها إلى تيار ما اقتصر انضمامه إما على "جماعة الإخوان المسلمين" التي لم تكن حزبًا سياسيًّا، وإما على حركة "حدتو" الشيوعية، كذلك ينبغي الإشارة إلى أن انضمام "عبد الناصر" إلى "مصر الفتاة" كان خلال فترة دراسته الثانوية؛ أي قبل التحاقه بـ"الكلية الحربية".

لكن لا يعني ذلك أن الحركات الوطنية السياسية كانت بعيدة عن الجيش خلال تلك الفترة، إن الدكتور "عصام الدين جلال" يشير في مذكراته التي حملت عنوان "الشارع الوطني" إلى أن العام 1940م؛ كان عام اختراق الحركة الوطنية صفوف الجيش، بعد تعيين الفريق "عزيز المصري" رئيسًا عامًّا لأركان "الجيش المصري"، وكان وقتها بطلًا عسكريًّا معروفًا، حارب في "ليبيا" وقاتل إلى جوار الجيش العثماني، وقد التف حوله شباب العسكرية المصرية."7"

***

التخرج

ويمكن الإشارة إلى أن نظام التعليم بالكلية الحربية وقتها؛ لم يكن يتيح للمتخرج تحصيل علوم عسكرية مميزة؛ لأن الإنجليز كانوا يسيطرون على كثير من أمور الجيش، الذي لم يكن جيشًا بمعناه الحقيقي، وهو ما اتضح فيما بعد خلال حرب 1948م. وربما لذلك السبب؛ لا توجد ذكريات حقيقية لـ"سعد الشاذلي" خلال فترة الدراسة بالكلية الحربية، كما لا توجد معلومات واضحة عن السنوات الثلاث التي خدم فيها ملازمًا أول في "الجيش المصري" خلال الفترة من 1940 إلى 1943م.

7ـ د. عصام الدين جلال ـ الشارع الوطني الجزء الأول ـ ميريت للنشر 2008م ـ ص ص 83:85.

تخرج "سعد الشاذلي" في الكلية الحربية في العام 1940م؛ وهو العام نفسه الذي تخرج فيه "خالد محيي الدين"، إلا أننا لا نجد ذكرًا له في مذكرات "محيي الدين" التي حملت اسم "والآن أتكلم"، وصدرت قبل عدة سنوات، كما ضمت الدفعة بعض الضباط السياسيين من أمثال: "مجدي حسنين"، و"ثروت عكاشة"، كذلك فقد تخرج في الدفعة نفسها "مصطفى حافظ" قائد الفدائيين المصريين ضد "إسرائيل"، الذي قتلته الاستخبارات الإسرائيلية بطرد ناسف في خمسينيات القرن الماضي.

إن ما يشير إليه الرجل في شهادته على العصر؛ يؤكد أنه اختير في العام 1943م؛ للخدمة في الحرس الملكي وأن ذلك لم يكن شيئًا سيئًا، وإنما كان من يخدم في ذلك المكان يشعر براحة؛ لأن خدمته مميزة في القصر الملكي، وبهذا فإنه لا يحتك بشكل مباشر بالحياة العسكرية.

يقول أحمد المسلماني:

"سألت الفريق الشاذلي عن هذه المعادلة الصعبة؛ أن يكون ضابطًا في الحرس الملكي في ظل الاحتلال.. قال: كانت بريطانيا تحتل مصر، وكان الإنجليز موجودين، لكن سيطرتهم على الكلية الحربية لم تكن كاملة، وكانت هناك إمكانية للضباط الوطنيين أن يعملوا في حدود المتاح، وكان هذا المتاح موجودًا باستمرار، أما خدمتي في الحرس الملكي؛ فلم تكن موضع اعتراض كامل في نفوسنا، فقد كان الملك هو الرمز السياسي للبلاد، ولم نكن نعرف الكثير عن فساده أو ولائه للإنجليز، وبعض الذي سمعناه فيما بعد كان يحوي درجة من المبالغة، وبدورنا فقد كنا ضباطًا نعادي الإنجليز، كنا ننتقدهم ونهاجمهم بدون أن نواجه بتحقيقات قاسية، وكان هناك من الضباط من يتجاوز النقد والهجوم إلى المشاركة مع التنظيمات السياسية في قتل وملاحقة الضباط الإنجليز"."8"

ولا شك أن سنوات الخدمة في الحرس الملكي كانت من أهم السنوات التي صقلت التجربة السياسية لـ"سعد الدين الشاذلي"؛ لأنها جعلته يفتح عينيه على كيفية إدارة أمور الحكم، ودسائس القصر، وصراع الملك، والأحزاب السياسية، وألاعيب السيرك السياسي في مصر.

8- أحمد المسلماني - المصري اليوم - 22 أغسطس 2006م.

الحرس الملكي لا الحرس الحديدي

(لولا جهلي بما تعرفونه.. ما عرفت ما تجهلونه)

"توفيق الحكيم"

استخدم مهاجمو الفريق "سعد الشاذلي" قصة خدمته في الحرس الملكي مدخلًا للهجوم عليه.. وحاول البعض المبالغة في هذا الشأن؛ فأشار إلى علاقات ربطت "الشاذلي" بالتنظيم الملكي السري الذي أنشئ في الأربعينيات من القرن الماضي، وعرف باسم "الحرس الحديدي".

حقيقة التنظيم

والحقيقة أن دراسة موضوعية لذلك التنظيم منذ نشأته؛ تؤكد أن "الشاذلي" لم تكن له أي علاقة بذلك التنظيم لا من قريبٍ ولا من بعيد؛ بل إنه يذكر في شهادته على العصر؛ أنه لم يكن له أي علاقة بتنظيم "الحرس الحديدي"، وأنه لم يعلم بأمره إلا بعد قيام ثورة 23 يوليو.

وعندما سأله "أحمد منصور" إن كان الانتماء إلى هذا التنظيم أمرًا مشرفًا أم لا؟ أجاب بوضوح أنه عندما كان يصفّى ويُقتل الجنود الإنجليز؛ فإن ذلك أمر مشرف، لكن عندما يُصفّى خصوم "الملك" السياسيين؛ فإنه لا يشرف."1"

وسأله "أحمد منصور" إن كان ذلك حدث؛ فأجاب أنه حدث بالفعل مع "أمين عثمان" وزير الخارجية في حكومة "الوفد" في العام 1946م، وفي تصوره أن "عثمان" كان مكروهًا من جانب الجماعات الوطنية المختلفة؛ لأنه قال إن على مصر وإنجلترا الزواج زواج كاثوليكي.

وأتصور أن تحقيق كل ما نشر عن "الحرس الحديدي"؛ يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن "الشاذلي" لم يكن يومًا عضوًا به.

1- حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر - تقديم أحمد منصور - الجزيرة 1993م.

إن أحدًا لا يعرف على وجه اليقين كيف جاءت فكرة تأسيس "الحرس الحديدي"، وإن كان "رجب البنا" يشير إلى أن طارح فكرة تأسيس تنظيم مسلح للدفاع عن "الملك" كان "عمر فتحي" قائد الحرس الملكي، وقد جاءته الفكرة اقتباسًا من تنظيم "الحرس الفولاذي" الذي أنشأه "الملك كارول" ملك رومانيا في ذلك الوقت؛ لحمايته والنيل من خصومه، ويشير البعض إلى أن الفكرة من بنات أفكار "أحمد حسنين باشا" رئيس الديوان الملكي، وإن لم يستند ذلك الافتراض لأي وقائع تاريخية تؤكد صحته."2"

المهم أن إنشاء التنظيم تم خلال الأسابيع الأولى من العام 1944م على الأرجح، وقد ذكر "سيد جاد" أحد أعضاء التنظيم في مذكراته التي حملت اسم "الحرس الحديدي"؛ أن "الملك فاروق" فاتح "يوسف رشاد" في إنشاء تنظيم من الضباط المخلصين للملك، وأن "رشاد" أجاب بالترحيب، وأن الملك أخبره بأن ذلك الإخلاص سيقودهم إلى حد القتل، وأنه وافق بعد أن استشار أصدقاءه الضباط الذين يسهرون عنده بشكل منتظم."3"

أسماء الأعضاء

وكان لـ"يوسف رشاد" في ذلك الوقت ستة أصدقاء يدعوهم أحيانًا للسهر في منزله؛ أربعة منهم من صغار ضباط الجيش، والخامس ضابط مطافئ، وكانت أعمارهم تتراوح بين الخامسة والعشرين والثلاثين وهم: "مصطفى كمال صدقي"، و"خالد "فوزي"، و"حسن فهمي عبد المجيد"، و"إبراهيم فتحي" و"فهمي شوقي"، وكانت أجهزة الملك تتابع يوسف رشاد وأصدقاءه، وترفع للملك تقريرًا عنهم، وتحدث "سيد جاد" مع "يوسف رشاد" عنهم؛ فقال عن "مصطفى كمال صدقي" إنه شيوعي تروتسكي، مندفع، متهور، يعمل ضابطًا في أحد الألوية في الصحراء، ويريد أن يتم نقله إلى القاهرة، أما الضباط الثلاثة الآخرون؛ فأحدهم يريد أن يلتحق بالمخابرات العسكرية، وآخر بسلاح الفرسان، والثالث يريد الالتحاق بالحرس الملكي، وضابط المطافئ يريد رتبة ملازم أول، وهكذا تجمعت الأهداف بين الملك وأولئك الضباط عندما كلفهم باغتيال "مصطفى النحاس" زعيم الوفد و"أمين عثمان" وزير الخارجية في حكومة الوفد."4"

2- سلسلة مقالات "فاروق ملكًا وليس ملاكًا" - الكاتب رجب البنا - الموقع الإلكتروني للكاتب رجب البنا.
3- سيد جاد - الحرس الحديدي - الدار المصرية اللبنانية - 1994م.
4- المصدر السابق.

ويواصل "سيد جاد" حكايته قائلًا:

"في المرة الأولى؛ أحضر أفراد الحرس الحديدي سيارة سوداء من المطافئ، وانطلقوا نحو منزل "النحاس باشا"، وعندما شاهدهم الحرس يقتربون أطلقوا عليهم النار؛ وأصيب عدد من أفراد الحرس وفرّ الجناة، وفي المساء؛ علم فاروق أن المحاولة فشلت؛ فاتصل بـ"يوسف رشاد" ووبخه، وبعد أيام قليلة من الحادث أحضر أعضاء "الحرس الحديدي" سيارة أخرى حملوها بالديناميت، وقادها "مصطفى كمال صدقي" وتركوها أمام منزل "النحاس باشا"؛ فانفجرت بعد ربع ساعة، وأصابت شظاياها غرفة نوم الرجل، وشاء الله ألا يصاب بأذى، حتى إن العامة اعتبروا "النحاس" وقتها مشمولًا بحماية الله، وقال "عبد الناصر" فيما بعد لـ"أنور "السادات" إنه يعتقد أن "النحاس" ولي من أولياء الله، وأن من يظلمه لا يُنصر."5"

***

وثيقة خطيرة

وتتحدث إحدى الوثائق البريطانية عن التنظيم، مؤكدة أنه كان تنظيمًا مأجورًا لـ"الملك"، وتكشف برقية سرية من السفير البريطاني السير "مايلز لامبسون" بعضًا من جوانب ذلك التنظيم؛ يقول نصها:

مهم:

هناك أنباءٌ عن مؤامرة يقوم بها عشرون ضابطًا من الجيش لتصفية "النحاس" ومجلس وزرائه، وقد سمع رئيس البعثة العسكرية البريطانية - في مصر - بذلك من وزير الدفاع المصري "حمدي سيف النصر" (باشا)، الذي ذكر للجنرال "ستون" أن رئيس أركان الحرب "إبراهيم عطا الله" (باشا) - وهو رجل القصر - ضالع في العملية، وقال وزير الدفاع (الوفدي)؛ إنه تقرر اتخاذ إجراءات عنيفة، أولها نقل عدد من وحدات الجيش المصري إلى خارج العاصمة. ويقول الجنرال "ستون" "إنني طلبت من وزير الدفاع المصري عن طريق رئيس البعثة العسكرية البريطانية؛ أهمية التصرف بحذر في الموضوع، وضرورة تحديد المسؤولية حتى يمكن حصر المسألة في أضيق نطاق، مع ضرورة التحقق الكامل من الوقائع والأشخاص"."6"

5- المصدر السابق.

6- الوثيقة محفوظة تحت رقم 878 (تاريخ أبريل - 1944م) الوثائق البريطانية.

وقد ذكر الكاتب "سليمان الحكيم" في كتابه "تحية كاريوكا بين الرقص والسياسة"؛ أن تنظيم الحرس الحديدي انهار بسبب الكراهية الشديدة التي نشأت بين "الملك فاروق" و"مصطفى كمال صدقي". لقد كانت العلاقة بين "الملك فاروق" و"ناهد رشاد" علاقة من نوع خاص؛ إذ كانت مقربة جدًّا منه بعد طلاقه لـ"الملكة فريدة"، وقد شعر المَلك بالغيرة الشديدة عندما علم أن "مصطفى كمال صدقي" على علاقة حب بـ"ناهد رشاد".

وربما يؤكد ذلك ما ذكره "علي حسانين" أحد أعضاء التنظيم؛ من أن أعضاء التنظيم طلبوا من "مصطفى كمال صدقي" قطع علاقته بـ"ناهد رشاد" حتى لا يتعرض لانتقام زوجها "يوسف رشاد" أو "الملك فاروق"، ويبدو أن "الملك فاروق" قد أنشأ تنظيمًا آخر من ضباط الشرطة بقيادة "الأميرلاي محمد وصفي"، وعهد إليه تصفية "مصطفى كمال"، وتربص كلٌّ منهما بالآخر، إلا أن قيام ثورة يوليو أوقف شلالات الدم بينهما، وما يذكر أن تنظيم "وصفي" الذي قتل "حسن البنا" في فبراير 1949م؛ نجح أيضًا في اغتيال "عبد القادر طه" أحد أعضاء الحرس الحديدي في ذلك الوقت."7"

وقد أُعلن عن وفاة التنظيم بعد قيام "ثورة يوليو"، وكان مما ساء "سيد جاد"؛ أن معظم أفراد التنظيم تغيروا وتلونوا لمواكبة الأحداث الجديدة.

حيث انقلب كل من: "حسن عبد المجيد" و"خالد "فوزي" إلى دعاة للثورة، وعُيّنا فيما بعد سفيرين لمصر بالخارج.

وأصبح "مصطفى كمال صدقي" مناصرًا متطرفًا للثورة، ثم انقلب عليها، وحُوكم بتهمة محاولة قلب نظام الحكم، وتزوج تحية كاريوكا ثم مات في إحدى المصحات النفسية.

وانزوى "يوسف حبيب" فريدًا منعزلًا عن الجميع.

أما "سيد جاد" نفسه؛ فقبع في السجن عدة شهور، وعندما خرج حاول كشف حقيقة التنظيم والدفاع عنه من خلال كتاب سمّاه "شريد العاصفة"؛ إلا أن "زكريا محيي الدين" وزير الداخلية - في ذلك الوقت – منع الكتاب، ثم عمل بالمحاماة فترة وجيزة، ولم يحقق نجاحًا، واعتزل السياسة."8"

7- سليمان الحكيم - تحية كاريوكا بين الرقص والسياسة - دار الخيال – 2000م.

8- سيد جاد - المصدر السابق.

والثابت هنا – طبقًا لشهادة "سيد جاد" الرجل الأخطر في الحرس الحديدي، وطبقًا للوثائق البريطانية التي تناولت قصة التنظيم، وإشارات الباحثين المتخصصين في تلك الحقبة – أن "سعد الدين الشاذلي" بريء تمامًا من أية علاقة بالتنظيم السري طوال بقائه في الحرس الملكي لمدة 7 سنوات انتهت في العام 1950م.

نكبة فلسطين

(أعداؤنا هم أكثر من يحفزنا)

"كاثرين هيبرن"

انتهت "الحرب العالمية الثانية" ومعظم دول العالم العربي تحت الاحتلال.

شارك "سعد الشاذلي" في الحرب العالمية ضابطًا صغيرًا ضمن صفوف الجيش الإنجليزي في مواجهة جيوش الألمان. كانت فترة خصبة؛ لكنه لم يكن يشعر بأهمية القتال؛ لأنه لم تكن لديه عقيدة تدفعه للقتال ضمن جيش دولة محتلة لبلاده.

وكان الاحتلال البريطاني جاثمًا فوق "العراق" و"اليمن" و"الخليج"، وكانت "فرنسا" تسيطر على "المغرب" و"الجزائر" و"تونس" و"سوريا" و"لبنان"، وكانت "مصر" أسيرة تكابد نير احتلالٍ قاسٍ دام أكثر من ستين عامًا؛ تحت دعوى الحماية البريطانية.. وكانت الشعوب العربية جميعها تفتش عن لحظات ضوء في شلالات من العتمة المزعجة.

مذابح فلسطين

في تلك الأثناء؛ بدأت العصابات اليهودية المهاجرة إلى "فلسطين" في ارتكاب مذابح ترويع وإرهابٍ ضد السكان العرب؛ لإجبارهم على بيع أراضيهم أو الهجرة منها، ويومًا بعد يومٍ؛ تزايد الوجود الصهيوني في "فلسطين" تحت مزاعم مختلفة؛ كان من بينها تعويض المضطهدين والفارين من المحارق النازية.

وكان "وعد بلفور" الصادر عن "حكومة بريطانيا" في العقد الثاني من القرن العشرين؛ يعد اليهود بإقامة وطنٍ لهم داخل "فلسطين"، وهو الوعد الشهير الذي اشتهر بوعد "من لا يملك أعطى لمن لا يستحق".

وفي نوفمبر من العام 1947م؛ صدر قرار الأمم المتحدة لتقسيم "فلسطين" بين العرب واليهود، وهو ما اعتبره السكان الأصليون اعتداءً واضحًا على حقهم التاريخي في دولة فلسطين.

وثارت الشوارع العربية؛ معلنة المساندة ومطالبة بالدعم والجهاد لصد خطر الصهاينة والقضاء على حركتهم العنصرية، وانصاع الملوك والزعماء العرب لتلك المطالب؛ طمعًا في شعبية، وأملًا في انتصار يضفي على عروشهم قداسة، ويمنحهم سندًا للاستمرار في الحكم.

ويذكر "محمد حسنين هيكل" أن جميع الزعماء العرب لم يكن في نية أحدهم المشاركة بشكل مباشر في الحرب، وأن بعض هؤلاء الزعماء طلب رشوة من الوكالات اليهودية لعدم المشاركة "1"، وهو قولٌ لا يعنينا منه سوى استخلاص أن الدول العربية التي شاركت في الحرب – وتمثلت في الجيش المصري، والجيش الأردني، والجيش العراقي، والكتائب السودانية، واليمنية، والسورية؛ كانت تشارك في المعركة بشكل استعراضي فقط، وأنه لم تكن هناك خططٌ واضحةٌ ولا هدفٌ محدد.

في هذه الظروف؛ كانت أنظار الشاب ذي السابعة والعشرين عامًا تتجه نحو المعركة.. إذ كانت فكرة الجهاد تسيطر عليه وتدفعه دفعًا لاستعجال المشاركة والقتال ضد الخطر الصهيوني، الذي سيعاديه طوال حياته ويرفض التصالح معه حتى رحيله عن دنيانا.

لقد اتخذت الدول العربية قرارًا بالقتال في مايو 1948م؛ بعد مزايداتٍ ومداولاتٍ انتقلت بجيوش قوامها نحو 20 ألف شخصٍ عربي لمقاتلة 60 ألف صهيوني."2"

***

التطوع للقتال

ويحكي "سعد الشاذلي" أنه ذهب إلى العقيد "حلمي عبد الرحمن" قائد الحرس الملكي في ذلك الوقت؛ وطلب إليه العودة إلى صفوف القوات المسلحة للمشاركة في الحرب، إلا أن "عبد الرحمن" غضب منه وسخر من فكرة الابتعاد عن الراحة في القصر الملكي وأمره بالانصراف.

1ـ انظر ـ محمد حسنين هيكل ـ الجيوش والعروش ـ الطبعة الرابعة – دار الشروق – 1999م.

2ـ هذه الأرقام طبقًا لتقديرات هيكل في كتابه العروش والجيوش، أما تقديرات "سعد الشاذلي" فكانت 50 ألف عربي يواجه مئة ألف صهيوني، وقد أخذنا بتقديرات هيكل؛ لأنها اعتمدت على أوراق رسمية تمثلت في يوميات الجيش المصري، والجلسات السرية لمجلس الشيوخ في مصر وبعض الوثائق البريطانية.

ومن الجائز أن قائده اعتبره مجنونًا؛ لأنه يريد ترك حياة القصور والتشريفات الملكية، ويلقي بنفسه في أتون معركة حامية على أرض خارج الوطن؛ لكن يبدو أن القدر كان على استعداد لتلبية رغبة "سعد الشاذلي"؛ إذ لم تمض سوى ساعات قليلة حتى قرر "الملك فاروق" المشاركة بفرقة من فرق الحرس الملكي في الحرب؛ نوعًا من الاستعراض السياسي، وكانت المشاركة من قبل أفراد الحرس الملكي قائمة على التطوع، وهو ما أسعد الرجل الباحث عن الجهاد، وبالفعل تطوع الملازم أول "سعد الدين الشاذلي" للقتال في "فلسطين"."3"

ويقول "سعد الشاذلي" عن تلك المعركة في مذكراته التي نشر بعضًا منها أحمد المسلماني "4":

"وقرر "الملك" أن تشارك سرية من الحرس في الحرب على أن تُشكل من المتطوعين، وكنت واحدًا من الذين تطوعوا ضمن هذه السرية الملكية للقتال، وكان من حظي أنني شاركت في معركتين مهمتين هما (معركة دير زنين) و(معركة ميت سليم)".

دراسات نظرية

ثم يقوّم "الشاذلي" الحرب فيقول:

"لم تكن رتبتي وقتها تسمح لي بالإلمام بالموقف العام، وما أراه أن هذه الحرب قد كشفت لنا مدى ضعف التعليم العسكري وتدهور عمليات القتال، كانت دراستنا في الكلية الحربية نظرية، كنا نخوض القتال علي الورق، إننا لم نر القنبلة اليدوية في أثناء دراستنا قط، وحين تخرجنا وجدنا أنفسنا في جيوش لا تحوي غير البندقية والرشاش.. وفوق ذلك كان الاحتلال جاثمًا على صدورنا.

وكان الوضع الدولي في صالح "إسرائيل"؛ حيث أيدت "موسكو" و"واشنطن" قيام "إسرائيل" منذ اللحظات الأولى، وكانتا هما مصدري التسليح في العالم، من هنا جاء اللجوء إلى السوق السوداء، وهي سوق تبيع مخلفات السلاح بغير ضمان، وكان من بين ذلك ما سُمّيت بالأسلحة الفاسدة، وقد كانت الأسلحة الفاسدة موجودة ولكنها محدودة للغاية، ولا يمكن أبدًا تحميلها مسار الحرب، وبعض الأخطاء التي وقعت لم تكنْ نتيجة فساد الأسلحة، ولكن نتيجة

---

3. حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر - تقديم أحمد منصور - الجزيرة 1993م.
4. أحمد المسلماني - مقالات عن "سعد الشاذلي" - المصري اليوم – أغسطس، سبتمبر 2006م.

عدم المعرفة العسكرية؛ مثل القنابل التي كنا نفاجأ بانفجارها بعد ثلاث ثوانٍ لا بعد سبع ثوانٍ كما كنا نعرف، وكنا نعتقد حينئذ أن القنبلة فاسدة، وهذا غير صحيح.

أما على صعيد القوات؛ فقد كان أقصى ما حشدته الدول العربية من أربعين إلى خمسين ألف فرد، بينما حشدت "إسرائيل" مئة ألفٍ في جبهتها بينهم لواءٌ يهوديٌّ قاتل إلى جانب الحلفاء في "الحرب العالمية الثانية!"5"

ويضيف "الشاذلي" قائلًا:

"كان العرب لديهم سلاح طيران، و لم تكن لدى "إسرائيل" طائرة واحدة، ولكن حين قام الطيران العربي بقصف "إسرائيل" تصدى له الطيران البريطاني، وأسقط خمس طائراتٍ مصرية، لقد كانت بريطانيا هي الضامن الأساسي لعدم انتصار العرب في حرب 1948م."6"

***

أسباب الهزيمة

ويعرض "سعد الشاذلي" أسبابًا مشابهة لهزيمة الجيوش العربية في "معركة 1948م"، في حواره الشهير مع "أحمد منصور" فيقول:

"القيادات السياسية والقيادات العسكرية الكبيرة لدينا أفهمونا أن اليهود ما هم إلا عصابات، وبمجرد دخول الجيوش العربية فإنهم سيتلاشون، وفي الحقيقة ظهر أن العملية عكس ذلك تمامًا؛ إذ اتضح أن اليهود مدرَّبون تدريبًا عاليًا، ولديهم أسلحة متفوقة، ولديهم عمل ونظام؛ فكان يتم تصفيح اللوري بحيث لا نستطيع تدميره، وكنا نطلق عليه رصاصاتنا فلا تخترقه"."7"

ولا يرضى الفريق "سعد الشاذلي" أن يعتبرها هزيمة، وإنما هي نصف انتصار ونصف هزيمة، ومنطقه في ذلك أن مشاركة الجيوش العربية في المعركة؛ حمى قرى فلسطينية كثيرة من الإبادة، وأنه لولا مشاركة الجيش العربي لما بقي كثيرٌ من الأراضي الفلسطينية بعيدًا عن أيدي الصهاينة، وهي الأراضي التي احتلت بعد ذلك في يونيو 1967م.

5ـ المصدر السابق نفسه.

6ـ المصدر السابق نفسه.

7ـ حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر ـ تقديم أحمد منصور ـ الجزيرة 1993م "بتصرف".

إن المؤرخ العسكري الشهير اللواء "جمال حماد" يقول عن "حرب 1948م":

"لقد كانت "حرب 1948" أولى معارك الصراع العربي/ الإسرائيلي، وقد دخلتها القوات العربية بدون تدريب جيد أو إعداد مسبق، ولعبت السياسة البريطانية المتواطئة مع الصهيونية دورًا مهمًّا في إلحاق الهزيمة بالعرب؛ فلم تكد تقترب الجيوش العربية من "تل أبيب"؛ حتى تم الضغط على الحكومات العربية الخاضعة لسطوة الاستعمار للموافقة على وقف القتال وقبول الهدنة الأولى في 11 يونيو، ثم الثانية في 18 يوليو 1948م، وتحت ستار الهدنة تدفقت الأسلحة والمعدات والإمدادات العسكرية والمساعدات المادية على "إسرائيل"، في الوقت الذي تم فيه حرمان العرب من أية إمدادات.

وفي تلك الأثناء خرقت "إسرائيل" الهدنة، وفاجأت القواتِ العربية بالهجوم، واحتلت القسم الأكبر من الأراضي الفلسطينية.

وقد اتضح أن "إسرائيل" قد أسست دولتها على مساحة من الأراضي تتجاوز كثيرًا المساحة التي خصصت للدولة اليهودية وفقًا لقرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين، الذي صدر في نوفمبر 1947م، و لم يبق للعرب بعد انتهاء الحرب سوى أراضي الضفة الغربية لـ(نهر الأردن) و(قطاع غزة)."8"

والخلاصة؛ أن الجيوش العربية عرفت الهزيمة في أول مواجهة عسكرية تجاه دولة "إسرائيل"، ووقتها أيقن "سعد الشاذلي" أن الحروب علم وخبرات وتدريب، وليست مجرد رغبة وحماس للقتال والتضحية، كما تعلّم "الشاذلي" الدرس الأول، وهو عدم التقليل من شأن العدو؛ لأن تهوين حجم المشكلة كثيرًا ما يصيب من يواجهها بالفشل والصدمة.

كذلك كان درس "الجيش العربي الموحد" درسًا بالغ الأهمية؛ إذ ينبغي الاعتراف بأن الدول العربية مجتمعة لو أخلصت النية؛ فإنها غالبًا ما يمكنها مواجهة العدو مهما كانت قوته، ومهما كانت عدته، وهو ما سوف يتكرر بعد ذلك بشكلٍ مثاليٍ في "حرب أكتوبر 1973م".

8- جمال حماد - المعارك الحربية على الجبهة المصرية - 1973م- الزهراء للإعلام - ط 2 - ص 9 و10.

وثمة شيء آخر التصق بشخصية "سعد الشاذلي" بعد هذه المعركة العنيفة، ألا وهو العداء الدائم للدولة الصهيونية، التي أُسِّست على اغتصاب حقوق الأبرياء، واستخدمت التصفيات العرقية والإرهاب في ترويع وتهجير السكان الأصليين.

إنها نموذج واضح وصريح للغدر والشر والقهر ورفض الآخر والسطو على ممتلكات الغير، ومن هنا؛ فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يوجد طريق للتسوية السلمية بين العرب و"إسرائيل"، وربما كان ذلك أحد أسباب خلاف الشاذلي الشديد مع زميل العسكرية "أنور السادات"، بعد نحو ثلاثين عامًا.

23 يوليو.. انقلاب العسكر

(إن كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية،
ولا يستقر عند نهاية..
إنه طريقٌ بعيدُ المراحل، كلما بلغ الشعب منه مرحلة..
لاحت أمامه في المنى مراحل)

"جمال عبد الناصر"

يلاحظ الدارس والمتابع لشخصية الفريق "سعد الشاذلي"؛ افتتانه الشديد بشخصية "جمال عبد الناصر"، ودفاعه المستميت عن جميع أفعاله.

ففي حواراته التليفزيونية مع "أحمد منصور" في العام 1993م يبدو "الشاذلي" في موقف صعب للدفاع عن شخصية تاريخية، تركت أخطاء لا تُعد ولا تُحصى، وفي حوار المذكرات مع "أحمد المسلماني" يقدم الشاذلي عشرات المبررات الواهية لخطايا عبد الناصر.

ناصريّ الهوى

والقصد هنا أن محبة "الشاذلي" لـ"جمال عبد الناصر" هي محبة حقيقية وخالصة، وربما أختلف كثيرًا مع أستاذي الباحث الموسوعي الدكتور "محمد الجوّادي" في مدى حب "الشاذلي" لـ" ناصر"، إن الدكتور "محمد الجوّادي" يعتقد أن "الشاذلي" لم يكن يحب "عبد الناصر"، وإنما كانت محبته الحقيقية للسادات حتى اختلافهما يوم 16 أكتوبر 1973م، ويرى أن شخصية "الشاذلي" تتشابه أكثر مع شخصية "السادات" في العبقرية والاجتهاد الشخصي واللجوء إلى الحلول غير التقليدية، وفعل ما هو غير متوقع."1"

وفي ظني أن ذلك غير ممكن؛ لأن جميع تصريحات وآراء الفريق "الشاذلي" الواردة في حواراته أو كتبه أو مذكراته؛ تقدم عشرات التبريرات لهزائم وخطايا وانكسارات "عبد الناصر"، في الوقت الذي تتبنى خطًّا مغايرًا لجميع أفعال ومواقف سلفه الرئيس "السادات"، كما يتضح

1ـ محضر اجتماع للمؤلف مع الدكتور "محمد الجوّادي" الباحث السياسي ـ شهر مارس 2011م.

كذلك أن الفريق "الشاذلي" يتبنى خطابًا أكثر تشابهًا مع الخطاب الناصري؛ خصوصًا فيما يتعلق بوحدة الصف العربي، والدفاع العربي المشترك، ورفض السياسات الأمريكية، والدفاع عن السوفييت.

وأتصور أن علاقة "الشاذلي" بـ"عبد الناصر" قبل ثورة 23 يوليو كانت وراء تلك المحبة التي نمت وتواصلت، ولم تنقطع بسبب ابتعاد "الشاذلي" عن السياسة، التي تعد الملعب الرئيس لصراعات "جمال عبد الناصر" مع أصدقائه وزملائه في الجيش وتنظيم "الضباط الأحرار".

لقد آثر "سعد الشاذلي" الابتعاد تمامًا عن السياسة، وهو ما قد يعجب "عبد الناصر" ويرضي طموحه في عدم مزاحمة أو منافسة أي شخص له، ويدفعه إلى التواصل معه، وقد كانت العلاقة الودية التي ربطت "جمال عبد الناصر" بـ"الشاذلي" قبيل الثورة؛ بسبب الجيرة في منطقة العباسية؛ سببًا كافيًا كي يبادله "الشاذلي" المحبة، ويدافع عن تاريخه بعد رحيله، وهو نوع من الوفاء النادر الذي قد يطغى على الموضوعية التاريخية.

علاقات قديمة

عمومًا؛ فإن السيدة "زينات متولي السحيمي" زوجة "سعد الشاذلي"؛ تذكر أن علاقة زوجها بـ"عبد الناصر" بدأت بعد "حرب فلسطين"، وكان كلاهما يقطن بالعباسية، وكانت العلاقات تمتد إلى الأسرتين؛ إذ كانتا تتزاوران بشكلٍ متكرر.

وتقول في شهادتها للمؤلف: إن الشاذلي أحب "عبد الناصر" حبًا شديدًا، وآمن بوطنيته، ومن يومها وهو لا يقبل أي انتقادٍ له.. ودائمًا ما توجد لديه ردود واضحة على مهاجمي "عبد الناصر"."2"

وتتضح تلك الفكرة في حكايات "سعد الشاذلي"؛ سواء في حلقات "شاهد على العصر" التي أذيعت على "الجزيرة" في العام 1993م، أو في مذكراته التي نشر بعضها "أحمد المسلماني" في العام 2006م؛ فهو يرى معظم خطايا "عبد الناصر" مجرد هفواتٍ لا تُقاس بحجم ما تحقق من إنجازات، وهو يجنح إلى تحميل بعض المحيطين بـ"عبد الناصر" كثيرًا من تلك الخطايا.

والثابت طبقًا لـ"الشاذلي" نفسه؛ أنه التقى "عبد الناصر" وتعرف إليه قبل العام 1950م، وكانا يسكنان في العقار ذاته، كما كان كلاهما يدرس في مدرسة الشئون الإدارية بالجيش، ورغم أن

2ـ محضر اجتماع المؤلف مع السيدة "زينات السحيمي" زوجة الفريق "سعد الشاذلي" ـ مارس 2011م.

الفارق بينهما في العمر كان في حدود أربع سنوات لصالح "عبد الناصر"؛ فقد توافقا في كثير من الأمور؛ خصوصًا اهتمامهما المشترك بكتابات "أحمد حسين" و"إحسان عبد القدوس".

ويبدو أن اتساق الرغبة في التغيير والإصلاح السياسي قد قاربت بين الرجلين، وشجعت "جمال عبد الناصر" أن يفاتح زميله وجاره "سعد الشاذلي" في الانضمام إلى تنظيم مسلح سريٍّ يدعى "الضباط الأحرار"، وكان "سعد الشاذلي" قد سمع عن التنظيم من بعض زملائه ممن كانت تصلهم منشوراته، وكان نظام العضوية في ذلك التنظيم الوليد نظامًا سريًا لا يسمح لأعضاء كل خلية بمعرفة أعضاء الخلايا الأخرى، حتى إذا جاءت ساعة الصفر تحركت كل خلية للقيام بمهمتها الموكولة إليها.

كانت الفكرة الأساسية التي نشأت لدى التنظيم بقيادة "عبد الناصر"؛ أن معركة مصر الحقيقية ليست في "فلسطين"؛ وإنما داخل مصر نفسها، فالأوضاع السياسية القائمة تجعل "الملك" يتدخل في الحياة السياسية لصالح مجموعات من الفاسدين، وينشغل الجميع عن قضية الاحتلال البريطاني بقضايا فرعية.

ومما لا شك فيه.. أن ضباط الجيش وقتها الذين انخرطوا في عدة تنظيمات سرية مثل "حدتو" و"النظام الخاص" للإخوان المسلمين؛ كانوا يشعرون بتخاذل الساسة المصريين في ذلك الوقت في لعب دور مهم وحاسم للحصول على الاستقلال.

الضباط الأحرار

وعلى الرغم من وجود عدة شهادات تؤكد أن "سعد الشاذلي" كان عضوًا بتنظيم "الضباط الأحرار"؛ إلا أنه لم يرد اسمه ضمن قوائم التنظيم التي نشرت لاحقًا، وقد أعلن الرئيس الراحل "أنور السادات" قائمة بأسماء 168 ضابطًا كانوا أعضاء بتنظيم "الضباط الأحرار" وأقر لهم معاشًا، و لم يكن من بينهم "سعد الشاذلي"، وربما كان ذلك لاعتبار أنه ما زال في الخدمة، بل إنه كان وقتها رئيسًا لأركان القوات المسلحة."3"

ويبدو أن انضمام "الشاذلي" لـ"الضباط الأحرار" كان مجرد تعبير عن علاقة ثقة بين "جمال عبد الناصر" وبينه، لكنه لم يكن عضوًا بالمعنى الحقيقي؛ لأنه لم توكل إليه أية مهمات داخل التنظيم، كما أنه لم يقم بأي تحرك يوم 23 يوليو في العام 1952م.

---

3. قرار رئيس الجمهورية رقم 1386 لسنة 1972 بمنح 168 ضابطًا كانوا أعضاء بـ"الضباط الأحرار" معاشًا استثنائيًا.

وتنفي "السيدة زينات السحيمي" زوجة "الشاذلي" معرفتها بثورة 23 يوليو قبل حدوثها، ولا تكاد تجزم بمعرفة زوجها، خصوصًا أنها تشير إلى أنه كان من النوع الكتوم ولا يحب أن يعرف أحد شيئًا عن تفاصيل وأسرار عمله."4"

وبشكل ما؛ يشير "الشاذلي" إلى أن ضابط الاتصال المسئول عن الاتصال به من داخل التنظيم؛ كان "معروف الحضري"، وهو ضابط جمع بين عضوية "الضباط الأحرار" و"جماعة الإخوان المسلمين"، وقد اختلف فيما بعد مع "عبد الناصر"."5"

وطبقًا لشهادته أيضًا؛ فإنه لم يُكلّف بأي مهمات يوم 23 يوليو؛ لأنه كان وقتها مشاركًا في دورة أركان حرب، وأنه فور علمه بقيام الثورة أعلن تأييدها بشكلٍ مطلق، كان الشعب كله بمختلف فئاته مؤيدًا للثورة بعد انكسارات الفساد السياسي التي عاشتها مصر أواخر عهد "الملك فاروق"، خصوصًا بعد حريق القاهرة في العام 1951م.

حدثت الثورة كحركة إصلاح داخل الجيش، وبعد تأييد فئات الشعب المختلفة وجميع السياسيين لها تحولت إلى ثورة، وبدأت في تغيير الخريطة السياسية وإعادة تشكيل مصر، وكان هناك عقل مدبر وزعيم حقيقي هو "جمال عبد الناصر" الذي استحوذ على القيادة وأدار مصر من وراء ستار حتى 1954م؛ إذ نجح بعدها في إزاحة "محمد نجيب" والانفراد بالسلطة تمامًا.

***

عرض بالعمل في المخابرات

في العام 1953م؛ عرض "عبد الناصر" على "الشاذلي" الانضمام إلى جهاز المخابرات بعد إعادة تنظيمه؛ لكنه طبقًا لشهادته، ثم شهادة زوجته فيما بعد؛ اعتذر عن قبول العرض مفضلًا الاستمرار في الخدمة داخل القوات المسلحة على العمل في المخابرات.

إن جهاز المخابرات كان قائمًا في مصر تحت مسميات أخرى؛ لكنه لم يتحول إلى جهاز حقيقي مهمته الدفاع عن الأمن القومي المصري إلا بعد الثورة، ومن الثابت تاريخيًا أن "عبد الناصر" أوكل مهمة إنشاء الجهاز لـ"زكريا محيي الدين"، وفيما بعد شهد الجهاز نهضة كبيرة

4- محضر لقاء للمؤلف مع السيدة "زينات السحيمي" زوجة الفريق "سعد الشاذلي" - يونيو 2011م.
5- حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر - أحمد منصور – الجزيرة 1993م.

خلال عهد "صلاح نصر"، الذي حقق من خلاله كثيرًا من العمليات الناجحة قبل أن يقال ويقدم إلى المحاكمة بتهمة الانحراف بعد نكسة يونيو.

ولا شك أن ذلك يدفعنا إلى استنتاج أن قرار "الشاذلي" بالاعتذار عن العمل في ذلك الجهاز كان في محله؛ لأن طبيعة "الشاذلي" نفسه طبيعة أخلاقية أقرب للتدين والالتزام، ولا تتوافق مع أفكار ومبادئ الاستغلال والتجسس والوشاية وانتهاك حقوق الإنسان.

كان "سعد الشاذلي" عاشقًا للحياة العسكرية ومحبًا للعلوم الحربية، وكان يرى أنه يمكنه أن يقدم خدمات جليلة للوطن من خلال القوات المسلحة؛ لذا كان "عبد الناصر" حريصًا على تكريمه وتقديره ومساندته داخل الجيش المصري، الذي بدأت شهرته وقدراته تتسع بعد نجاح مجلس قيادة الثورة في الاستئثار بجميع شئون الحكم بعد أزمة مارس الشهيرة في العام 1954م.

تأسيس سلاح المظلات

في العام 1953م سافر "الشاذلي" في بعثة تدريب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وشارك في بعثة مظلات أكسبته خبرات عديدة، وعندما عاد كلفه "عبد الناصر" بإنشاء أول فرقة مظلات في مصر، وبالفعل بدأ التدريب مع مجموعة من المتطوعين حتى كوّن فرقة متميزة، شاركت في العرض العسكري في 23 يوليو من العام 1954م.

ومّما تذكره "شهدان" كريمة الفريق "الشاذلي" للمؤلف "6"؛ أنها كانت أول فتاة تهبط بالمظلة فوق سماء القاهرة في العام 1958م، وقد نشرت الصحف صورتها وهي تقفز من الطائرة، لقد كان "سعد الشاذلي" حريصًا على تربية بناته الثلاث تربية حازمة، كأنهن رجال كما كان يقول دائمًا لزوجته.

إننا نلمح كثيرًا من الإشارات في حياة "الشاذلي" إلى عدم امتعاضه من أنه لم يُرزق بأولاد، حتى عندما أنجب شقيقه "مظهر" ولدًا وبنتًا، واعتبر "سعد" ابن شقيقه كابنه؛ شاء القدر أن يُختطف نجل شقيقه صغيرًا!

لقد كنت أتساءل كثيرًا بعد لقائي السيدة "شهدان" عن أي رغبة تلك التي يمكنها أن تدفع أبًا إلى أن يجعل ابنته تقفز من طائرة بمظلة مثل الرجال، وقلت لنفسي لا بد أنها رغبة التميز ومحبة توريث الشجاعة، التي آثر أن ينقلها إلى جميع أفراد أسرته، حتى إن لم يكن لديه أبناء ذكور، لقد كان بالفعل شخصية نادرة تحب المغامرة ولا تعبأ بالأخطار.

6- محضر اجتماع المؤلف مع السيدة شهدان "سعد الشاذلي" - مارس 2011م.

إن فرقة "المظلات" المصرية ولدت لأول مرة في تاريخ العسكرية المصرية على يد "سعد الشاذلي"، وقبله لم تكن هناك مظلات، لذا؛ فإنه لو لم يفعل في حياته سوى ذلك لكفاه، وفي الدول الكبرى التي تحترم عظماءها؛ فإن مؤسسي الأنظمة الجديدة دائمًا ما يحظون بالتكريم والتبجيل، لكن في بلادنا تُطمسُ أسماء الفاعلين ويُشوّهُ كثير من أفعالهم إذا اختلفوا مع السلطة، وويلٌ للتاريخ من مزوريه!

إن الدكتور "مصطفى الفقي" الدبلوماسي والكاتب الشهير؛ يعود لينصف "الشاذلي" باعتباره مؤسس "سلاح المظلات" في الجيش المصري، ويكتب في جريدة "المصري اليوم" في ظل سطوة نظام "مبارك" في العام 2008م؛ مشيدًا بالقائد المحنك الذي وضع لبنات "سلاح المظلات"."7"

مهمة لم تتم

في 26 يوليو من العام 1956م؛ أعلن "جمال عبد الناصر" ـ خلال خطاب رسمي ألقاه في "ميدان المنشية" بالإسكندرية ـ تأميم "الشركة العالمية لقناة السويس" وتحويلها إلى شركة مساهمة مصرية، وجاء ذلك ردًّا على رفض البنك الدولي تمويل مشروع "السد العالي"، وأعلنت "فرنسا" و"إنجلترا" ضرورة التدخل العسكري لضمان حرية مرور السفن بـ"قناة السويس"، وقدمت إنذارًا لـ"مصر"، وشاركت "إسرائيل" في المؤامرة للقضاء نهائيًّا على "عبد الناصر" وزعامته الناشئة.

وقتها كان الشاذلي" قد أنهى تدريب "فرقة صاعقة" على الهبوط بالمظلات والقتال خلف خطوط العدو.

ومما يذكره الشاذلي في هذه الأيام؛ أن الرئيس "جمال عبد الناصر" كلفه بمهمة خلال العدوان الثلاثي العام 1956م، تقوم بها فرقة المظلات لإنزال قوات صاعقة خلف خطوط العدو في سيناء.

يقول "سعد الشاذلي":

"كنت في هذا الوقت قائد "الكتيبة 75 مظلات"، وصدرت لي الأوامر بأن تستعد الكتيبة للهبوط في داخل "سيناء" ـ خلف العدو ـ وكان مفروضًا أن نقلع بالطائرات في الفجر،

7ـ "المصري اليوم" ـ 21 فبراير 2008م.

وفي هذه الليلة بالذات؛ قامت القوات البريطانية والفرنسية بضرب جميع المطارات، ودمرت القوات الجوية المصرية، فأُلغيَت المهمة"."8"

ويضيف أن مهمته تحولت بعد ذلك إلى مهمة مشاة؛ حيث ذهب بكتيبته إلى "السويس"، ودخل في معارك مع القوات البريطانية.

لقد كان العدوان الثلاثي أكبر خطر عسكري تعرضت له مصر بعد استقلالها، وحدث بسبب تأميم شركة قناة السويس البحرية، ودعم "مصر" ثورة "الجزائر"، وكان الهدف إجهاض أي محاولة لبناء دولة عصرية قوية في المنطقة، وكان من المذهل أن الهزيمة العسكرية تحولت – بفضل الدعاية والدبلوماسية المصرية ومساندة "الولايات المتحدة" لـ"مصر" – إلى نصر سياسي، وخرج "عبد الناصر" من المعركة بطلًا متوجًا وزعيمًا تهتف باسمه الملايين في الدول العربية والإفريقية.

تقييم العدوان الثلاثي

إن تقييم "الشاذلي" لمعركة 1956م ينصف "ناصر" والقيادة العسكرية، رغم أن جميع المؤرخين رصدوا عدة أخطاء وقع فيها النظام الناصري، وتسببت في تدمير القوات المسلحة المصرية، كان أبرزها ترك الطائرات في المطارات بدون أي مظلة لتُدمّر على الأرض.

يقول "الشاذلي" عن نتائج الحرب:

"الهدف من أي حرب أنك أنت تنتصر على الخصم.. وإذا انتصرت على الخصم؛ فإنك ترغم العدو على أن يتصرف طبقًا لإرادتك، وإذا دخلت الحرب، ولم أنجح في أن أرغم الخصم على أن يتصرف طبقًا لإرادتي؛ ففي هذه الحالة فأنا لا أحقق شيئًا، ولو افترضنا مثلًا إن "إنجلترا" و"فرنسا" دخلتا الحرب لإسقاط "جمال عبد الناصر"، وانتهت الحرب ولم يسقط "عبد الناصر"؛ ففي هذه الحالة.. فإن النتيجة تعني أنهم لم ينتصروا، لذلك؛ فعلى الرغم من أننا تعرضنا لهزيمة عسكرية سنة 1956م، ولا نستطيع أن ننكر أنها هزيمة عسكرية، لكن في النهاية أقول إن "56" كانت نصرًا!"9"

8- حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر.. أحمد منصور ـ الجزيرة 1993م.

9- المصدر السابق.

ولا شك أن ذلك الطرح حقيقي في بعض جوانبه؛ لكنه لا يخلو من تعاطف شديد وتأييد مطلق تجاه "عبد الناصر" وعهده. إن "سعد الشاذلي" ظل رجلًا عسكريًا بعيدًا عن السياسة طوال عهد "ناصر"، ويمكن القول إنه كان وقتها يرى بعيني "ناصر" ويتحدث بلسانه، ويلتمس له الأعذار في كثيرٍ من المواقف.

وبشكل عام؛ فقد كانت تجربة "العدوان الثلاثي" دافعًا وحافزًا لـ"سعد الدين الشاذلي" لاستكمال التدريب وممارسة العلم العسكري بشكل عملي، والاستفادة من دروس المعركة، وهو ما سوف يتضح بعمق فيما بعد. إن السقطات تعلم الأذكياء الحذر من المطبّات والحفر، وصدق المثل الإنجليزي القائل: "إن كل ما لا يقتلني يقويني".

دروس من "الكونغو"

(الرجل هو الأسلوب)

"بوفون"

في "الكونغو".. كانت "مصر" على موعد مع معركة جديدة في سبيل الحرية.. وكان "سعد الشاذلي" على موعد مع درس عظيم في السياسة.

كثيرًا ما تختلط السياسة والعسكرية، وقليلون هم من يجمعون بين السياسة والعسكرية، والعسكري ذو الحس السياسي هو رجل استراتيجي نادرًا أن يتكرر في دول مثل بلادنا، التي جُبلت على تهميش العسكريين وإبعادهم عن السياسة؛ خوفًا من الحكام على عروشهم، كان بلا شك هناك بعض الاستثناءات، لكنها استثناءات قليلة ومعظمها مجهول في ظل التجهيل المُتعمد لرجال الجيوش العربية وأدوارهم في صراعات السياسة.

بداية السياسة

في العام 1960م كانت رتبة "سعد الشاذلي" العسكرية هي رتبة العقيد، وهي رتبة متقدمة تحمل خبرات وتراكمات سنوات طويلة في إطاعة الأوامر، والالتزام بالتوجهات العليا، والسير وفقًا للقواعد وفي حدودها، بدون أي خروج أو تجاوز، إن المبدأ الأساسي في العسكرية بشكل عام؛ هو ضرورة الطاعة والالتزام بالتعليمات؛ لكن هناك مساحات ضيقة للاجتهاد، لا يجيدها إلا أصحاب التوجهات السياسية والقادرون على استنباط الأحكام والتنبؤ بردود الأفعال.

ولقد أثبتت تجربة "الكونغو" عبقرية وحنكة ودراية "الشاذلي" بأمور السياسة، كانت التجربة بداية احتكاك السياسة بالعمل العسكري، وبغض النظر عن تقييم التجربة بالنسبة لـ"مصر"؛ فإن تقييمها بالنسبة لشخصية "سعد الدين الشاذلي" كانت مثمرة للغاية.

الحكاية بدأت مبكرًا.. في أعقاب "العدوان الثلاثي" علت أنجم "جمال عبد الناصر" على المستوى الإقليمي.. في العالم العربي تحول "ناصر" إلى زعيم، وفي إفريقيا صارت "مصر" مركزًا وحصنًا لتجمع الثوار وحركات التحرر في العالم النامي، كان "العدوان الثلاثي" كما اتفق

معظم المؤرخين هزيمة عسكرية، ونصرًا سياسيًّا؛ جعل مصر تستعيد مكانتها الإقليمية؛ لتصبح قوة فاعلة ومؤثرة في خريطة الشرق الأوسط السياسية.

في "الجزائر".. كان "ناصر" أيقونة التحرر والتحالف العربي في وجه الاستعمار، وفي "سوريا" كان الناس يهتفون باسم الرئيس المصري الذي وصل بخطاباته الحماسية إلى قلوب الصغار والكبار في: "العراق"، و"الهند"، و"تونس"، و"إفريقيا"، وكانت "مصر" هي الرمز والقدوة.

حركة "لومومبا"

ومع تحرر الدول الإفريقية؛ بدأت حركة تحررية في "الكونغو" التي كانت محتلة من "بلجيكا" على مدى أكثر من 80 عامًا، وأسس "لومومبا" حركة وطنية خلال الخمسينيات من القرن الماضي، استطاعت تجميع عناصر وطنية عديدة للمطالبة بالاستقلال والحرية.. وقتها طلب "لومومبا" مساندة "مصر" باعتبارها لاعبًا رئيسًا في السياسة الإفريقية، ونظرًا لمساندة نظام "ناصر" لحركات التحرر الوطني في مختلف أنحاء العالم، وبالفعل حصلت "الكونغو" على الاستقلال في العام 1960م؛ إلا أن البلجيك أثاروا بعض الأقاليم داخل "الكونغو" للاستقلال عن الدولة؛ وهو ما دفع "لومومبا" إلى مطالبة الأمم المتحدة بالحماية الدولية.

وقد قرر "عبد الناصر" المشاركة بكتيبة مصرية ضمن قوات الأمم المتحدة؛ للحفاظ على وحدة الأراضي الكونغولية ومساندة "لومومبا"، ولم يجد "ناصر" سوى العقيد "سعد الشاذلي" قائدًا لتلك الكتيبة.

وتتعدد الأسباب التي دفعت الرئيس "جمال عبد الناصر" إلى اختيار "الشاذلي" قائدًا لتلك الكتيبة؛ ومنها ما يقرره "الشاذلي" نفسه في حواراته مع "أحمد منصور" على "الجزيرة"؛ من أنه كان مؤسس أول فرقة مظلات، وكانت المهمة تتطلب عناصر لها قدرة على العمل مظليين."1"

ومنها أيضًا؛ أن "الشاذلي" الذي حصل على دورة تدريبية في "الولايات المتحدة" في بداية عهد الثورة يجيد اللغة الإنجليزية إجادة تامة، ويمكنه التعامل مع الأجانب اعتمادًا على تلك اللغة.

بالإضافة إلى الثقة التي كان يوليها "ناصر" لـ"الشاذلي"، التي وصلت إلى حدّ التوافق في كثيرٍ من الآراء والرؤى، كذلك يمكن القول إن العقيد "سعد الشاذلي" كان معروفًا داخل الجيش

1- "سعد الشاذلي" شاهد على العصر - قناة "الجزيرة" - 1993م.

بالجُرأة والإقدام والشجاعة وحُبّ المغامرة، وهي عناصر رئيسة فيمن يكلف بمثل هذه المهمة البعيدة عن بلاده.

لقد تم نقل كتيبة "الشاذلي"، التي عرفت باسم الكتيبة العربية "2" إلى عاصمة الكونغو "كينشاسا" بطائرات أمريكية تابعة للأمم المتحدة، وكانت الكتيبة تضم نحو 500 عسكري، ومسلحة ببنادق ورشاشات وأسلحة مضادة للطائرات، وقد عسكرت تلك الكتيبة على الحدود مع إقليم يسمى "الليجنجي" كان تحت سيطرة الفرنسيين.

ومما يذكره "الشاذلي" أن القوات الفرنسية كانت تحاول استفزاز الكتيبة العربية بالطيران فوق أفرادها بمستوى منخفض، وهو في تصوره نوع من استعراض القوة الذي كان شائعًا في ذلك الوقت. "3"

ومما لا شك فيه؛ أن موقف القوات الفرنسية من الكتيبة العربية كان راجعًا إلى قرب العهد بالعدوان الثلاثي وبمساندة "مصر" لـ"الثورة الجزائرية" ضد الفرنسيين، وهو ما كان يشير إلى وجود حالة من العداء بين نظام "ناصر" ودولة "فرنسا" في ذلك الوقت.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يحتك فيها "الشاذلي" بالقوات الأجنبية، ويتعرف على تنظيمات عسكرية أخرى لما كانت عليه الجيوش العربية، ويشاهد أساليب قتالية مختلفة؛ خصوصًا أن الحرب السابقة لم تتح له فرصة الاشتباك المباشر مع العدو، واقتصرت مهماته على المناورة والدفاع.

ويتذكر "الشاذلي" المفارقة التي جرت وأدت إلى وضعه في اختبار سياسي فريد من نوعه؛ كشف عن قدرات اجتهادية رائعة، وكان ذلك الاختبار يتمثل في انقلاب الموقف الرسمي للكونغو تجاه "مصر"، وكانت الجماهير الكونغولية قد استقبلت الكتيبة العربية بأعلام "الجمهورية العربية المتحدة"، وقد استغل "الشاذلي" فرصة الحفاوة البالغة ووزع مصاحف على أفراد الشعب الكونغولي؛ ما أدى إلى دخول بعضهم إلى الإسلام ـ على حد قوله. "4"

ولم تلبث الأوضاع أن تغيرت بعد نجاح عملاء للمخابرات البلجيكية في اغتيال "لومومبا" مع أحد مرافقيه وإذابتهما في حامض، ووصول "موبوتو" إلى الحكم، الذي اتخذ موقفًا سلبيًا تجاه "مصر" وتجاه "عبد الناصر".

2ـ سميت الكتيبة المصرية وقتها الكتيبة العربية؛ لأن الوحدة بين "مصر" و"سوريا" كانت قائمة تحت اسم "الجمهورية العربية المتحدة".

3ـ حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر ـ قناة "الجزيرة" 1993م.

4ـ المصدر السابق.

اجتهاد شخصي

إن "الشاذلي" يحكي لـ"أحمد منصور" كيف تحولت "جمهورية الكونغو" من الصداقة والامتنان للنظام المصري؛ إلى الهجوم والانتقاد الشديد لها الذي بلغ درجة وصف المصريين بالمستعمرين، وقتها.. فكر "الشاذلي" واجتهد وقرر العمل ممثلًا لدولة "مصر" داخل "الكونغو" لا كقائد كتيبة تابعة للأمم المتحدة، وبالفعل.. بدأ في تسريب عدد من جنوده من مواقعهم على الحدود إلى مطار العاصمة؛ حتى استطاع أن يحتل بمثني عسكري مواقع رئيسة داخل المطار؛ وهو ما أثار موجة من الاضطراب.

وفوجئ "الشاذلي" بالجنرال "رانهور" قائد قوات الأمم المتحدة يستدعيه ويطلب منه سحب الجنود المصريين من المطار؛ و لم يجد بدًّا من الرفض وعصيان الأوامر، وهو موقف اجتهد فيه ليعبر عن قوة "مصر" السياسية في مواجهة النفوذ الغربي داخل "الكونغو".

إن "الشاذلي" يجيب عن سؤال لـ"أحمد منصور" حول ما إذا كان ما فعله بناء على تعليمات من "عبد الناصر" أو هو اجتهاد شخصي بأنه بالفعل اجتهادٌ شخصي؛ لكنه كان كمن يقرأ أفكار وتصورات "عبد الناصر" نفسه، الذي استفاد من الحدث على المستوى السياسي بشكلٍ جيد."5"

وذهب "سعد الشاذلي" إلى السفير مراد غالب سفير "مصر" في الكونغو؛ وقال له إن مندوب "همرشلد" أمين عام الأمم المتحدة طلب لقاءك، وبالفعل ذهب كلاهما إلى الرجل وأخذا يتحدثان في ذكريات وحكايات مملة وسخيفة و لم يتحدث "غالب" عن أي شيء حول ما فعله "الشاذلي"، وبعد اللقاء تعلّم منه درسًا مهمًّا؛ هو أن حل هذه المشكلة ليس بأيديهم، وإنما هو بين "عبد الناصر" و"همرشلد" نفسه، وهو ما كان."6"

رؤية الفريق

المهم أن "الشاذلي" بقي حتى أسهم في تأمين تهريب أبناء "لومومبا" إلى "مصر"، قبل أن يصدر له قرار بسحب الكتيبة العربية، إن زميلنا "سعيد الشحّات" يسأله قبل شهور قليلة من وفاته حول ما جرى في الكونغو فيقول:

5ـ المصدر السابق.

6ـ المصدر السابق.

"كانت القوى الاستعمارية وعلى رأسها "أمريكا" لا يريحها أي وجود مصري في إفريقيا، ولهذا لم يستريحوا لوجود مصريين في "الكونغو"، حتى إن كانت تحت لافتة الأمم المتحدة... وقالوا كلامًا ضدنا مثل إن "مصر" تسعى إلى الهيمنة على إفريقيا، وكان هذا الكلام مدعومًا من "أمريكا" و"بلجيكا" باعتبارها دولة الاستعمار في "الكونغو"، المهم أنني كنت أحمل معي كتبًا مصرية كثيرة، وأحمل معي نسخًا من المصاحف، وليعرف الجميع أن الوضع هناك كان متخلفًا إلى أبعد مدى؛ فلم تكن هناك هياكل دولة ولا يوجد تعليم، وفي هذه الأجواء كنت أقوم بتوزيع الكتب التي معي والتي تأتيني من "مصر" بطريقة ما.

وأذكر أن هناك من دخل الإسلام بفضل تعاملنا، وعلى الرغم من وجود كتيبة إندونيسية معنا، وكان جميع جنودها من المسلمين، فإن الكتيبة المصرية كان لها فعل السحر؛ فأي مجموعة من الكونغوليين كانت تجلس معنا كانت تتعامل على أساس أننا من عند "جمال عبد الناصر"، ومهما وصفت لن أستطيع أن أنقل مدى السحر الذي كان يحدثه اسم "جمال عبد الناصر" في إفريقيا. وأذكر أن وسائل التحرش ضدنا كانت متنوعة؛ فنحن كنا في منطقة مواجهة لبلدة "بانجي" في إفريقيا الاستوائية، وكان الاستعمار الفرنسي قائمًا هناك، وكان المرور بين "إفريقيا الاستوائية" و"الكونغو" يمر عبر المعبر الذي توجد فيه فرقتنا، وكان الفرنسيون يطلقون الطائرات على ارتفاع منخفض علينا بحجة مسح المكان؛ لكنه في الحقيقة كان نوعًا من استعراض القوة؛ خصوصًا أن هذا الإجراء كان يُنفذ على الكتيبة المصرية فقط، لا على كتائب أخرى موجودة معنا."7"

***

بداية الخلاف مع "المشير إسماعيل"

والحقيقة أن تجربة "الكونغو" شهدت أول وأخطر خلافات الفريق "سعد الشاذلي" مع المشير "أحمد إسماعيل" وزير الحربية خلال حرب أكتوبر، وهي الخلافات التي ستستمر وتتصاعد وتصل إلى أعلى درجاتها خلال الحرب.

إن الفريق "الشاذلي" يحكي عن هذه الخلافات بشكلٍ عابر في مذكراته عن حرب أكتوبر؛ فيقول:

7ـ مقال "سعيد الشحّات" في "اليوم السابع" 4 أكتوبر 2010م.

"لم أكن قط على علاقة طيبة مع "أحمد إسماعيل".. لقد كنا شخصين مختلفين تمامًا، لا يمكن لهما أن يتفقا، وقد بدأ بيننا أول خلاف عندما كنت أقود الكتيبة العربية التي كانت ضمن قوات الأمم المتحدة في الكونغو في العام 1960م، كان العميد "أحمد إسماعيل" قد أرسلته "مصر" على رأس بعثة عسكرية لدراسة ما يمكن لـ"مصر" أن تقدمه للنهوض بالجيش الكونغولي.. وقبل وصول البعثة بعدة أيام سقطت حكومة "لومومبا" التي كانت تؤيدها "مصر"؛ بعد نجاح انقلاب عسكري دبره رئيس الأركان الكونغولي "موبوتو"، وقد كانت ميول "موبوتو" تتعارض تمامًا مع الخط الذي تنتهجه "مصر".

وهكذا وجدت البعثة نفسها بلا أي أعمال منذ اليوم الأول لوصولها، وبدلًا من أن تعود إلى "مصر"؛ أخذ "أحمد إسماعيل" يخلق لنفسه مبررًا للبقاء في كينشاسا على أساس إعداد تقرير عن الموقف.. وتحت ستار هذا العمل بقي لمدة شهرين؛ حاول خلالهما أن يفرض سلطته عليّ باعتباره ضابطًا برتبة عميد، بينما أنا برتبة عقيد، ورفضت تمامًا وقلت له إنني لا أعترف له بأي سلطة له على قواتي، وقد تبادلنا الكلمات الخشنة حتى كدنا نشتبك بالأيدي.. وبعد أن علمت القاهرة بذلك؛ استدعت اللجنة إلى القاهرة."8"

ويحكي "السادات" نفسه أنه كان يعلم بأمر خلافات "الشاذلي" و"إسماعيل" منذ أيام "الكونغو"؛ فيقول:

"أما الخلاف بين "سعد الشاذلي" و"أحمد إسماعيل"؛ فيرجع إلى أيام الكونغو.. يوم أرسلت قوات طوارئ على أيام "لومومبا".. وكان هناك "سعد الشاذلي" و"أحمد إسماعيل"، ودارت بينهما خلافات ومشادات، وطبيعي أن يحدث بين الضباط مثل ذلك"."9"

والفارق واضح بين رواية "الشاذلي" و"السادات"؛ فقد جاءت رواية الأول واضحة المعالم وتفصيلية، وكان الحق في جانب "الشاذلي"، الذي عمل في إطار المهمة التي كلف بها، بينما جاءت رواية "السادات" عن الخلاف مبتورة غير محددة طبيعة الخلاف وظروفه، ومكتفية بالتعليق بأنه خلاف شائع وطبيعي أن يحدث بين الضباط.

وفي الحقيقة؛ فإنه لا مناص من القول إن موقف "الشاذلي" كان سليمًا تمامًا خلال تلك المهمة؛ فالرجل ذهب إلى المهمة باعتباره قائدًا مسئولًا، بينما سافر "إسماعيل" لمهمة أخرى لم يكن لها أن تتداخل مع مهمة العقيد "سعد الشاذلي".

8- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - طبعة ثانية "الجزائر" - 1981م - ص 159.
9- "أنيس منصور" - من أوراق السادات - دار المعارف - الطبعة الرابعة - 2010م - ص 361.

وللأمانة التاريخية؛ فإن تجربة "الكونغو" كانت نقطة انتصار لنظام "عبد الناصر"، ورغم موقف المؤلف الرافض لمعظم سياسات "جمال عبد الناصر"؛ فإن الموضوعية تستلزم الإشارة إلى أن مشاركة "مصر" في "الكونغو" كانت ممارسة واضحة لمد النفوذ من خلال القوة الناعمة؛ خصوصًا في دولة إفريقية من دول حوض النيل.

ورغم محدودية المشاركة؛ سواء بعدد الأفراد أو المعدات المصاحبة؛ فإنها حملت معاني إيجابية على كيفية ممارسة دور سياسي بالقليل من الإمكانيات، وهو دور يختلف تمامًا عمّا جرى في تجربة "اليمن" التي كانت على المستوى السياسي والعسكري ورطة كبرى.

ملحق في "لندن"

وبعد تهريب أبناء "لومومبا" إلى القاهرة؛ عادت البعثة، ولم تمض شهور قليلة؛ إلا واخْتير "سعد الشاذلي" ملحقًا حربيًا لـ"مصر" في "لندن"، وهو منصب رفيع يعطيه الحق في تمثيل القوات البرية والبحرية، وكان أهم ذكرياته هناك حضوره مناورات للجيش البريطاني، وتعرفه على كثيرٍ من الشخصيات السياسية المهمة داخل "بريطانيا"، كما تعرض لانتقادات وهجوم متواصل من الصحافة البريطانية بسبب اتصالات أجراها مع بعض الشخصيات النازية المقيمة في "بريطانيا"."10"

إن تلك الفترة في رأي الرجل كانت تعبر عن تقدير وشكر القيادة السياسية لموقفه في "الكونغو"، الذي توافق بشكل كبير مع موقف "عبد الناصر" نفسه.

كانت تلك السنوات سنوات فخار، وكانت "مصر" ملء السمع والبصر، وبدت الدولة الصاعدة تتقدم في جميع المجالات، ولكنها تتعمد التراجع في مسيرة الديمقراطية والحريات، وهو ما أسهم بعد ذلك في سقوط الحلم الناصري الذي توقع له البعض تفوقًا وبزوغًا.

10- حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر - الجزيرة 1993م.

ورطة اليمن

(جيش من الوعول يقوده أسد.. خيرٌ من جيش من الأسود يقوده وعل)

"نابليون بونابرت"

كانت "الكونغو" مناورة.. وكانت تجربة "اليمن" مقامرة.

في "الكونغو".. ظهرت القوى الناعمة لـ"مصر" بأقل إمكانيات.. وفي "اليمن" تورطنا بأكثر مما يحلم أعداؤنا..

في "الكونغو" كسبنا المعركة السياسية بدون دم.. وفي "اليمن" خسرنا علاقتنا بنصف العالم العربي، بعد أن سُفحت دماء الآلاف من المصريين ذبحًا في الصحراء.

حقق "عبد الناصر" نصرًا إعلاميًّا بعد موقعة "الكونغو"، بينما أدت مواقع "اليمن" إلى هزائم تاريخية.

لماذا اختلفت تجربة "اليمن" عن تجربة "الكونغو"؟

أسبابٌ عديدة تجعلنا نقرر أن "اليمن" كانت ورطة كبيرة لقواتنا المسلحة.. ربما أكبر ورطة تعرض لها نظام "ناصر".. وربما كانت السبب المباشر لهزيمة يونيو 1967م. "الشاذلي" يعترض على ذلك في جميع حواراته، لكنّ من الواضح أن اعتراضاته مبنية على جانب عاطفي لا عقلاني؛ فاليمن بشهادة المؤرخين والعسكريين والساسة؛ لم تكن سوى مطبٍّ صناعي حطم سيارة "عبد الناصر" المندفعة بسرعة في طريق النهضة، ولم يكن بعد هذا المطب نهضة ولا تقدم، وإنما خسران وراء خسران.

ورطة "البيضاني"

القصة ببساطة.. أن شابًا قوميًا يمنيًا كان يعيش في "مصر" يدعى "عبد الرحمن البيضاني"، وقد أخطر السلطات المصرية في العام 1962م بإمكانية عمل انقلاب ضد الأمير "البدر" فور وفاة الإمام "أحمد"، وطلب "عبد الناصر" تقريرًا عن الموقف؛ فقدم له تقريرًا أوصى بعدم إرسال قوات مصرية إلى "اليمن"؛ إلا أن وفاة الإمام "أحمد" أدت إلى قيام انقلاب مسلح ضد حكم الأمير في 29 سبتمبر 1962م، بقيادة العميد "عبد الله السلال"، وسافر "البيضاني" إلى هناك، وتقرر سفر بعض العسكريين معه منهم اللواء "علي عبد الخبير"، بعد أن أقنعهم "البيضاني" بأن الأمير "البدر" قُتل.

وبعد أن وصل "البيضاني" دعاهم إلى مواصلة مساندة الثورة؛ فقرر "عبد الناصر" إرسال سرية عسكرية بالباخرة تضم مِئة شخص، وبعد أن وصلوا فوجئوا بأن الأمير "البدر" لم يمت، وأن كثيرًا من القبائل يُقاتل معه، وأن "مصر" تعرضت لخدعة كبيرة، إلا أن "عبد الناصر" لم يستطع التراجع حتى لا يفقد كرامته أمام العالم العربي."1"

وتعرض الجنود المصريون لحملات قتل وأسر وذبح من جانب رجال القبائل اليمنية، الذين رأوا فيهم غزاة مستعمرين، ومات كثيرون حتى اضطر "عبد الناصر" إلى الدفع بأكبر عدد من القوات هناك، حتى بلغ العدد 70 ألف مقاتل في العام 1964م، وقاد القوات المصرية هناك الفريق "أنور القاضي" أحد أكفأ القادة العسكريين، وتبعه "عبد المحسن مرتجي"، ولكن البيئة الصعبة والصحارى ورفض القبائل اليمنية للوجود المصري هناك؛ أسهم في إطالة المهمة وتحقيق الخسائر المالية والبشرية."2"

المهم أن "الشاذلي" ينظر إلى المكاسب السياسية عند تحليله لـ"حرب اليمن"؛ فيقول:

"المكاسب السياسية التي تحققت من "حرب اليمن" تمثلت في: سقوط نظام رجعي متخلف بشكل بشع، وهو مثل القرون الوسطى وألعن، وقيام نظام تقدمي حديث يتواكب مع القرن العشرين.. ويدخل في النسيج العربي، كذلك كان المكسب الثاني: هو استقلال عدن، وهي نقطة يجب ألا ننساها، ولولا الحرب ما كان لعدن أن تستقل إلا بوجود القوات المصرية في اليمن الشمالي؛ لأنه ليس سرًا أن "مصر" كانت تساعد الثوار وتبعث لهم السلاح والذخيرة"."3"

1ـ سامي جوهر ـ الصامتون يتكلمون ـ طبعة 7 ـ المكتب المصري الحديث 1976م ـ ص. ص. 122، 123.
2ـ "وجيه أبو ذكري" ـ مذبحة الأبرياء 5 يونيو ـ ط 4 ـ 1994 ـ المكتب المصري الحديث ـ ص. ص. 60، 61.
3ـ حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر ـ الجزيرة 1993م.

ولا شك أن هذه المكاسب ليست لها علاقة بـ"مصر" من قريب أو بعيد.. وحتى بمنظور القومية العربية؛ فإن سقوط نظام الإمام أحمد "الرجعي المتخلف" لم يكن خبرًا سعيدًا في معظم الأقطار العربية؛ فالملكيات العربية كانت تنظر إلى إسقاط نظام "الإمام أحمد" بكثير من التربص والشك، أما المكسب الثاني؛ فأتصور أنه كان يمكن مساعدة الثوار في "اليمن الجنوبي" بدون وجود لقوات مصرية في "اليمن الشمالي".

خسائر ضخمة

الغريب.. أن "الشاذلي" يحاول التهوين من حجم الخسائر المصرية في "حرب اليمن"؛ فيشير إلى أن ميزانية الحرب – طبقًا لما سمعه بنفسه من "عبد الناصر" – كانت في حدود 40 مليون جنيه، وأن إجمالي خسائر الجيش نحو ألف قتيل وخمسة آلاف إصابة."4"

والحقيقة.. إن أعتى أنصار الناصرية لم يدافع عن "ورطة اليمن" مثلما دافع "الفريق الشاذلي"، ونحن نلتمس له العذر؛ خصوصًا أنه عاش ومات مؤمنًا بأن "عبد الناصر" كان زعيمًا قوميًا، وكان وطنيًا مخلصًا، لقد كان الجيش المصري النظامي يحارب عصابات خفية لديها أسلحة وعندها كهوف وجبال، وعلى دراية واسعة ببلادها ودروبها ـ كما يقول أنيس منصور الذي كان يومًا شاهد عيان على مأساة اليمن."5"

"كان الجندي اليمني يضع البندقية بين قدميه ويطلق النار فلا يخطئ أبدًا.. وكانت معظم إصابات الجنود المصريين في منتصف الرأس"."6"

إن "عبد الناصر" نفسه كان يسمي تجربة اليمن "ورطة"، وفي ذلك يقول الفريق أول "عبد المحسن كامل مرتجي" ـ قائد القوات المصرية في اليمن:

"عندما كنت قائدًا للقوات المصرية في اليمن؛ جاء "عبد الناصر" وكان زميلي لمدة عامين في كلية أركان حرب، وهو وحده الذي تحدث عن المعركة مع "إسرائيل"، وكان ذلك في العام 1964م؛ فقال: لقد كنت مخططًا أن أصعد الأمور مع "إسرائيل" في العام 1965م، ولكن بعد تورطنا هذه الورطة في اليمن؛ لا أعتقد أنني أفكر في هذا الموضوع قبل العام 1970م، وسوف أفكر جيدًا وأدرس الموقف دراسة عميقة قبل الدخول في صراع مسلح مع "إسرائيل"."7"

---

4. المصدر السابق.
5. "أنيس منصور" ـ عبد الناصر المفترى عليه والمفتري علينا ـ نهضة مصر ـ ط 2 ـ العام 2002م ـ ص222.
6. المصدر السابق نفسه ـ ص. ص. 222، 223.
7. "وجيه أبو ذكرى" ـ مذبحة الأبرياء 5 يونيو ـ مرجع سابق ـ ص 389.

لقد شارك "سعد الشاذلي" في حرب اليمن، وكان مثالًا يُحتذى في الجرأة والتضحية والفدائية، وقاد معارك عديدة هناك، إلا أن ذلك لا يبرر أبدًا دفاعه الغريب عن القرار السياسي بدخول "مصر" في ذلك المستنقع.

شهادة عاطفية

ونعود إلى حوار الفريق "سعد الشاذلي" مع "أحمد منصور" في العام 1993م، ثم مع "أحمد المسلماني" في العام 2006م، فنجده يرفض اعتبار "حرب اليمن" أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى هزيمة 5 يونيو، إن "الشاذلي" حبيب إلينا، ولكنّ الحق هنا أحب إلينا من "سعد الشاذلي"، وليس أدل على ذلك من أن زميله في الجيش وثالث ثلاثة صنعوا "نصر أكتوبر" وهو المشير "محمد عبد الغني الجمسي" يذكر في كتابه "مذكرات حرب أكتوبر" ما يلى:

"بدأت المعاونة المصرية لليمن محدودة، ثم تورطت "مصر" تدريجيًّا حتى أصبح ثلث قوات الجيش يقاتل هناك.. ولقد حاول الفريق "أنور القاضي" قائد القوات المصرية هناك في العام 1963م دفع "عبد الناصر" إلى الانسحاب؛ إلا أنه رفض وقال: العملية سياسية أكثر منها عسكرية، ولا يمكن أن نترك اليمن"."8"

وحتى "هيكل" نفسه؛ يقول في كتابه "الانفجار":

"وبالنسبة للجيش المصري؛ فإن "حرب اليمن" كانت تجربة قاسية.. لم تقتصر قسوتها على مجرد توزيع قواته على مسرحين يفصل بينهما أكثر من ألفي كيلو متر، وإنما الأقسى من توزيع القوات أن المسرح الساخن في البداية وهو اليمن قد أعطى القوات المسلحة دروسًا خاصة تضرها أكثر مما تفيدها"."9"

ولا شك أن كثيرًا من المؤرخين درسوا التجربة بتمعن؛ ووجدوا أن النهاية الحقيقية للحلم الناصري على المستوى السياسي؛ كان عند فشل الوحدة بين "مصر" و"سوريا"، بينما تعد النهاية العسكرية للمشروع الناصري في "اليمن"؛ عندما خسرنا الوقت والجهد والمال والرجال؛ بسبب زعامة شخصية لرَجلٍ عزّ عليه أن يتراجع عن قرار خطأ اتخذه."10"

8ـ "محمد عبد الغني الجمسي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ هيئة الكتاب ـ ص. ص. 30، 31.

9ـ "محمد حسنين هيكل" ـ1967 الانفجار ـ الأهرام ـ ط أولى ـ 1990م ـ ص 813.

10ـ يبدو أن الفريق "سعد الشاذلي" غير أفكاره وموقفه من "حرب اليمن" في سنواته الأخيرة؛ فقد حكى لي ابن خاله "عبيد العقاد"، الذي كان كثيرًا ما تجمعهما جلسات "دردشة " أنه قال له: إن الحرب في اليمن مكلفة جدًا، وكانت تحتاج أموال أمريكا وقوة وشجاعة الجندي المصري.

وللأسف.. فقد تورط الجيش المصري مع القيادة السياسية؛ لأنهم أطاعوها بدون دراسة ومناقشة، وقضى "سعد الشاذلي" عامًا كاملًا قائد لواء في "اليمن"، وعندما عاد كانت "إسرائيل" تستفز القيادة المصرية للدخول في حرب للقضاء على الجيش المصري قضاءً طويلًا... وقد كان".

مغامرة ضد الهزيمة

(ما دخل اليهود من حدودنا.. وإنما
تسربوا كالنمل من عيوبنا)

"نزار قباني"

في 5 يونيو 1967؛ وقعت الواقعة...

يسمّيها الإسرائيليون "حرب الأيام الستة".. ويسميها المؤرخون المصريون "هزيمة يونيو".. ويسميها الناصريون "النكسة".. ويسميها الساداتيون "المذبحة".. وتسميها أجهزة المخابرات الغربية "عملية الديك الرومي"؛ أي "عبد الناصر".

وهي – على أية حال – هزيمة قاسية أُهرقت فيها دماءُ أكثر من 6 آلاف شهيد، وفقد نحو 16 ألف شخص، واحتلت مساحة كبيرة من الأراضي المصرية.. وهي شبه جزيرة سيناء، ودُمرت 85% من القوات الجوية المصرية، ونحو 80% من القوات البرية.

إن الثعلب السياسي الأستاذ "محمد حسنين هيكل".. يرفض أن يطلق عليها هزيمة، وتبريره لذلك أن أساتذة وخبراء الحروب يرون أن الحرب في أي مكان لها هدفان؛ الأول: تحطيم القوة المسلحة للعدو، والثاني: تحطيم إرادة العدو، ولو قامت الحرب وتحقق هدف بدون الآخر؛ فإن الهزيمة لم تحدث؛ وإنما ما جرى أن القوات المسلحة المصرية تحطمت لكن إرادة "مصر" لم تتحطم."1"

وفي الحقيقة؛ فإن ذلك الطرح مجرد فلسفة كلامية لا تعيد أرواح شهداء، ولا تمحو لحظات عار في تاريخ "مصر"؛ فلقد تحققت الهزيمة ، ولن يختلف الوضع كثيرًا إن أطلقنا كلمة: هزيمة أو نكسة أو مذبحة؛ لتوصيف ما جرى.

1- "محمد حسنين هيكل" - 1967 الانفجار - الأهرام للنشر - 1990م - ط 1 - ص 11.

لقد جُرّت "مصر" جرًّا إلى الحرب، باعتبار أن الفرصة تاريخية للقضاء على نظام صاعد هو نظام "عبد الناصر"؛ خصوصًا أن قواته المسلحة متورطة في اليمن حتى أخمص قدميها، والوضع العسكري يعاني من تدهورٍ كبير؛ سواء على مستوى المعدات، أو القيادات.

قيادة غير مؤهلة

كان "عبد الحكيم عامر" الصديق الأقرب لـ"عبد الناصر" قد صُعِّد وأُحْكِمَت سيطرته على القوات المسلحة المصرية منذ العام 1956م، ورُقي إلى رتبة المشير وهو في الثلاثينيات من عمره، وهو ما لم يحدث مع أي قائد عسكري في العالم، وكان الرجل على طيبته الظاهرة ضحلًا في العلوم العسكرية والخبرات الحربية، وهو ما جعله يدير المؤسسة الأهم في "مصر" بطريقة "العمدة"؛ فكان يقرب الأحباء والأصدقاء ويبعد غيرهم بناءً على مبدأ الثقة لا الكفاءة.

وفي "العدوان الثلاثي" على "مصر"؛ كانت الأخطاء القاتلة لـ"عبد الحكيم عامر" كفيلة بمحاكمته عسكريًّا، وليس فقط بإخراجه من القوات المسلحة، ومع ذلك استمر الرجل في إطار صراع توازن القوى بينه وبين "عبد الناصر"، الذي لم يجرؤ على عزله، والغريب ـ طبقًا لما يقوله اللواء "جمال حماد" ـ أنه بدلًا من الاستفادة من أخطاء "حرب 56" وقراءة مذكرات وذكريات القادة العسكريين في "إسرائيل" والخارج عن تلك المعركة؛ مُنعت تمامًا تلك المذكرات والكتب من دخول "مصر"، وعاش القادة المصريون أسرى خواطرهم وتخيلاتهم الذاتية."2"

بدأت المعركة سياسيًّا مع توترات في المنطقة وتبادل لتصريحات بين القادة الإسرائيليين والزعماء العرب. وفي مايو 1967م؛ بدت أنباء تُداول عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية، ورد السوريون بتأكيد أنهم قادرون على ردع "إسرائيل" وإلحاق الهزيمة بها.

الحرب

يقول "وجيه أبو ذكري" في كتاب "المذبحة":

"في بداية مايو سربت القيادة السوفيتية تقريرًا إلى السفارة المصرية في موسكو؛ يؤكد أن هناك حشودًا إسرائيلية هائلة على الحدود السورية، وأن هذه الحشود تهدف إلى احتلال الجولان السورية وإسقاط دمشق، بعد هذا التقرير مباشرة، صدرت أوامر الرئيس "جمال عبد

2ـ "جمال حماد" ـ المعارك العسكرية على الجبهة المصرية في أكتوبر 1973م ـ الزهراء للنشر.

الناصر" إلى القيام بحملات إعلامية ضد "إسرائيل"، ودخلت أجهزة الإعلام المعركة قبل أن تدخلها القوات المسلحة، أو حتى قبل أن نتحرى قصة الحشود"."3"

وسافر بالفعل وفد مصري عسكري إلى "دمشق" للتأكد من قصة الحشود؛ و لم يجد دليلًا واحدًا يؤكد صحة تلك الحشود.

وفي 14 مايو أبلغ الفريق "عبد المنعم رياض" - رئيس أركان حرب القوات المسلحة - الرئيس "عبد الناصر" بأن لديه رسالة من الملك حسين (وكانت العلاقات منقطعة بينه وبين ناصر).. تؤكد أن هناك فخًا تسعى بعض القوى إلى أن تُوقع "مصر" فيه للقضاء على قواتها المسلحة، وأن حسه القومي يدفعه لإبلاغه تلك المعلومات."4"

الخطير في الأمر.. أن صراع "ناصر" و"عامر" كان كفيلًا بتخبط القرارات والسيناريوهات الخاصة بالمواجهة؛ ففي 15 يونيو صدر قرار التعبئة العامة للقوات المسلحة، وطلب "ناصر" من القوات الدولية إخلاء المنطقة، وتحركت القوات المصرية للتمركز في سيناء بدون هدف أو خطة، كأنها تقدم فريسة سهلة لـ"إسرائيل".

وفي الساعة الثامنة من صباح 5 يونيو 1967م، وعلى مدى ثلاث ساعات ونصف الساعة؛ شنت الطائرات الإسرائيلية ثلاث غارات متتالية على المواقع المصرية والسورية والأردنية، في الغارة الأولى قصفت 172 طائرة ومطارات ومراكز عسكرية من "أبو صوير" حتى "الأقصر"، وفي الثانية شنت 161 طائرة غارات قصف مباشر لجميع المطارات والقواعد داخل سيناء، وفي الثالثة قصفت 157 طائرة باقي المواقع؛ ما جعل القيادة العسكرية المصرية تفقد توازنها تمامًا وتبدأ في الانهيار."5"

ولا شك أن ذلك الانهيار دفع "المشير عبد الحكيم عامر" دفعًا إلى إصدار قرار فجر يوم 6 يونيو بالانسحاب، وكان مجموع القتلى المصريين وقتها 294 شهيدًا، وبعد الانسحاب ارتفع العدد – طبقًا لتقديرات "هيكل" – إلى 6811 شهيدًا."6"

***

3- "وجيه أبو ذكري" - 5 يونيو المذبحة - ط 4 - المكتب المصري الحديث - 1987م - ص 148.

4- "محمد حسنين هيكل" - مرجع سابق - ص 438.

5- المصدر السابق - ص 710، 711.

6- المصدر السابق - ص 712.

في تلك الأثناء؛ كان "سعد الشاذلي" برتبة لواء.. وكان يقود وحدة مقتطعة من تشكيلات عديدة تضم كتيبتي صاعقة وكتيبة مشاة وكتيبة دبابات، وكانت الفرقة يطلق عليها "مجموعة الشاذلي"، وتضم 1500 رجل، ويحكي "الشاذلي" ما يدلل على التخبط في إدارة القوات المسلحة خلال الحرب؛ فيقول:

"وخلال الأسابيع الثلاثة السابقة علي الحرب؛ كلفت أولًا بمهمة في المحور الجنوبي، ثم ألغيت، ثم كلفت بمهمة ثانية في القطاع الشمالي، ثم ألغيت، ثم كلفت بالمهمة الثالثة والأخيرة؛ وهي التمركز جنوب المحور الأوسط، وعلى مسافة 20 كيلومترًا من الحدود الدولية؛ وذلك لمنع وتعطيل أي قوات للعدو تنطلق من مضيق (لصان والمعين)، وعندما أنهيت استعدادي لتنفيذ هذه المهمة الأخيرة؛ كنت قد قطعت نحو ألف كيلومترٍ من التحركات التي أرهقت الجنود، وكان لها تأثير سيئ على كفاءة المركبات والدبابات"."7"

أي تخبط ذلك؟ ومن هو ذلك القائد العسكري الذي يطلق مثل هذه الأوامر؟ لقد قطع "الشاذلي" وفرقته أكثر من ألف كيلو مترٍ قبل أي حرب، وكان من الواضح أنه لم تكن هناك خطة أو هدف أو استراتيجية، وهنا؛ فإن الاجتهاد الشخصي للقائد هو الحل.

ويقدم "الشاذلي" شهادته عن الحرب لـ"أحمد المسلماني" وكيف واتته أغرب فكرة يمكن لقائد عسكري أن ينفذها في مثل هذه المعركة؛ فيقول:

"بدأت "إسرائيل" الحرب، وبدأت في قصف جميع المطارات وتدمير الطائرات وهي جاثمة على الأرض تمامًا كما حدث في العام 1956م، وقررنا العودة كل منّا إلى قيادته، لم أستطع العودة في طائرة الهليكوبتر بعد أن أصبحت للعدو السيطرة الجوية؛ فركبت مع اللواء "عثمان نصار" قائد الفرقة الثانية الذي أعطاني عربة أوصلتني إلى مركز قيادتي نحو الساعة الثانية بعد الظهر، وطُوال رحلة العودة؛ كنا نرى الطائرات الإسرائيلية تجوب سماءنا ذهابًا وإيابًا؛ بدون أن يكون هناك أي ظهور لطائراتنا، بما كان يوحي بحجم الكارثة التي أصابت قواتنا الجوية.

بعد الوصول إلى مركز قيادتي؛ حاولت الاتصال بالقيادة بدون جدوى، فكان الاتصال مقطوعًا بيني وبين القيادة في سيناء، بل أيضًا بين قيادتي والقيادة العامة في القاهرة؛ فكانت

7- مقالات أحمد المسلمانى عن الشاذلي - جريدة المصري اليوم - سبتمبر 2006م.

المنطقة التي أتمركز فيها هي منطقة مفتوحة بدون أي هيئات أرضية، وبالتالي؛ فإنها يمكن أن تصبح فريسة سهلة لطيران العدو.. وكان مضيق "الصان" الذي يقع على بعد نحو خمسة كيلومترات داخل حدود "إسرائيل"؛ يوفر لي الحماية الجوية والأرضية"."8"

مغامرة في "إسرائيل"

وهنا.. فقد قرر "الشاذلي" مغامرة جريئة والسير في الاتجاه المضاد، لقد فكر الرجل جيدًا ويبدو أنه تشاور مع رجاله ـ كما كان يفعل دائمًا – ووجد أن العودة غربًا قد تعرضه لقصف مباشر من الطيران الإسرائيلي، وقد تؤدي إلى خسائر بالغة في الأرواح والمعدات، وهنا؛ اتخذ القرار غير المتوقع.. وهو التوغل بقواته داخل حدود "إسرائيل"، والتمركز في أي منطقة مهيأة لذلك، وفي الغالب، فإن هذه المغامرة العسكرية أشبه بمغامرة "آرييل شارون" في "حرب أكتوبر"؛ عندما استغل ثغرة بين القوات المصرية وعبر منها إلى "الدفرسوار" وحاصر "السويس".

يحكي "الشاذلي" لـ"أحمد منصور" بعض تلك التفاصيل؛ فيقول:

"الحقيقة.. اعتمدت على الاستماع إلى إذاعة العدو، ووجدت أنهم يصدرون بلاغات بدت خطيرة بالنسبة لي، لقد دخلوا "رفح"، ويطلقون نداءات لسكان "العريش" لرفع الرايات البيضاء!! ولم أكن أعرف الموقف بالضبط، وكان هناك انقطاع كامل في المواصلات... كيف أتصرف؟ أخذت أدرس الخريطة؛ فوجدت بعد الـ20 كيلو مترًا داخل حدود "إسرائيل" منطقة جبلية، وليس أمامي عدو سوى الطيران، وليس لدي أية إمكانيات من أي نوع، واتخذت القرار...

قبل المغرب.. دخلت إلى المنطقة، وقطعت نحو 25 كيلومترًا تقريبًا داخل حدود "إسرائيل".. وعسْكرتُ هناك، وكانت بقربي بئر مياه استقررت بجانبها"."9"

ثم يقول:

"في 6 يونيو.. أخذت أحاول الاتصال بالقيادة لكن لا يوجد اتصال ولا أخبار؛ فبعثت ضابطًا ليحاول التعرف على الموقف؛ فلم يعد وفي يوميّ 6 و7 يونيو؛ رآني الطيران الإسرائيلي؛

8ـ "سعد الشاذلي" شاهد على العصر ـ الجزيرة 1993م.

9ـ المصدر السابق.

لكنه لم يكن يستطيع قصفي لأني بين جبلين، وفي يوم 8 يونيو؛ وصلني الاتصال بالقيادة وطلبوا مني الانسحاب؛ فبقيت حتى المغرب وانسحبت في الظلام"."10"

في طريق عودته إلى "مصر".. رأى "سعد الشاذلي" منظرًا فظيعًا: السيارات محترقة، والدبابات مدمرة، والجثث المصرية ملقاة على الطريق.. منظرًا لم يتمنه ولكنه فُرض عليه فرضًا، كما فرض على "مصر" أن تدفع ثمن الهزيمة.

ورغم أنه اختار الليل ساترًا، وانتقى طرقًا غير معتادة للمرور بقواته؛ فإن الطيران الإسرائيلي فاجأه خلال انسحابه، وقصف قواته متخيرًا الدبابات حتى فقد نحو 20% من قواته، وعندما وصل إلى المعابر؛ أزالها المهندسون حتى لا تُستخدم في عبور قوات إسرائيلية إلى غرب القناة، وبقي أربعة أيام قائدًا للواء مشاة؛ كانت مهمته منع عبور أي قوات إسرائيلية إلى غرب قناة السويس.

رئيس أركان القوات المسلحة

(الحياة معركة.. من لا يحاربها ميت، ولو ما تزال تحمله قدماه)

"يوسف إدريس"

دروس عديدة تعلمها اللواء "سعد الشاذلي" من حرب يونيو..

الدرس الأول؛ أن الصراع بين السياسة والعسكرية يضر بمصلحة الوطن.. كان "عبد الحكيم عامر" يجمع شلته حوله ويؤثرهم بالمزايا والمواقع الحساسة، لا عن خبرة ولكن عن ثقة، وربما تزلف ونفاق، ومن المتصور أن "الشاذلي" كان خارج تلك الشلة بحكم زمالته القديمة لـ"جمال عبد الناصر" وجيرتهما، وبحكم صلة المصاهرة التي ربطت بينه وبين كبير ياوران "عبد الناصر" الفريق "سعد الدين متولي".

وفي تصور الرجل أن "عبد الحكيم عامر" كان أقوى من "عبد الناصر"؛ لأن بيده ورقة القوات المسلحة التي كان يسيطر عليها تمامًا.

ثاني الدروس التي آثر أن يقولها "الشاذلي" في شهادته على العصر.. أنه لا يجوز أن تدخل حربًا بلا هدف أو خطة أو إعداد أو تدريب، لقد كان بعض القوات موجودًا باليمن، بينما كانت القيادة السياسية تصعد التوتر؛ بما يعني أن الحرب ستقوم لا محالة.

ثالث الدروس؛ أن الاغترار بالقوة، وحجب المعلومات، والانفراد بالرأي؛ تكون له نتائج كارثية، ومن هنا يقرر "الشاذلي" أن الديمقراطية هي أفضل وسائل الحكم والإدارة في أي موقع.

رابع الدروس؛ أن القوات الجوية عنصر رئيس وفعال في أي معركة، لذا؛ فلا يمكن أن تدخل معركة برية بدون غطاء جوي.

خامس الدروس؛ أن اختيار ميدان الحرب كان خطأ، كما كان اختيار توقيت الحرب خطأ أكبر؛ لأن ذلك أدى إلى صعوبة وضع استراتيجية عسكرية."1"

1ـ حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر، الجزيرة، 1993م.

إعادة بناء القوات المسلحة

بعد أن عاد "الشاذلي" إلى غرب القناة؛ اختير قائدًا لفرقة العمليات الخاصة، وكانت تضم الصاعقة والمظلات، وعاشت القوات المسلحة المصرية لحظات قلق وحرج شديد خلال صراع "عامر" و"ناصر"، الذي انتهي بحادث انتحار "عامر" قبل أيام من سفر "عبد الناصر" إلى "الخرطوم" لحضور القمة العربية.

إن الفريق "سعد الشاذلي" يحكي لابن خاله "عبيد العقاد" هذه الواقعة، التي اختصنا بها "العقاد" بعد 44 عامًا على حدوثها:

"في أزمة المشير "عامر"؛ تجمع كثيرٌ من الضباط والقادة حوله، وجاءتنا الأنباء أن هناك ما يخطط له.. وفي يوم من الأيام؛ فوجئت باستدعاء من الفريق "فوزي" و"رياض"، وطلبا مني التوجه بقوة من الصاعقة إلى بيت المشير "عامر" والقبض على جميع الضباط المجتمعين داخل البيت، وأسقط في يدي؛ لأنني خشيت أن تشتبك قوات الصاعقة التي معي مع قوات صاعقة المشير "عامر"، وأخذت أدعو الله وأنا في الطريق أن يعفيني شر المهمة، ولم يلبث أن تلقيت اتصالًا بوقف المهمة كأن شيئًا لم يكن، وعلمت أنهم أوكلوها لفرقة مدفعية حتى لا يشتبك جنود الصاعقة مع جنود صاعقة، وحمدت الله أن انتهى الموضوع بسلام، وعلمنا بعدها قصة انتحار المشير، وأنا أميل لتصديقها، وقد سألت حسين الشافعي مرارًا عن انتحاره، وأكد لي أن المشير انتحر، وأنا أصدقه"."2"

بعد ذلك بدأ "عبد الناصر" إعادة بناء القوات المسلحة؛ فكان إخراج معظم رجال "عامر" وإحلالهم بمجموعات جديدة تابعة لـ"عبد الناصر"، ولا شك أن "الشاذلي" كان من أنصار وأحباء "عبد الناصر"، كما أن شقيق زوجته "سعد الدين متولي" كان ياوران "عبد الناصر"؛ مما أسهم في تلطيف الطريق بينهما.

اختير "الشاذلي" يوم 11 يونيو 1967م قائدًا للقوات الخاصة، وقد نجح في دمج قوات الصاعقة والمظلات معًا؛ حتى إن بعض زملائه كانوا يتندرون على ذلك بتسميته بـ"مينا" موحد القطرين.

ويكشف "الشاذلي" أن قوات الصاعقة تحملت عبئًا كبيرًا خلال سنوات حرب الاستنزاف، التي كانت جزءًا رئيسًا من استراتيجية المواجهة مع "إسرائيل"."3"

---

2. محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - طنطا – يونيو 2011م.
3. حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر، الجزيرة، 1993م.

لقد دارت معارك عديدة بين "مصر" و"إسرائيل" خلال سنوات الاستنزاف، أسهمت في إعادة تأهيل القوات المسلحة المصرية، ودفعها إلى تحقيق خبرات متراكمة من التلاحم المباشر، وظلت أسلحة الدفاع الجوي عائقًا ضد الطيران الإسرائيلي حتى تدميره تمامًا في 1969م، وهو ما دفع "عبد الناصر" إلى السفر إلى "موسكو" وطلب أسلحة ومساعدات، وعاد بعد أن قدم الاتحاد السوفيتي لـ"مصر" أسلحة متطورة في الدفاع الجوي، ومعها كتيبة دفاع جوي سوفيتي ونحو مئة طيار روسي. "4"

لقد ظهرت هذه القوات السوفيتية بالفعل في 18 إبريل من العام 1970؛ عندما اكتشفت الطائرات الإسرائيلية أن الطيارين المواجهين لهم يتحدثون اللغة الروسية، وكانت المرة الأولى والأخيرة التي شاركت فيها قوات عسكرية سوفيتية في المعركة.

إن ذلك الموقف يعطي "الشاذلي" مبررًا قويًّا للدفاع عن الموقف السوفيتي من "مصر"، ويعتقد ـ في كتاب مذكراته عن حرب أكتوبر ـ أن طردهم من "مصر" كان خطئًا كبيرًا، لكن على الجانب الآخر؛ كان المشير "الجمسي" يرى أن إبعادهم من "مصر" كان قرارًا صائبًا، وأنه لم يؤثر بالسلب على دعمهم لـ"مصر" خلال حرب أكتوبر، وهو في ظني الأقرب للصواب.

***

قائد منطقة البحر الأحمر

في العام 1969م؛ جرت تغييرات عديدة في القوات المسلحة، وأقيل الفريق "أحمد إسماعيل" من منصب "رئيس الأركان" على أثر غارة جوية شنتها "إسرائيل" على "رأس غارب"، واختير الفريق "محمد "صادق" بدلًا منه، وكان الفريق "أحمد إسماعيل" قد اختير لرئاسة أركان القوات المسلحة في مارس 1968م عقب استشهاد الفريق "عبد المنعم رياض" خلال زيارته للجبهة؛ نتيجة إصابته بقذيفة إسرائيلية.

كان "إسماعيل" ـ كما ذكرنا من قبل ـ على خلاف مع "سعد الشاذلي"؛ نتيجة الخلافات التي نشبت بينهما في "الكونغو"، ويبدو أن كليهما لم يتمكن من فتح صفحة جديدة مع الآخر، وظلت الكراهية المتبادلة مستقرة في القلوب زمنًا طويلًا، لذا؛ لم يكن من السهل أن يتولى "الشاذلي" أي منصب قيادي في ظل رئاسة "إسماعيل" أركان حرب القوات المسلحة.

4. "محمد عبد الغني الجمسي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ هيئة الكتاب ـ ص 231.

وحتى عندما اختير "إسماعيل"؛ سارع "الشاذلي" بتقديم استقالته؛ إلا أن "عبد الناصر" بعث إليه زوج كريمته "أشرف مروان" وأخبره أن الاستقالة قد تعني موقفًا ضد "عبد الناصر" نفسه، ودفعه إلى التراجع عن استقالته ووعده بألا يحتك به أبدًا، وهو ما كان."5"

في ذلك العام اختير؛ "الشاذلي" قائدًا عامًا لمنطقة "البحر الأحمر"، وهي منطقة كبيرة متسعة كانت مسرحًا لمغامرات إسرائيلية ساذجة، كان الإسرائيليون يحطون بطائرة أو طائرتين على طريق قنا ليلًا، ويوقفون الأتوبيسات أو السيارات النقل، وينزلون ركابها ويجبرونهم على الركوب معهم في طائراتهم؛ ثم يعلنون أنهم أسروا 20 مصريًا أو عشرة مصريين، وفي إحدى المرات أوقف الإسرائيليون ضابطا مصريًا وذبحوه.. وفي مرة أخرى داسوا بدباباتهم على سيارة المحافظ.

كانت ـ بلا شك ـ تلك العمليات تعد بالمفهوم العسكري عمليات رخيصة؛ لأن الأسرى هنا كانوا مدنيين؛ لذا؛ فقد قرر "الشاذلي" فور توليه قيادة منطقة "البحر الأحمر" وقف تلك العمليات المستفزة تمامًا؛ وقسم الرجل فرق مهندسين على الطريق لعمل دوريات مرور عسكرية بدءًا من وقت الغروب؛ بما يمنع تمامًا تلك العمليات."6"

وربما ما لا يعرفه كثيرون؛ أن "سعد الشاذلي" خطط ودرب لعمليات صاعقة قوية ضد الإسرائيليين، ولعل شهادة اللواء "محمد أحمد التميمي" ـ أحد رجال الصاعقة المصرية ـ تجلي جانبًا من هذه العمليات التي كان "الشاذلي" هو العقل المدبر لها؛ إذ تقول شهادة الرجل:

"خطط اللواء "سعد الشاذلي" خلال الفترة من سبتمبر إلى ديسمبر 1969م، ودرب ضباطًا مصريين على عمليات إغارة على قوات العدو الإسرائيلي داخل "خط بارليف"، وفي 30 مايو 1970م؛ نظمت القوات المدربة عمليتي إغارة داخل سيناء؛ أسفرت الأولى التي شنتها "الكتيبة 83 صاعقة" عن قتل 35 إسرائيليًا وأسر اثنين من الكتيبة الجولاني الإسرائيلية.

أما العملية الثانية؛ فقد أسفرت عن تدمير "اللواء 135 مشاة" إحدى النقاط القوية داخل "بارليف"، وقتل 13 إسرائيليًا، وأسر جندي واحد، وهو ما دفع "جولدا مائير" إلى الاستغاثة بالرئيس الأمريكي "نيكسون" لعرض مبادرة لوقف إطلاق النار، وهو ما دفعهم بالفعل إلى تقديم مبادرة "روجرز" في العام 1970م."7"

***

5ـ "سعد الشاذلي" مذكرات حرب أكتوبر ـ الطبعة الثانية ـ 1981م ـ ص 190.

6ـ حلقات سعد الشاذلي شاهد على العصر، الجزيرة، 1993م.

7ـ شهادة اللواء "محمد أحمد التميمي" أحد ضباط الصاعقة في "حرب الاستنزاف" مقدمة إلى المؤلف من العميد متقاعد "يحيى الشاذلي" "لقاء خاص، يونيو 2011م".

مايو 1971م

لقد كانت سهام النقد توجه كثيرًا إلى الشاذلي لاختياره رئيسًا للأركان، متخطيًا بذلك الاختيار نحو 40 شخصًا في الأقدمية – طبقًا لمذكرات كثير من العسكريين، لكن مناقشة موضوعية لذلك الاختيار، تكشف أن الظروف لعبت دورًا غريبًا في ذلك التعيين، إلى جانب الكفاءة والخبرة المشهود له بهما.

لو كان اختيار "سعد الشاذلي" رئيسًا للأركان قد حدث في عهد "عبد الناصر".. لكان من الممكن الادعاء بأن ذلك حدث بوساطة من صهر "الشاذلي" الذي كان يعمل وقتها في رئاسة الجمهورية، أو لاعتبارات الصداقة والعلاقة القديمة التي ربطت "ناصر" به، وإن كان "عبد الناصر" نفسه لا يضع حدًّا لتلك العلاقات في قراراته السيادية، وقد ظهر ذلك جليًا في خلافاته مع كثيرٍ من أصدقائه من الكتاب والصحافيين، حتى زملائه داخل مجلس قيادة الثورة فيما بعد.

إن "سعد الشاذلي" يحكي الظروف المصاحبة لقصة اختياره رئيسًا للأركان؛ فيذكر في مذكراته أن كلمة حق قالها في مؤتمر عام ربما كانت سببًا في اختياره.

يحكي الشاذلي:

"في يوم 18 أبريل 1971م؛ اجتمع "المجلس الأعلى للقوات المسلحة" تحت رئاسة الفريق "فوزي". لم تكن وظيفتي التي أشغلها قائدًا لـ"منطقة البحر الأحمر العسكرية" تؤهلني لعضوية هذا المجلس، ولكني دُعيت لحضور المؤتمر.

وقد كان الموضوع الرئيس للمؤتمر.. هو بحث موضوع "اتحاد الجمهوريات العربية"، وقد بدأ الفريق "فوزي" حديثه بمقدمة مفادها؛ عدم علمه المسبق بهذا الإعلان، وأنه علم به رسميًا نحو الساعة الواحدة صباحًا؛ أي قبل إذاعته في الصحف بخمس ساعات فقط، وتساءل عن الفوائد التي يمكن أن نجنيها من هذا الاتحاد، ولا سيما أن علاقتنا الحالية مع "سوريا" طيبة جدًّا، وأخطرنا بأنه يوجد اتفاق سري بين "مصر" و"سوريا" تم في نوفمبر 1970م، وبموجبه أصبح وزير الحربية المصري سلطة قيادة القوات السورية أيضًا، كما أخطرنا أن آراء الفريق "صادق" رئيس الأركان في ذلك الوقت تتفق تمامًا مع آرائه".

ثم يقول "الشاذلي":

"طلب الفريق "فوزي" آراءنا في الانضمام إلى اتحاد الجمهوريات العربية، وهاجم جميع

المتحدثين ذلك، وعندما جاء دوري أيدت الاتحاد وفندت الأسباب المختلفة التي اعتمد عليها الآخرون في معارضتهم له، وخلصت إلى أنه إذا لم يكن هناك أي نفع لـ"مصر" من هذا الاتحاد؛ فإنه ليس هناك أي غرم"."8"

ويصف "الشاذلي" ما جرى بأنه كان غريبًا على القادة العسكريين، الذين تصوروا أنه لا يعرف أصول اللعبة السياسية؛ إذ كان الظاهر أن الرئيس "السادات" رئيس لا سلطات له، وأن السلطة الحقيقية في أيدي اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي، وكان "السادات" يؤيد الانضمام إلى اتحاد الجمهوريات العربية، بينما كانت مراكز القوى ترفض ذلك؛ إحراجًا له، وإظهارًا لضعفه.

إن الأستاذ "هيكل" يضع يديه بدقة على اختبار القوة بين مراكز القوى و"السادات" فيما يخص اتحاد الجمهوريات العربية، الذي قال عنه "السادات": "إن إعلان قيام الوحدة الكبرى خطوة عظيمة على طريق الوحدة"...

وينقل لنا "هيكل" تقرير رأي عام سريًا يتضمن رأي "القوات المسلحة المصرية" في اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية بين "مصر" و"سوريا" و"ليبيا".. يظهر فيه بوضوح تدني لغة الخطاب الموجه من الفريق محمد "فوزي" وزير الحربية إلى رئيس الجمهورية، عندما يقرر آراء سياسية من صميم عمل الساسة ولا دخل للعسكريين بها مثل: "أكتافنا هتتعب من كتر الشيل"، و"لا ثقة في البعث السوري"، و"إزاي يتم اتحاد بين دول متشككة في بعض"."9"

وفيما بعد تصاعدت الصراعات بين "السادات" ومراكز القوى، وانتصر "السادات" بدهائه عندما أقال "علي صبري"، ثم قبل استقالات مجموعة مراكز القوى وإعلانها، ثم الاستعانة باللواء "الليثي ناصف" قائد الحرس الجمهوري لتأمين الشرعية في مواجهة مراكز القوى، كما استعان "السادات" أيضًا بالفريق "محمد "صادق" رئيس أركان القوات المسلحة في ذلك الوقت، الذي كان قد اعترض على الفريق "فوزي" في مؤتمر عام عرض فيه استقالته وهاجم "السادات".

لقد كان من الطبيعي أن يتم اختيار "صادق" وزيرًا للحربية بعد موقفه؛ حتى يمكن لـ"السادات" تأمين القوات المسلحة رغم أن هواه كان مع الفريق "أحمد إسماعيل" الذي أخرجه "عبد الناصر" من أركان حرب القوات المسلحة في العام 1969م، وهو ما دفعه إلى اختياره رئيسًا لجهاز المخابرات العامة مؤجلًا اختياره وزيرًا للحربية إلى حين.

8- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2 - 1981م - ص. ص. 138، 139.
9- "محمد حسنين هيكل" - أكتوبر 1973 السلاح والسياسة - ط1- 1993م - ص. ص. 161، 162.

في اليوم التالي لثورة 15 مايو الساداتية أو انقلاب مايو ـ كما يحب الناصريون أن يسموه – تم استدعاء "سعد الشاذلي" لاستلام منصبه الجديد رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة، ليتخطى ـ بتعبير "الشاذلي" نفسه ـ 30 ضابطًا يسبقونه في الأقدمية.

إنه يقول عن ذلك:

"قد يعتقد البعض أن هذا التعيين جاء بناء على موقفي في مؤتمر المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم 18 إبريل، ولو أخذنا بهذا التفسير؛ لكان منطقيًا أن يقوم "السادات" بالتخلص من جميع الأعضاء الذين وقفوا ضده لكي يأمن شرهم، ولكن هذا لم يحدث..

وفي يوم 17 مايو؛ قابلت رئيس الجمهورية في منزله بالجيزة برفقة الفريق "صادق"؛ حيث أشاد بما يعرفه عني من قدرات وإمكانيات وانضباط عسكري وأنه يثق بي ثقة كبيرة"."10"

رأي "الجوّادي"

أما الدكتور "محمد الجوّادي" فله رأي خاص في قصة تعيين "الشاذلي" رئيسًا للأركان؛ حيث يرى أن وضع الفريق "الشاذلي" في القوات المسلحة كان وضعًا استثنائيًا خاصًا صنعه الرئيس "أنور السادات" بعبقريته الخاصة؛ فيقول:

"إن الفريق "سعد الشاذلي" تخرج في الكلية الحربية دفعة يوليو 1940م؛ وهكذا كان تاليًا في كشف الأقدمية لمجموعة كبيرة من القادة الذين أصبح رئيسًا عليهم بفضل قرار "السادات" اختياره رئيسًا للأركان عقب حركته التصحيحية في مايو 1971م، وقد خرج بعض هؤلاء من الخدمة في الفترة ما بين مايو 1971م واندلاع الحرب في أكتوبر 1973م؛ ولكن بعضهم بقي أيضًا في الخدمة حتى اشترك في الحرب في ظل رئاسة "الشاذلي" للأركان، وربما كان المشير "الجمسي" نفسه أبرز هؤلاء؛ فالرجل تخرج في دفعة 1939م ووصل إلى مناصب رئيسة متقدمة جدًا في القوات المسلحة منذ 1961م؛ إذ عُين قائدًا للمدرعات، كما عُين رئيسًا لهيئة العمليات في القوات البرية 1966م، ورئيسًا للعمليات في مركز القيادة العامة في حرب 1967م، ثم رئيسًا لأركان الجبهة عقب هزيمة 1967م، وغيرها من المناصب.

لكن المفاجأة الكبرى حدثت عند إجراء "السادات" حركته التصحيحية في مايو 1971م؛ إذ قفز اللواء "الشاذلي" خريج دفعة يوليو 1940م ليكون رئيسًا للأركان، وليسبق بهذا عددًا

10ـ "سعد الشاذلي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ ط 2 ـ 1981م ـ ص 144.

كبيرًا من القادة الذين يتولون مواقع قيادية في القوات المسلحة لم يمر بها "سعد الشاذلي" نفسه، ومع أن التقليد العسكري يتطلب في مثل هذه الحالة خروج كل من هم أقدم من "سعد الشاذلي"، إلا أن هذا لم يحدث ولا حتى بطريقة جزئية.

ويبدو أنه كان هناك أكثر من سبب لهذا؛ فقد كان المناخ العام مناخ انكسار لا يسمح بالتفكير في مثل هذه الترتيبات، كما كانت الظروف المحيطة في ذلك الوقت تشهد توترًا لا مثيل له، وقد خرج معظم أقطاب السلطة الفعلية في الوطن في أسبوع واحد من مناصبهم إلى المعتقل بمن فيهم وزير الحربية نفسه، ومدير المخابرات العامة، ووزير الداخلية، وعدد كبير من القادة العسكريين الذين أيدوا جميعًا وزير الحربية فيما يتعلق بالوحدة مع "سوريا"، بينما أيد قائد واحد هو "سعد الشاذلي" الرئيس "السادات"، وهذا ما يعتقده الفريق محمد "فوزي"."11"

ثم يقول أيضًا:

"ويبدو لي أن "الشاذلي" لم يتجاوز زملاءه الباقين في خدمة الجيش فقط؛ لكنه تخطى أيضًا عددًا من اللواءات في الأفرع الأخرى للقوات المسلحة كانوا قد سبقوه إلى رتبة اللواء"."12"

ويخلص الرجل إلى رأي غريب قد ينفرد به؛ ألا وهو أن "سعد الشاذلي" هو رجل "أنور السادات" في القوات المسلحة، على نحو شبيه بـ"عبد الحكيم عامر" بالنسبة لـ"ناصر" — مع الفارق — وهو ما آثار حالة من القلق بين القادة العسكريين، ويبدو أن "السادات" استشعر ذلك؛ وهو ما جعله لا يواصل تصعيد "الشاذلي" إلى موقع الفريق "صادق" بعد خلافه معه، واضطر إلى أن يعود خطوة إلى الوراء ويختار (أحمد إسماعيل)."13"

11- د. "محمد الجوّادي" - صانع النصر المشير "أحمد إسماعيل" - جهاد للنشر ط 3 - 2005م - ص. ص. 255، 256.

12- المصدر السابق - ص 257.

13- المصدر السابق - ص 258.

الطريق إلى المعركة

(إذا كنت تعرف العدو، وتعرف نفسك؛
فإنك لا تحتاج إلى الخوف من نتائج المعركة)

"الحكيم الصيني صن تزو"

من الصعب جدًّا أن تنتصر بجيشٍ خاض حربًا وانهزم بشكلٍ مزرٍ.

كثيرًا ما كان السياسيون يقولون ذلك، أتذكر حديثًا متكررًا للأستاذ "محمود أباظة" رئيس حزب الوفد السابق، يقول فيه إن جيل الهزائم من الصعب أن يصنع نصرًا.

لقد كانت معجزة أن تحقق "مصر" نصرًا في "حرب أكتوبر" بجنودها أنفسهم الذين حاربوا في 1967م، الأغرب أن النصر تحقق بمشاركة القادة العسكريين أنفسهم.

من يراجع أسماء قادة النصر؛ يجدهم جميعًا حاربوا في يونيه؛ "أحمد إسماعيل" حارب في يونيه، و"سعد الدين الشاذلي" حارب في يونيه، وكذلك "محمد عبد الغني الجمسي". وهم الثلاثة الذين صنعوا نصر أكتوبر العسكري في ظن "محمد حسنين هيكل"."1"

***

ومما لا شك فيه أن الحرب نتاج سنوات طويلة من الإعداد والدراسة والتآلف والتدريب، وهي فترة لا ينبغي نسبتها لأحد ما، وإنما هي نتاج مشاركة عقول وقلوب مخلصة لـ"مصر".

لقد مر "سعد الشاذلي" بعدة منعرجات في حياته قبل لحظات النصر، يحكيها لنا في مذكرات شهيرة حملت اسم "مذكرات حرب أكتوبر"، ومنعت من دخول "مصر"، وصدرت طبعتها العربية في "الجزائر" محل إقامة الفريق "الشاذلي" خلال خلافاته مع القيادة السياسية في عهدي "السادات"و "مبارك".

1ـ "محمد حسنين هيكل" ـ أكتوبر 73 السلاح والسياسة ـ ط 1ـ 1993م ـ ص 296.

سنوات الفريق "صادق"

يحكي الرجل ملخصًا عامي ما قبل الحرب؛ فيقول:

"كان الفريق "صادق" وزير الدفاع أحد رجال الانقلاب الذي قام به "السادات" في مايو 71؛ وكانت هذه الصفة بالإضافة إلى كونه وزيرًا للحربية وقائدًا عامًا للقوات المسلحة؛ تعطيه سلطات واسعة على المستويين السياسي والعسكري. كان الجميع يعرفون قوة "صادق" بمن فيهم أنا طبعًا، ولكنه مع ذلك كونه بشرًا كان أحيانًا يحب أن يستعرض هذه القوة.

لقد ارتكب "صادق" أخطاء من سبقوه نفسها؛ إنه يبطش بأي ضابط يعترض طريقه، ويغدق العطاء على من يسير في ركابه، ويضيق صدره إذا سمع رأيًا مخالفًا"."2"

ثم يقول:

"حاول "صادق" أن يتوسع في سلطاته كما لو أنه رئيس أركان حرب القوات المسلحة.. كان يعتقد أنه بوصفه وزيرًا للحربية وقائدًا عامًّا للقوات المسلحة؛ فإنه وحده الذي له سلطة اتخاذ القرار، وأنه يتحتم عليّ أن أخطره بكل شيء وإلا اتخذ أي قرار، قلت له إنك تريدني أن أؤدي أعمال مدير مكتب لا رئيس أركان، وهذا ما لا أقبله، فما كان منه إلا أن أخرج من مكتبه القرار الجمهوري الذي استصدره سلفه الفريق "فوزي"، وقال لي تفضل واقرأ هذا القرار.. وأنت تعرف أني أعمل في حدود سلطاتي، ولإصلاح هذا الوضع بالنسبة للأجيال المقبلة دعوت لجنة لدراسة هذا الموضوع، وكانت هذه اللجنة تتكون من اللواء "عمر جوهر" رئيس هيئة تنظيم القوات المسلحة، واللواء "محمد عبد الغني الجمسي" رئيس هيئة العمليات، وآخرين، وتم الاتفاق على أن تكون هناك شخصية سياسية هي شخصية الوزير، أما باقي الشئون فمسئولية رئيس الأركان، وعرضنا ذلك على الوزير "صادق" فرفضها"."3"

محاولة الانقلاب الفاشلة

ظلت العلاقة بين الرئيس "السادات" والفريق "صادق" قوية منذ مايو 71 حتى أكتوبر 72؛ عندما اجتمع القادة العسكريون مع الرئيس "السادات" في منزله لشرح جميع أبعاد الموقف، وقد بدأ "السادات" الاجتماع بكلمة مطولة استعرض فيها تطورات العلاقات المصرية/ السوفيتية وقصة إنهاء عمل المستشارين السوفييت في "مصر" في يوليو 72.

---

2. "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2 - الجزائر - 1981م - ص. ص. 160، 161.
3. المصدر السابق - ص 164، 165.

وقال "السادات" إنه أخبر الفريق "صادق" أن القضية لن تتحرك إلا إذا تحرك الوضع العسكري، وكان من الواضح أن هناك ثلاثة قادة يعارضون ذلك هم: اللواء "علي عبد الخبير" قائد المنطقة المركزية، والفريق "عبد القادر حسن" نائب وزير الحربية، واللواء "محمود فهمي" قائد القوات البحرية، الذين كانوا مصرين على أن "مصر" ليس بمقدورها خوض حرب، وقتها لم يتكلم الفريق "صادق" و لم يبد رأيًا، وترك القادة العسكريين يواجهون "السادات".. إلا أنه يبدو أن "السادات" اتخذ وقتها قراره بإعفاء "صادق" واختيار "أحمد إسماعيل" مكانه."4"

وقد ذكر الفريق "صادق" أنه عاتب الرئيس "أنور السادات" بعد الاجتماع على حديثه بعصبية مع القادة العسكريين، وطلب منه "السادات" إحالتهم على المعاش فرفض، وعرض "صادق" استقالته على "السادات" فرفض، وطلب منه السفر في اليوم التالي إلى "سوريا" لحمل رسالة ما إلى الرئيس "حافظ الأسد"، ووقتها أيقن أنها حيلة للتخلص منه."5"

وفي 25 أكتوبر 1972م؛ استُدعي "أحمد إسماعيل" مدير المخابرات لحلف اليمين وزيرًا للحربية، والواضح أن إقالة الفريق "صادق" كانت حتمية ولازمة رغم ما قدمه من جهد في معارك الاستنزاف لعدة أسباب؛ كان منها أن وجهة نظره أن الحرب يجب أن تكون محدودة على غرار الاستنزاف، وأنه كان يبدي عداوة علنية شديدة تجاه السوفييت، وأنه كان يقرّب حوله "شلة" من كبار الضباط على حد تعبير "الشاذلي".

إن الأستاذ "هيكل" يشير إلى أن الفريق "صادق" كان يمكنه أن يسيطر على زمام البلد، وكان من حوله يحرضونه على ذلك، ويقول إنه كبح جماح أصدقائه وكبح جماح نفسه؛ لأن البلد لا يتحمل هذه الهزة "6"، لكن الفريق "الشاذلي" يفجر مفاجأة من العيار الثقيل، عندما يحكي أن "صادق" " خطط للانقلاب بالفعل، وأنه أعطاه ورقة من تحت الطاولة يوم اجتماع "السادات" بالقادة، وفيها يطلب تحريك القوات للاستيلاء على المواقع الحيوية داخل "القاهرة"، وأنه لم يتحرك و لم يتحدث مع أحد عن تلك الورقة حتى لا يُحاكم "صادق" ويصدر ضده حكم بالإعدام.

إن هذه الواقعة على غرابتها لم ترد حتى في مذكرات "الشاذلي" عن "حرب أكتوبر"؛ لأنها صدرت في حياة "السادات" وخشي "الشاذلي" أن يستغلها "السادات" في محاكمة "صادق"،

4ـ "جمال حماد" ـ المعارك الحربية على الجبهة المصرية 1973 ـ ط 2 ـ 1993م ـ ص. ص. 55، 65، 75 ـ "بتصرف"

5ـ المصدر السابق ـ ص 75.

6ـ "محمد حسنين هيكل" ـ أكتوبر 73 السلاح والسياسة ـ ط 1ـ 1993م ـ ص 260.

الذي تعرض لهجوم إعلامي غير مبرر من رجال "السادات"، والغريب أن تلك الواقعة ترد لنا منفردة في حديث أجراه "جمال النجار" مع "الشاذلي" في العام 2008، ونشر في مواقع إلكترونية عديدة أبرزها "إخوان ويكيبيديا"."7"

ويقول "الشاذلي" نصًا عن هذه الواقعة:

"من الواضح أن الفريق "صادق" قد أدرك أن "السادات" مصمم على الحرب فعلًا، وهو ما كان يراه الفريق "صادق" مغامرة بمستقبل "مصر"، وطبعًا من انفعال الرئيس "السادات" عليه أدرك أنه ينوي الغدر به، ولو تحركت من مكاني في ذلك التوقيت لتصور الفريق "صادق" أني أنفذ أمره، وأن الشرطة العسكرية قد سيطرت على القاهرة، ولكان له موقف آخر.

وأنا لم أتحرك لعدة أسباب؛ أولها أن "مصر" لم تكن تحتمل انقلابًا عسكريًّا في ذلك التوقيت؛ فالعدو يحتل "سيناء"، والقوتان الكبريان في ذلك التوقيت (أمريكا والاتحاد السوفيتي) قد قررتا استمرار الوضع على ما هو عليه في الشرق الأوسط.. لا سلم ولا حرب، ولا أحد يعلم موقفهما من انقلاب عسكري في "مصر" في ذلك التوقيت، الذي كان الشارع المصري فيه يغلي مطالبًا بالحرب والثأر، ويجب أن تكون جميع جهودنا في اتجاه الاستعداد للحرب، لا أن تهدر في صراع على السلطة مهما كانت مبرراته".

وتبدو هذه الشهادة التاريخية التي ترد لأول مرة؛ لتؤكد ـ بما لا يدع مجالًا للشك ـ أن حكمة "الشاذلي" أنقذت "مصر" من مصيرٍ مؤسف، ربما كان يمكن أن يمد احتلال سيناء إلى عدة عقود مثلما هي الحال في "الجولان"؛ فلو نفذ الفريق "صادق" الانقلاب لما كانت هناك حرب؛ خصوصًا أنه يكره "السوفييت"، ويعارض أي حرب ويعتبرها مغامرة غير مضمونة.

إن الأستاذ "هيكل" التقى الفريق "صادق" بعد المعركة بعدة سنوات؛ ووجده شخصًا مختلفًا تمامًا؛ يعيش حزينًا ويحمل كثيرًا من الكراهية للرئيس "السادات"، ويقول لهيكل "اسمع.. حاذر أن يدبروا لكَ حادث سيارة.. إنه سوف يتخلص من الجميع"."8"

وممّا يؤكد صدق رواية الانقلاب المخطط له من الفريق "صادق".. أن محاولة انقلاب فاشلة جرت بالفعل يوم 11 نوفمبر 1972م؛ وشارك فيها عدد من الضباط الذين يدينون بالولاء للفريق "صادق"، وأطلقوا على أنفسهم تنظيم "إنقاذ مصر"، وقد قُبِض على اللواء "علي عبد

8ـ "محمد حسنين هيكل" ـ أكتوبر 73ـ السلاح والسياسة ـ ط 1ـ 1993م ـ ص 260.

7ـ حوار مع الفريق "الشاذلي" ـ جمال النجار ـ موقع إخوان ويكيبيديا 2008م.

الخبير" قائد المنطقة المركزية، واعترف تفصيليًا بمحاولة الانقلاب، واتضح أن معه ضباطًا من الصاعقة والمشاة ومن عدة تشكيلات أخرى، ومن المعروف أن "عبد الخبير" كان أحد الضباط المقربين للمشير "عبد الحكيم عامر" عندما كان قائدًا عامًا للقوات المسلحة.

***

الإعداد للحرب

المهم أن المرحلة الحقيقة للإعداد للحرب بدأت مع قدوم المشير "أحمد إسماعيل" إلى وزارة الحربية، وإذا كان "الشاذلي" يشير في مذكراته إلى أن اختيار "إسماعيل" جاء لعدة أسباب؛ أهمها كراهيته لـ"عبد الناصر"، مرضه بالسرطان، ولاؤه المطلق لـ"السادات"، وشخصيته الضعيفة، وعدم حب الضباط له؛ فإنني كباحث موضوعي أتصور أن معظم تلك الأسباب لم تكن حقيقية، وإنما هي نتاج لحظة غضب من "الشاذلي" تجاه الرجل بعد خلافاتهم الشديدة."9"

إن "هيكل" - مثلًا - يرى أن "إسماعيل" و"الشاذلي" و"الجمسي" كانوا أفضل ثلاثة قادة عسكريين يمكنهم أن يقودوا القوات المسلحة في حرب ضد "إسرائيل".

ويقول في كتابه عن الحرب:

" لم يكن هؤلاء الثلاثة عباقرة في علم الحرب، ولا كانوا أساطير في قيادة القوات من أمثال "نابليون"، وإنما كانوا بالضبط أنسب طراز من القيادات العسكرية يمكن أن يكون متاحًا لبلد في ظروف "مصر"، وفى جميع الأحوال كان الثلاثة من أفضل فريق مصري متاح لقيادة عمل عسكري على الجبهة المصرية في العام 1973م."10"

والحقيقة.. أن المشير "أحمد إسماعيل" لم يكن - كما ذكر "سعد الشاذلي" في مذكراته - شخصية مكروهة، وربما يؤكد ذلك ما ذكره المشير "محمد عبد الغني الجمسي" في مذكراته أنه قابل "إسماعيل" في منتصف 1972م مصادفة في مطار القاهرة، وكان وقتها رئيسًا لجهاز المخابرات، وسأله هامسًا: متى ستحاربون؟ فأجابه: عندما تأتي أنت وزيرًا للحربية."11"

11- "محمد عبد الغني الجمسي" - مذكرات حرب أكتوبر 1973م - هيئة الكتاب - ص 215.
9- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2 - الجزائر 1981م - من ص 196 إلى 200.
10- "محمد حسنين هيكل" - أكتوبر 73 السلاح والسياسة - ط 1- 1993م - ص 296، 297.

ولا شك أن ذلك يعني أن طرح "إسماعيل" وزيرًا للحربية كان مقبولًا لدى القادة العسكريين، كما يعني أيضًا أنه لم يكن شخصية مكروهة ـ كما يذكر "الشاذلي".

كما أن المشير "أحمد إسماعيل" كان قائدًا محنكًا مشهودًا له بالكفاءة والالتزام العسكري، وهو من دفعة الرئيس "جمال عبد الناصر" نفسها في الكلية الحربية، وكان أفضل من تولى منصب رئيس الأركان، وقد كان الأول على "كلية ناصر العسكرية"، وقد كان للدكتور "محمد الجوّادي" الباحث والمؤرخ الشهير سبق جمع مناقبه وبطولاته في كتاب شهير حمل اسم "المشير أحمد إسماعيل.. مايسترو حرب أكتوبر"، وربما هو الكتاب الوحيد الصادر عن هذا الرجل الذي لم يترك لنا أي مذكرات شخصية، وقد يرجع ذلك إلى وفاته بعد انتهاء الحرب بعام واحد متأثرًا بإصابته بمرض السرطان، الذي قد يكون قد أصابه قبل المعركة بشهور قليلة.

والحقيقة أنه يحسب "للشاذلي" تقديره للأمور وتقديمه مصلحة "مصر" فوق مصلحته الشخصية في اتفاقه التام مع "أحمد إسماعيل"، وقيامه بالعمل معه رغم ما بينهما من خلافات سابقة، وهو ما يذكره "السادات" نفسه ويشيد به؛ إذ يقول في ذكرياته التي خص بها "أنيس منصور".. إنه استدعى "الشاذلي" وأخبره أن وزير الحربية الجديد سيكون "أحمد إسماعيل"، وأنه التزم بالعمل معه للإعداد للمعركة."12"

كما نجد أن المشير "الجمسي" ـ أيضًا ـ يشيد بذلك، مؤكدًا أن الخلافات بين "الشاذلي" و"إسماعيل" لم يكن لها أي محل طوال فترة الإعداد للمعركة."13"

وبالفعل سنجد التعاون وثيقًا بين جميع القادة للإعداد لأعظم وأكبر معركة، وسيقوم "الشاذلي" بوضع خطة تسمى بـ"المآذن العالية" بدلًا من "جرانيت 2"، ثم غُيّر اسم الخطة لتصبح "بدر".

إن أخطر ما يقدمه "الشاذلي" في مذكراته.. أنه لم تكن هناك خطة هجوم حتى العام 1971م ؛ وأن ما ذكره الفريق "محمد فوزي" وزير الحربية خلال الفترة من 1968م إلى 1971م عن وجود خطة هجومية غير صحيح، "كانت هناك خطة دفاعية هي الخطة 200، وكانت هناك خطة أخرى تدعى "جرانيت"؛ لكنها لم تكن خطة هجومية"، وبعد قدومه إلى منصب رئاسة الأركان؛ وُضعَت خطة أطلق عليها "المآذن العالية" كأول خطة هجومية، إلا أن تنفيذها كان يتطلب موافقة الاتحاد السوفيتي على توفير السلاح اللازم بأسرع وقت، وفيما بعد يخبرنا

12- "أنيس منصور" ـ من أوراق "السادات" ـ دار المعارف ـ ط 4 - 2010م ـ ص 360، 361.
13- "محمد عبد الغني الجمسي" ـ مذكرات حرب أكتوبر 1973م ـ هيئة الكتاب ـ ص 231.

"الشاذلي" أن تلك الخطة طُوِّرت لتصل إلى الشكل النهائي الذي جرى في "حرب أكتوبر 1973م" وأطلق عليها الخطة "بدر".

***

ثقة "الشاذلي"

ويتذكر "الشاذلي" أن "أحمد إسماعيل" قال له قبل المعركة بشهر "إننا سنقوم بالحرب؛ فإذا سارت الأمور على ما يرام؛ فإن أحدًا لن يهتم بتوجيه كلمة شكر لنا، أما إذا تطورت إلى موقف سيئ؛ فإنهم سيبحثون عن شخص يلقون عليه التبعة"، وقال له "الشاذلي" الذي كان دائمًا لديه ثقة كبيرة بالنفس "أنا شخصيًا لا يهمني أن أتلقى كلمة شكر أو لا أتلقى، إن سعادتي في إرضاء نفسي ولا أخشى كلمة لوم؛ لأني متيقن من ذلك بإذن الله"."14"

إن باقي استعدادات "حرب أكتوبر" معروفة للجميع، وقد تضمنت كيفية التعامل مع المانع المائي، ثم التوصل إلى فكرة إزالة الساتر الترابي عن طريق مضخات المياه وابتكار عربات جر جديدة للسير في الجبال، وكان للدعم العربي دور كبيرٌ في إنجاح المهمة؛ خصوصًا أن كثيرًا من الدول العربية قدمت أسلحة وطائرات وجنودًا للمشاركة في المعركة.

ويستعرض الرجل تفاصيل الدعم العربي لـ"مصر" قبل "معركة أكتوبر"؛ إذ يشير إلى أن "العراق" كانت أكثر الدول العربية التي قدمت أسلحة إلى "مصر"؛ تمثلت في سرب طيارات "هوكو هنتر"، وفرقة مدرعات، وفرقة مشاة، كما بعثت العراق بسربي طيارات على الجبهة السورية، أما "الجزائر" فتأتي في المرتبة الثانية؛ إذ قدمت إلى "مصر" سرب "ميج 21"، وسرب "سوخوى 7"، وسرب "ميج 17"، أما "ليبيا" فجاءت في المرتبة الثالثة، وقدمت سربي "ميراج" أحدهما يقوده طيارون ليبيون، والآخر يقوده طيارون مصريون، كما قدمت "السعودية" معدات وطائرات وذخيرة، وكذلك فعلت "المغرب"، وشارك "لواء سوداني" في الحرب."15"

ومما يحكيه أحد جلساء "الشاذلي".. أن الفريق ذهب إلى "القناة" ومعه اللواء "عبد المنعم واصل" قائد الجيش الثالث يوم 5 أكتوبر؛ ونظرا إلى مياه القناة وسأل "واصل": ماذا تتوقع أن يكون مشهد هذه المياه غدًا؟ فردَّ "واصل": جهنم إن شاء الله؛ فبكى "الشاذلي" واحتضنه "واصل" وهو يقول: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر."16"

14- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2- الجزائر 1981م- ص 63.

15- المصدر السابق - من ص 300 إلى 303.

16- من لقاء المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - الغربية – يونيه 2011م.

يوم كيبور "النصر الوحيد"

(من المميت دخول معركة بدون الرغبة في الفوز)

"الجنرال دوجلاس ماك آرثر "

يسمونها في "إسرائيل" حرب "كيبور"، وتعرف عالميًا بـ"حرب عيد الغفران"، ويطلق عليها في "مصر" اسم "حرب أكتوبر"، ويعتبرها الأستاذ هيكل "معجزة"، بينما يسميها الدكتور "محمد الجوّادي" "النصر الوحيد"، ويتذكرها الإسلاميون بـ"حرب العاشر من رمضان".

كانت "حرب أكتوبر" أعظم رد لكرامة الجيش المصري، الذي غُدر به في يونيه 1967م، وتعرض للإبادة خلال عملية انسحاب غبية نتجت عن صراع غريب بين السياسة والعسكر.

في 6 أكتوبر انتصر "أنور السادات" الذي أطلق قرار الحرب وأصرّ عليه، وانتصر المشير "أحمد إسماعيل" القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية، الذي التزم بتنفيذ عملية العبور بحكمة وإصرار، وانتصر الفريق "سعد الدين الشاذلي" الذي أقر وأعد خطة "بدر" وأشرف على تحركات القوات.

وانتصر المشير "محمد عبد الغني الجمسي" رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، الذي أدار المعركة بحرفية واقتدار، كما انتصر "سعد مأمون"، و"محمد علي فهمي"، و"أحمد بدوي"، و"عبد المنعم واصل"، و"فؤاد ذكري"، و"كمال حسن علي"، و"محمد سعيد الماحي"، و"حسني مبارك" وكل من شارك في إعداد عمل أو تنفيذ خطة أو القتال بشجاعة واقتدار، وانتصر الجندي المصري ـ خير أجناد الأرض ـ انتصارًا باهرًا لم يتوقعه أكبر خبراء العسكرية في العالم.

***

عبقرية "الشاذلي"

كيف حدث النصر، وماذا كان دور "الشاذلي"؟ هذا ما نحاول قراءته من خلال مذكرات الفريق، وما دونته أيدي مؤرخين وباحثين أفذاذ، بذلوا جهدًا مضنيًا للتعرف على أركان المعجزة.

إن عبقرية "سعد الشاذلي" خلال "حرب أكتوبر" تتجلى فيما لاحظه فيه عديد من المحللين الاستراتيجيين أنه كان يعشق الدخول في أدق التفاصيل، إننا نجده يعرض للأستاذ "موسى صبري" أهم العقبات التي واجهت القوات المسلحة وكيفية إزالتها عرضًا وافيًا؛ يدل على أنه لم يكن مجرد مشرف على إزالة تلك العقبات، وإنما شارك بفكره ونفسه في إزالتها.

كانت المشكلة الأولى أن هناك خزانات المواد الملتهبة على مسافات متقاربة داخل قناة السويس؛ تُمكن العدو من إشعال النار في أي وقت لتحول مياه القناة إلى حمم ملتهبة تحرق كل شيء، وقد تسللت مجموعات من الصاعقة ليلًا لإغلاق تلك الخزانات بالأسمنت تمامًا.

أما المشكلة الثانية؛ فكانت كيفية إزالة الساتر الترابي الذي كان من الصعب على المتفجرات إزالته؛ حتى توصل أحد المهندسين الشبان إلى نظرية التجريف بالمياه، وجُرِّبَت ولاقتا نجاحًا كبيرًا.

وكانت المشكلة الثالثة تتمثل في كيفية القيام بأعمال الهندسة "الكباري" تحت نيران العدو، وقررنا الدفع بقوات مشاة عبر القناة لتأمين الكباري.

وكانت رابع المشكلات؛ هي كيفية صمود المشاة 24 ساعة لحين عبور الدبابات، وتم التغلب على ذلك باختراع عربات جر خفيفة تضم جميع احتياجات الجنود وتسليح الجنود المشاة بأسلحة مضادة للدبابات والطائرات.

أما خامس المشكلات؛ فكانت كيفية إتمام العبور بدون إصابات نتيجة نيران المدفعية الإسرائيلية، وقد تولت المدفعية المصرية هذه المهمة ودمرت مدفعية "إسرائيل" بنجاح.

وآخر المشكلات؛ كانت تخص تنظيم القوات بعد عبورها، وقد تم عمل خرائط وإشارات باللون الأحمر لتعريف القوات طرقها ومسالكها بعد العبور."1"

1- "موسى صبري" - وثائق حرب أكتوبر - ط 4- 1977م - أخبار اليوم - ص 285، 286، 287 "بتصرف".

كما طبع " الشاذلي" كتيبًا صغيرًا يمثل دليلًا للجنود للتعامل مع جميع تفاصيل حياتهم؛ لدرجة أنه تضمن كيفية ربط رباط الحذاء، وكيفية الاستحمام بنصف "زمزمية" مياه، كما أعد كتيبًا آخر تم توزيعه على الجنود باسم "عقيدتنا الدينية" يضم آياتٍ قرآنية تحث على الاستبسال والصمود في ميادين القتال وتُرغّب في الشهادة.

***

بداية المعركة

في الساعة الثانية ظهر السبت 6 أكتوبر؛ بدأت الحرب، كانت معلومات قد وصلت إلى "إسرائيل" فجر اليوم نفسه أن المصريين والسوريين سيشنون هجومًا شاملًا مع غروب شمس اليوم، ويبدو أن الوقت كان قد فات للقيام بضربة وقائية لإجهاض الهجوم.

إن الرئيس "السادات" ينسب لنفسه في كتاب "البحث عن الذات" فكرة الخداع الاستراتيجي، الذي جعل الحرب مفاجأة لإسرائيل، والذي تضمن الإعلان عن عمرة للعسكريين، وإرسال مبعوثين برسائل سلام للبحث عن تسوية سياسية للأزمة وغيرها من الأمور، والحقيقة أن كل ذلك كان نتاج عمل مشترك بين القيادة السياسية والعسكرية.

في الثانية ظهرًا؛ قصفت مئتا طائرة مواقع عسكرية وقواعد الإمدادات الإسرائيلية داخل سيناء، وحققت أهدافها بنجاح، لكن ما يعنينا أن الضربة الجوية لم تكن العنصر الأهم في الحرب - كما حاول نظام مبارك الإيحاء بذلك، إن قدرات القوات الجوية المصرية كانت محدودة في ظل عدم تقديم طائرات روسية حديثة للجيش المصري، واعتراف الجميع بتفوق السلاح الجوي الإسرائيلي.

وبعد عشر دقائق من بدء الضربة الجوية؛ كان ألفا مدفع غرب القناة تصب نيرانها على خط "بارليف". وفى الساعة الثانية و25 دقيقة؛ بدأت قوارب المطاط تعبر قناة السويس وشعار جنودها "الله أكبر"، في الوقت نفسه، عبر لواء دبابات برمائي، و لم تصل الساعة إلى الثالثة حتى كان أكثر من 14 ألف مقاتل من بينهم 800 ضابط قد عبروا القناة.

وفى الساعة الخامسة والنصف؛ كان عدد من عبروا القناة قد وصل إلى 32 ألف مقاتل، واستطاع مجموعة من المهندسين المصريين فتح ثغرات في الساتر الترابي باستخدام مضخات المياه، وهي فكرة من أفكار مهندس مصري كان يعمل في مشروع "السد العالي"، وقد أقيمت الكباري لعبور الدبابات وباقي القوات، ونجحت القوات المصرية في مهاجمة حصون خط "بارليف" والاستيلاء على معظمها.

يقول "الشاذلي" في مذكراته:

"بحلول الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد 7 أكتوبر؛ كانت قواتنا قد حققت نجاحًا حاسمًا في معركة القناة.. فقد عبرت أصعب مانع مائي في العالم، وحطمت خط "بارليف" في 18 ساعة، وقد تم ذلك بأقل خسائر ممكنة، فقد بلغت خسائرنا 5 طائرات و20 دبابة و280 شهيدًا وهو ما يمثل 2 ونصف في المئة من الطائرات و2 في المئة من الدبابات، وأقل من نصف في المئة من الرجال، أما العدو؛ فقد خسر 30 طائرة و300 دبابة وعدة آلاف من القتلى، وأصبحت أسطورة خط "بارليف" الذي كان يتغنى به الإسرائيليون في خبر كان"."2"

إن تقرير مكتب الشئون العسكرية السري في القوات المسلحة؛ يشير إلى نتائج مشابهة.. يقول التقرير:

"قدرت خسائر العدو بـ 28 طائرة و31 دبابة، ولم يتم حصر القتلى بعد، وهناك 11 أسيرًا"."3"

وفي "مصر"؛ فقد تمت إذاعة بيان عسكري يؤكد أن قوات إسرائيلية هاجمت "مصر"، وأن القوات المسلحة ترد عليها وقد عبرت القوات قناة السويس، بينما أذاعت "إسرائيل" بيانًا يعلن بدء هجوم القوات المصرية والسورية على سيناء وهضبة الجولان، وعقد "موشي ديان" وزير الدفاع مؤتمرًا صحافيًا قال فيه: سيصل الاحتياطي غدًا وسنحول المنطقة إلى مقبرة كبرى."4"

***

الهجمات المضادة

ويشرح "سعد الشاذلي" في مذكراته كيف حشد العدو الإسرائيلي يوم 8 أكتوبر قواته لهجوم مضاد، وفي تقديره أن عدد القوات كان متساويًا؛ إلا أن الدبابات الإسرائيلية كانت أحدث، ومع ذلك؛ فقد فشل الهجوم الإسرائيلي تمامًا، وفي اليوم التالي شن العدو هجومًا آخر تعرض للفشل وخسر خسائر كبيرة.

2- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - الجزائر - ط 2 - 1981م - ص 335، 336.
3- "محمد حسنين هيكل" - أكتوبر 73 السياسة والسلاح - ط 1 - 1993م - مركز الأهرام - ص 349.
4- "جمال حماد" - المعارك الحربية على الجبهة المصرية 1973 - ط 2 - 1993م - الزهراء للنشر - ص 149.

ومن المدهش أن "الشاذلي" زار الجبهة يوم 8 أكتوبر، واطلع على الكباري الممدودة فوق القناة؛ ووجد أن الطيران الإسرائيلي يركز ضرباته عليها، وأنها لن تصمد طويلًا؛ فقدم اقتراحًا إلى وزير الحربية بإنشاء كباري صماء عن طريق ردم أجزاء معينة عند القناة؛ وهو ما أيده تمامًا المهندس "عثمان أحمد عثمان" رئيس شركة "المقاولون العرب"، وتم تنفيذه لكن بعد وقت متأخر في ديسمبر من العام."5"

لقد كانت معجزة رجال بكل ما يحمله المعنى؛ حتى إن جميع مذكرات القادة العسكريين حفلت بإعجاب متزايد بالجندي المصري، إن "عامي مورج" قائد الكتيبة 599 دبابات بإسرائيل؛ يقول:

"لقد قاتل المصريون بشجاعة لا نظير لها، أشك أن يمتلك مثلها الجندي الإسرائيلي، أو أن يستطيع مواجهة الدبابة والقفز فوقها مثل الجندي المصري.. كنا ندهس الجندي المصري بالدبابة، وبعد أن تمر من فوقه يقوم ليقف على قدميه ويباغتك بصاروخ "آر بي جي" في مؤخرة الدبابة"."6"

ويقول "موشي ديان":

"في اليوم الرابع من الحرب؛ كان لدى "مصر" من الدبابات في سيناء أكثر مما عند دولة "إسرائيل"، ولو كانت "إسرائيل" قد استمرت في محاولة دفع المصريين إلى الخلف عبر القناة؛ لفقدنا قوتنا وتركنا "إسرائيل" وقتها بغير قوة"."7"

ويقول الدكتور "جمال حمدان":

"ومنذ الساعات الأولى؛ بدأت القوات الإسرائيلية تتحطم وتتهاوى.. وحدات مدرعة برمتها تُدمر وأطقمها تُقتل وأخرى يقع معظمها في الأسر، أو تلجأ إلى الفرار تاركة أسلحتها وذخيرتها؛ إما حطامًا كالأطلال، أو سليمة بدون قتال"."8"

5ـ "سعد الشاذلي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ الجزائر ـ ط 2 ـ 1981م ـ ص 342 إلى 347.
6ـ "إسلام الشافعي" ـ حرب الأيام الأربعة.. من داخل غرفة عمليات الجيش الإسرائيلي، 2006م ـ ص 105.
7ـ "د. جمال حمدان" ـ 6 أكتوبر في الاستراتيجية العالمية ـ دار الهلال 2000م ـ ص 74.
8ـ المصدر السابق، ص 74.

وبعد بدء المعركة تحدثت الصحافة العالمية عن أبرز القادة العسكريين؛ فقالت مجلة "تايم":

"إن "الفريق الشاذلي" هو العقل المدبر لهجوم "مصر" الناجح على خط بارليف".

وقالت مجلة "لوموند" الفرنسية:

"منذ أن قام "الفريق الشاذلي" بتأسيس وتنظيم وحدات المظلات؛ وهو يحلم بأن يبث الروح التي غرسها في رجال المظلات في نفوس جميع رجال الجيش".

وأشارت مجلة "دير شبيجل" الألمانية.. إلى أن "الشاذلي" هو المخطط والمنفذ الرئيس لعملية العبور، وأنه يستحق لقب "روميل العرب"."9"

9- الاستشهادات الخاصة بالصحف العالمية منقولة عن مذكرات "سعد الشاذلي" عن حرب أكتوبر - انظر النسخة الأصلية - طبعة الجزائر.

الخلافات مع "السادات"

(الحرب رائعة لأولئك الذين لم يجربوها)

"إيراسموس"

خلافات الساسة والعسكريين عديدة وشهيرة ومتكررة في جميع الحروب.

كثيرة هي الأمثلة التي تسببت فيها قرارات سياسية معينة في إلحاق هزائم عسكرية نكراء، وربما متابعة دقيقة لأحداث حرب يونيو 1967م؛ تفي بتوضيح ما لحق بالجيش المصري نتيجة القرارات السياسية الخاطئة، إنه يبدو أن قدر القادة العسكريين دائمًا هو أن يدفعوا فاتورة تخبط قادتهم السياسيين.

وفي رأي المؤرخ العسكري الكبير "جمال حماد"؛ فإنه على الرغم من أن القادة العسكريين هم الذين يتحملون وحدهم أمام الرأي العام وأمام التاريخ ما ينجم عن القرارات السياسية الخاطئة من عواقب وخيمة أو هزائم نكراء في ساحات القتال؛ حيث تحتم عليهم القواعد الاستراتيجية والنظم الدستورية الخضوع للقرارات السياسية بدون اعتراض، مهما كانت مخالفتها لأصول الفن العسكري."1"

***

الوقفة التعبوية

لقد شهدت "حرب أكتوبر" خلافات واضحة بين العسكريين والساسة، وكانت أبرزها على الإطلاق بين "السادات" مباشرة والفريق "سعد الشاذلي".

1ـ "جمال حماد" ـ المعارك الحربية على الجبهة المصرية أكتوبر ـ 1973ـ ط 2ـ 1993م ـ الزهراء للنشر ـ ص 274.

كانت هناك خلافات أخرى شاء القدر ألا تتسع وتمتد التزامًا من بعض القادة العسكريين لتنفيذ أوامر قادتهم بدون مناقشة أو إبداء ملاحظات، وهو منطق متكرر في السياسة المصرية إلا ما ندر، إن المؤرخ العسكري الكبير "جمال حماد" يشير إلى أن أولى خلافات "حرب أكتوبر" كانت حول الوقفة التعبوية التي قامت بها القوات العابرة للقناة يوم 9 أكتوبر.

وقتها كان رأي المشير "الجمسي" رئيس عمليات القوات المسلحة خلال الحرب.. أن تواصل القوات تقدمها نحو منطقة المضايق طبقًا للخطة الموضوعة استثمارًا للنجاح الذي تحقق، بينما كان رأي المشير "أحمد إسماعيل" وزير الحربية الوقوف لفترة لالتقاط الأنفاس وتهيئة الجيش لصد هجمات العدو المتوقعة، ويبدو أن المشير "الجمسي" رضخ لوجهة نظر القائد العام وهو وزير الحربية ومعه معظم القادة العسكريين.

***

مأساة تطوير الهجوم

وفي يوم 11 أكتوبر؛ طلب المشير "أحمد إسماعيل" وزير الحربية تطوير الهجوم واعترض "الشاذلي" تمسكًا بفكرة عدم تحرك قوات برية بدون غطاء جوي؛ وهي فكرة سائدة في كلاسيّات الحروب، وألح وزير الحربية تحت ضغوط من "السادات" بهدف تخفيف الضغط على الجبهة السورية، وكان رأي "الشاذلي" أن تطوير الهجوم بدون قواعد دفاع جوي قد يؤدي إلى تدمير جزء كبير من القوات البرية، والغريب أن الفريق "سعد مأمون" قائد الجيش الثاني كان يحمل الرأي نفسه، بل إنه هدد بالاستقالة وكذلك اللواء "عبد المنعم واصل" قائد الجيش الثالث الميداني.

وطبقًا لشهادة جميع من كتبوا عن حرب أكتوبر باستثناء "السادات"؛ فقد أصر المشير "أحمد إسماعيل" بإلحاح من "السادات" على اتخاذ قرار بتطوير الهجوم، وقد تم التأجيل حتى 14 أكتوبر، ولا شك أن "الشاذلي" يعتبر هذا القرار بداية الأخطاء التي أدت إلى الثغرة ودخول "آرييل شارون" بقواته إلى الضفة الغربية لقناة السويس.

ويشارك اللواء "كمال حسن علي" قائد المدرعات وقتها "الشاذلي" في خطأ قرار تطوير الهجوم؛ فيقول في مذكراته:

"في رأيي أن القرار لم يجانبه التوفيق، ليس في التوقيت فحسب؛ وإنما في استخدام الاحتياطيات المدرعة في القيام بهذا الهجوم الجديد، فالمعروف من المبادئ الأولية لاستخدام

المدرعات؛ أن الدبابات ليست أنسب الأسلحة لمهاجمه النقاط المحصنة؛ إذ إنها بهذه الطريقة سوف تفقد أهم خاصية في استخدام المدرعات، وأقصد بها استغلال خفة حركتها وقدرتها على الاندفاع والاختراق للوصول إلى عمق دفاعات العدو لإرباكه بعمليات التطويق والالتفاف حول مؤخرة خطوطه الدفاعية، ولذلك؛ يجب دفع الدبابات لمهاجمة المناطق الضعيفة لا المناطق المحصنة؛ ما يعرضها لنيران كثيفة تكبدها خسائر فادحة.

وبالمصادفة؛ كان قائدا الجيش الثاني والثالث من ضباط المدرعات، ففطنا إلى هذه النقطة، ونبها القيادة العامة إليها، ولكن كان من الواضح أن قرار الهجوم قد تقرر سياسيًّا للتخفيف عن الجبهة السورية، وبدلًا من أن يتم تطوير الهجوم بجميع وحدات فرق المشاة الرئيسة؛ فقد اكتفى بدفع الاحتياطيات المدرعة من غرب إلى شرق القناة، الأمر الذي أدى إلى كشف المنطقة خلف الجيوش الميدانية في غرب القناة؛ ما يعرض هذه الجيوش لاختراق المدرعات الإسرائيلية للغرب، وتهديد مؤخرة الجيوش، وهذا ما حدث بالفعل بعد تطوير الهجوم شرقًا.

كما شهد هذا التطوير الذي قامت به القوات المدرعة في 14 أكتوبر تجاه الشرق أكثر الخسائر فداحة التي نزلت بقواتنا منذ بداية الحرب، لقد فقدت فيه بعض اللواءات المدرعة معظم مركباتها، كما استشهد أكثر من قائد لواء مدرع، وكان من بينهم العقيد "نور عبد العزيز" قائد اللواء الثالث المدرع؛ إذ أصيب مركز القيادة بقنبلة فوسفورية في أثناء قيامه بالهجوم على محور "متلا"، ولعله كان أقرب من وصل من القوات المسلحة إلى هدف الهجوم.

واستشهد العقيد "توفيق أبو شادي" قائد اللواء الأول المدرع، كما استشهد قائد كتيبة المدفعية في بداية التحرك باللواء الذي دفع للاشتباك تحت تأثير الضرب المباشر لصواريخ العدو المضادة للدبابات والمدفعية 175 م بعيدة المدى، كما أصيب العقيد "محمود خليل" رئيس أركان اللواء وفقد بصره.

ولقد كان تطوير الهجوم محكومًا عليه بالفشل منذ البداية؛ نتيجة لأكثر من اعتبار؛ أولها تجاهل القاعدة الرئيسة في استخدام المدرعات التي تقضي بتركيز الدبابات في اتجاه المناطق الضعيفة من دفاعات العدو، وثانيًا فهو دفع بعض اللواءات المدرعة بدون اصطحابها لوحدات الدعم الخاصة بها؛ نظرًا لضيق الوقت وعدم وصول هذه الوحدات في الوقت المناسب. بالإضافة إلى حرمان اللواءات المدرعة من توافر الزمن اللازم لإجراء استطلاع للعدو أمامهم، وبذلك تحرك قادة الكتائب لمهاجمة عدو لا يعرفون شيئًا عن أوضاعه أو مواقعه"."2"

ويشرح "سعد الشاذلي" رئيس أركان الحرب.. كيف كان على القوات المصرية التي تضم 400 دبابة فقط.. مواجهة 900 دبابة إسرائيلية في المكان الذي تحدده طبقًا لطبيعة الأرض،

2ـ "كمال حسن علي" ـ مشاوير العمر ـ ص. ص. 225، 226.

ودارت معارك طاحنة خسرت "مصر" فيها 250 دبابة، وهو رقم أعلى مما خسرته "مصر" خلال الثمانية أيام الأولى للمعركة، وقتها أصيب اللواء "سعد مأمون" بأزمة قلبية ونُقل إلى المستشفى.

بعد خسائر "مصر" في تلك المعركة؛ سُحِبَ معظم القوات الاحتياطية غرب القناة لتدعيم خطوطها، وأصبح هناك لواء واحد غرب القناة، وهو ما يسهل عليه الاختراقات الإسرائيلية؛ بل يجعلها مثالية، إن "الشاذلي" يؤكد أن خطط القيادة المصرية توقعت الثغرة، وحددت موقعها قبل بدء الحرب، لكنها حشدت دبابات في منطقتها للقضاء على أي محاولة اختراق إسرائيلي لخطوط الجيش المصري، لكن تطوير الهجوم أدى إلى سحب تلك الدبابات واختلال الموقف الدفاعي.

***

أول خلاف

في يوم 15 أكتوبر؛ اقترح "الشاذلي" إعادة تجميع الفرقة 21 والفرقة الرابعة مدرعة غرب القناة؛ لإعادة الاتزان للوضع الدفاعي؛ إلا أن المشير "إسماعيل" رفض تمامًا بدعوى أن ذلك قد يؤثر على الروح المعنوية للجنود ويتصورون أن هناك حالة انسحاب.

في تلك الليلة بدأت الثغرة؛ إذ تسللت بضع دبابات زادت بسرعة كبيرة حتى وصلت مئتي دبابة خلال أيام قليلة، واقترح "الشاذلي" على "إسماعيل" سحب الفرقة 4 واللواء مدرع 25؛ لتصفية الثغرة خلال الليل بمشاركة اللواء مشاة 116، ورفض الوزير للمرة الثانية، وكان اللواء "عبد المنعم واصل" يفضل سحب اللواء مدرع 25، وأن تُوجّه الضربة ضد الثغرة من الغرب، وأبلغه أن قائد اللواء يشاركه ذلك الرأي.

وعندما وصل الرئيس "السادات" إلى المركز 10، وشرح "الشاذلي" خطة مواجهة الثغرة؛ صرخ فيه "أنا لا أريد أن أسمع منك هذه الاقتراحات الخاصة بسحب القوات من الشرق، وإذا أثرت هذا الموضوع مرة أخرى سأحاكمك"، وقتها فكر "الشاذلي" في الاستقالة، لكنه عزّ عليه أن يترك القوات المسلحة خلال المعركة، إنه وقت شدة ولا يمكنه الهرب مهما كان السبب."3 "

إن المؤرخ العسكري "جمال حماد" يستنبط أن تدخل "السادات" في الأمور العسكرية قد تفاقم، وأنه بدأ يتعامل كما لو كان قائدًا عسكريًّا عظيمًا وأن حالة عصبية انتابته بعد أنباء الثغرة، ودفعته إلى التورط في مسئولية القرارات التكتيكية التي كانت تصدر من مركز العمليات إلى

3- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2 - الجزائر 1981م، من ص 351 إلى ص 360 "بتصرف".

التشكيلات الميدانية، وقد وصلت به الحال إلى الاتصال لاسلكيًا ببعض قادة الفرق في الميدان بقصد تقوية أرواحهم المعنوية.

كما يرى "حماد" أن "السادات" بأعصابه الثائرة خلق جوًا من الرهبة داخل محل القيادة بين القادة؛ ما جعل بعضهم يؤثرون الصمت ولا يفصحون عن وجهة نظرهم."4"

لقد واصلت القوات الإسرائيلية تسللها عبر ثغرة "الدفرسوار"، وأصبحت لها فرقتان لا فرقة واحدة، وكان الموقف يزداد تدهورًا، وطلب "الشاذلي" سرعة سحب أربعة ألوية من الشرق لمواجهة الفرقتين اللتين دخلتا في معركة غير متكافئة مع لواء مصري واحد، وهو ما يهدد بتدميره خلال ثلاثة أو أربعة أيام على الأكثر، وحدث الاختلاف الثالث بين "الشاذلي" و"إسماعيل"، وطلب الأول استدعاء رئيس الجمهورية لإقناعه بالأمر، ووصل بالفعل وقد تحدث "السادات" إلى جميع القادة باستثناء "الشاذلي"، و لم يطلب منه الكلمة، وقال في إصرار "لن نسحب أي جندي من الشرق"."5"

***

مسئولية "السادات"

إن ما يريد رئيس أركان حرب أكتوبر أن يؤكده؛ أن "السادات" كان ـ وهو السياسي الذي أصر على ارتداء ملابس العسكرية ـ مسئولًا عن ثغرة "الدفرسوار" وما أدت إليه من خسائر بقراره السياسي بتطوير الهجوم يوم 14 أكتوبر، كما أنه كان مسئولًا عن حصار الجيش الثاني برفضه جميع المقترحات التي قدمها "الشاذلي" لتصفية الثغرة.

لكن على الجانب الآخر؛ فإن مشكلة "السادات" الحقيقية مع "الشاذلي" أنه حاول تحميله المسئولية عن خطأ ارتكبه، وقد دفعه ذلك إلى أن يقول في مذكراته:

"في يوم 16 أكتوبر؛ أرسلت الجنرال "سعد الشاذلي" رئيس الأركان للتعامل مع الثغرة، وكان من السهل جدًا التعامل معها في ذلك اليوم؛ ولكنه أضاع الليلة بأكملها في جمع المعلومات وإنشاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الجنرال "إسماعيل"، وكانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى "الدفرسوار" ووصلت بالفعل ولكن "الشاذلي" أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات.

4ـ "جمال حماد" ـ المصدر السابق ـ ص. ص. 418، 419 "بتصرف".
5ـ "سعد الشاذلي" ـ المصدر السابق ـ ص. ص. 376، 377. 6ـ "محمد أنور السادات" ـ البحث عن الذات ـ المركز المصري الحديث ـ ص273.

وفي يوم 19 أكتوبر عاد "الشاذلي" منها، وقال إننا لا بد أن نسحب قواتنا من شرق القناة؛ لأن الغرب مهدد، وهو ما يريده الإسرائيليون؛ فأعطيت الأمر الذي أعتبره أهم من قرار الحرب، وهو ألا ينسحب جندي واحد ولا بندقية واحدة ولا أي شيء على الإطلاق"."6"

ويكرر "السادات" بشيء من التفصيل اتهامه لـ"الشاذلي" بالتسبب في الثغرة والانهيار التام وعدم القدرة على التعامل معها في ذكرياته التي سجلها مع "أنيس منصور"؛ فيقول:

"في يوم 19 أكتوبر في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل؛ فوجئت بالقائد العام "أحمد إسماعيل" يطلبني لأمر مهم، وفهمت منه أن الأمر سياسي وعسكري معًا، وأنه لا بد من الحضور فورًا، وكان ذلك شيئًا خطيرًا، وراحت الأفكار تدور في رأسي وتدور به...

فقد رأيت في حياتي الكثير من المواقف الصعبة والمشكلات المعقدة والأزمات الحادة، وقد أورثني ذلك أن أكون في مواجهتها هادئًا حتى لا يزداد الخطأ فداحة، وحتى لا تهتز الصورة أمامي، وقبل أن أحضر إلى القيادة؛ كان المرحوم "أحمد إسماعيل" مريضًا اشتد عليه مرض السرطان، ثم إن الموقف خطير ولا يستطيع أن يبدي فيه رأيًا؛ لأن القرار الذي يجب اتخاذه ليس عسكريًّا فقط وإنما سياسي، وتقلب الرجل المريض في فراشه وأراد أن يطلبني وهو في الوقت نفسه يخشى من وقع هذه المكالمة على نفسي، ولكن "حسني مبارك" أصر على ضرورة الاتصال بي؛ ليقف كل إنسان عند حده؛ فـ"سعد الشاذلي" قد جاء من الجبهة يطلب الانسحاب الكامل من سيناء، ولكن "حسني مبارك" يرى أننا منتصرون، و"محمد علي فهمي" يرى كذلك.

وعندما دخلت مقر القيادة وجدت الصمت الرهيب، وكان الأطباء قد أخبروني أن حالة "أحمد إسماعيل" لا تؤهله كي يحمل هذه الأعباء؛ فآلام السرطان مروعة، ثم إن كمية "الكورتيزون" التي يتعاطاها تجعله غير قادر على التفكير السليم واتخاذ القرار..

ونهض "أحمد إسماعيل" من فراشه وسألته: خير إن شاء الله؟

فقال: والله يا أفندم عاد رئيس الأركان "سعد الشاذلي" من الجبهة يقول من الضروري أن نسحب الجيشين الثاني والثالث من سيناء؛ لأن اليهود قد دخلوا الثغرة وأنهم سيطوقون الجيشين، وأن شيئًا مروعًا من الممكن أن يحدث، ولا بد من الانسحاب حفاظًا على القاهرة.

قلت لـ"أحمد إسماعيل": هاتِ القادة جميعًا..

6ـ "محمد أنور السادات" ـ البحث عن الذات ـ المركز المصري الحديث ـ ص273.

وجاء القادة وتكلموا وبعدها قلت:

أولًا: لا انسحاب لعسكريّ أو بندقية من الضفة الشرقية.

ثانيًا: سوف نتعامل مع الثغرة على مستوى القيادة.

ثالثًا: يعزل "سعد الشاذلي" رئيس الأركان ويعين "عبد الغني الجمسي" بدءًا من الواحدة صباح 20 أكتوبر رئيسًا للأركان، ولا يجب أن يشعر "الشاذلي" بذلك ويجنب"."7"

والواقع أن هذه الشهادة للرئيس السادات تزيد على شهادته فى كتاب "البحث عن الذات"، بالإضافة إلى إضاعة الشاذلي الوقت في جمع المعلومات، وعودته منهارًا يوم 19 أكتوبر، أن "حسني مبارك" – الذي كان يشغل وقتها منصب قائد القوات الجوية – كان له دور واضح في إثارة "أحمد إسماعيل" ضد "الشاذلي"، ثم إثارة "السادات" نفسه ضد رئيس الأركان، الذي من المفترض أنه يرأسه، كذلك تؤكد الشهادة أن "السادات" أصدر قرار عزل "الشاذلي" يوم 20 أكتوبر 1973م وأنه أخبر القادة بألا يخبروه بذلك، وأن يجنبوه تمامًا.

ومما تكشفه أيضًا هذه الشهادة؛ ما سبق أن ذكره "الشاذلي" أن "السادات" اختار "أحمد إسماعيل" وزيرًا للحربية وقائدًا عامًا للقوات المسلحة، وهو يعلم أنه مريض بالسرطان.

الحقيقة

وإذا كان "الشاذلي" يصف تلك الأقاويل بأنها كذب وافتراء؛ فإننا في حاجة إلى شاهد آخر ليخبرنا أين الحقيقة!

وباستجلاء مذكرات المشير "محمد عبد الغني الجمسي" الذي كان من محبي الرئيس "السادات"؛ نكتشف أن رواية "السادات" مختلقة؛ سواء في مذكراته التي صدرت في العام 1978م، أو في ذكرياته التي نشرها "أنيس منصور" بعد ذلك بـ31 عامًا.

حيث يقول المشير "الجمسي":

"في مثل هذا الموقف المعقد الذي كانت تواجهه قواتنا؛ تتعدد الآراء وتتباين وجهات النظر، وعندما يتخذ القائد العام قراره؛ فلا بد أن تلتزم قيادته وقواته بالتنفيذ، لقد عاصرت

7- "أنيس منصور" - من أوراق "السادات" الطبعة الرابعة - دار المعارف 2010م- من ص 367 إلى ص 368.

الفريق "الشاذلي" خلال الحرب، وقام بزيارة الجبهة أكثر من مرة، وأشهد أنه عندما عاد منها يوم 20 أكتوبر و لم يكن منهارًا كما وصفه "السادات".. لا أقول ذلك دفاعًا عن الفريق "الشاذلي" لهدف أو مصلحة.. ولكنها الحقيقة أقولها للتاريخ"."8"

ويفند المؤرخ العسكري "جمال حماد" في كتابه الرائع عن حرب أكتوبر مزاعم "السادات" بشأن "الشاذلي"، التي لا يرى منها سوى محاولة تحميله مسئولية توسيع الإسرائيليين للثغرة؛ فيقدم البراهين على أن "الشاذلي" لم ينشئ قيادة له في الإسماعيلية لمنافسة غريمه "إسماعيل"؛ لأنه لم يمكث في الإسماعيلية سوى 44 ساعة، كما أنه لم يصدر قرارات لفريق الصاعقة بالانسحاب، وهو ثابت من شهادة "علي هيكل" قائد المجموعة 129 صاعقة.

ويتحدث "حماد" باستفاضة عن أن قرار عزل "الشاذلي" لم يصدر في 20 أكتوبر؛ وإنما بعد ذلك بشهرين، ويستدل على ذلك بمشاركة "الشاذلي" في اجتماعين للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يومي 25 أكتوبر و21 نوفمبر 1973م.

كما يشير إلى أن قصة إرسال "الشاذلي" يوم 16 أكتوبر للتعامل مع الثغرة قصة وهمية؛ لأن الثابت أن الرجل كان في القاهرة في ذلك اليوم و لم يتوجه إلى الإسماعيلية إلا يوم 18 أكتوبر، وكان من الواضح أن غرض "السادات" من ذلك تحميل "الشاذلي" وحده مسئولية الثغرة."9"

إننا نلمح إصرار "السادات" على تحميل "الشاذلي" مسئولية الثغرة مبكرًا، فبعد شهور قليلة من الحرب؛ قام الأستاذ "موسى صبري" بوضع كتابه "وثائق حرب أكتوبر"، وقد نقل فيه "صبري" عن "السادات" الكلام نفسه، والإشارة إلى أنه أرسل "الشاذلي" إلى الجبهة يوم 16 أكتوبر، وأنه كان يريد سحب جميع القوات من سيناء، وأنه عزله سرًّا، وقام بتعيينه سفيرًا في "لندن" نوعًا من التكريم؛ لأن الرجل – بتعبير "السادات" – عبر واخترق خط "بارليف"، وكان نظام المرور في سيناء أفضل من نظام المرور في القاهرة."10"

والواضح أن "موسى صبري" نفسه، كان يعلم الحقيقة ويعلم أن قصة "السادات" مختلقة تمامًا، وقد التقى "صبري" الفريق "سعد الشاذلي" في "لندن" بعد ذلك، عندما أصبح "الشاذلي" سفيرًا لـ"مصر" خلال زيارة سريعة له للقاهرة، ويبدو أن ذلك كان في نهاية العام 1974م، وتحدثا معًا حول الحرب، وعاتبه "الشاذلي" على نشره اختلاقات "السادات" بدون تمحيص؛ ورد "صبري" بأنه سأل ثلاثة ممن حضروا اجتماع غرفة العمليات يوم 19 أكتوبر؛ وأكدوا له أن كلام "السادات" غير صحيح، وقلت له لماذا لم تنشر ذلك؟ فقال: لا أستطيع."11"

8- "محمد عبد الغني الجمسي" - مذكرات حرب أكتوبر - هيئة الكتاب - ص 421.

9- جمال حماد - المصدر السابق – من ص 654 إلى ص 662 "بتصرف".

10- "موسى صبري" - وثائق حرب أكتوبر - ط 4- 1977م - ص. ص. 259، 260.

11- "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - المؤسسة الوطنية للكتاب - طبعة الجزائر 1983م - ص 34.

وقد نشر "الشاذلي" هذا الكلام في العام 1983م، ولم يكذبه "موسى صبري"، وكان ذلك متاحًا له؛ إذ كان وقتها رئيسًا لتحرير جريدة الأخبار المصرية.

والواقع أن اعتراض "الشاذلي" كان على عدة نقاط؛ أهمها أنه لم يعد من الجبهة منهارًا، وأنه لم يضع يومًا كاملًا في إنشاء قيادة له لمنافسة غريمه "أحمد إسماعيل"؛ بل إنه لم يطلب سحب القوات المصرية من سيناء كما ادّعى "السادات" مرارًا.

كانت فكرة "الشاذلي" ببساطة أن يتم سحب أربعة ألوية من الألوية الموجودة شرق القناة، وهي فكرة في تصور الدكتور "محمد الجوادي" غير تقليدية؛ إلا أنها تنم عن عبقرية وجرأة في التفكير، وتؤكد أن شخصية "الشاذلي" كانت شخصية مبدعة وخلاقة بخلاف "أحمد إسماعيل" الذي كانت شخصيته تقليدية أقرب للالتزام بالأوامر والعمل وفق قوالب جامدة، وهو فارق بين شخصيتين كلتيهما شاركت في صنع نصر، وهو ما يعني أن اختلافهما رحمة.

ولقد ناقش المؤرخ "جمال حماد" عبر مراسلات ممتعة مع "سعد الشاذلي" تفاصيل الفكرة في كتابه الرائع عن حرب أكتوبر، والواضح من تلك المناقشة أن "الشاذلي" لم يقل أبدًا بسحب القوات العابرة، وإنما سحب أربعة ألوية فقط منها لم تكن في حالة مواجهة مباشرة مع العدو لتصفية الثغرة تمامًا."12"

***

دور لـ"هيكل" في الإقالة

والحقيقة في تقدير الدكتور "محمد الجوادي" أن إقالة "الشاذلي" تمت بالفعل في 12 ديسمبر 1973م وليس في أكتوبر - كما يذكر "السادات"، والسبب المعلن في ذلك هو ما يسميه "الجوادي" الفيروس الإعلامي، وهو في الحقيقة لم يكن سوى الأستاذ "هيكل" الذي دفع صحفيًا بمجلة "النيوزويك" الأمريكية هو "أرنولد بورشجريف" يوم 5 ديسمبر لإجراء حديث مع "الشاذلي"، وقد منعت المخابرات الحربية نشر الحديث، ولام المشير "أحمد إسماعيل" وزير الحربية غريمه "الشاذلي" على الإدلاء بذلك الحديث وعدم إرساله إلى المخابرات الحربية أولًا، ورد "الشاذلي" بأنه يعلم ما هو سر وما هو غير ذلك، وأنه لم يقل شيئًا يستطيع العدو الاستفادة منه."13"

12- جمال حماد - المصدر السابق - من ص 853 إلى ص 929.
13- د. "محمد الجوادي" - النصر الوحيد - دار الخيال 2000م.

وكان من الواضح أن واقعة الحديث الصحافي لم تكن سوى ذريعة للإقالة؛ إذ دعاه الوزير وأخبره بقرار رئيس الجمهورية بإنهاء خدمته وتعيينه سفيرًا في الخارجية، واعتذر "الشاذلي" وطلب من الوزير أن يشكر الرئيس، وفي المنزل في اليوم ذاته؛ زاره "حسني مبارك" وأخبره بأنه يحمل رسالة من الرئيس "السادات"، مفادها أن الخلافات بينه وبين الوزير كانت تحتم خروج أحدهما، وأن تعيينه سفيرًا نوع من التكريم؛ إلا أنه اعتذر أيضًا عن عدم قبول الهدية.

وفى 6 يناير 1974م؛ التقى "سعد الشاذلي" السادات في أسوان في فندق "كتراكت"، وقال له "السادات" إنه غاضب لأن حسني مبارك أخبره أن "الشاذلي" راكب دماغه ورافض رسالة رئيس الجمهورية، وقال له "السادات" إنه يحبه ويعلم قدراته؛ لذلك اختاره سفيرًا في "لندن"؛ لأنه يريد شخصًا ذا خبرة عسكرية هناك؛ للحصول على أسلحة متطورة."14"

ومما يحكيه "عبيد العقاد" للمؤلف؛ أن "سعد الشاذلي" كان يتوقع الإقالة وينتظرها تمامًا، وأنه دلل على ذلك في حكاية حكاها له لم ترد في مذكراته تقول:

"كنا نقوم بعمل مناورة للجنود قبل الحرب بأربعة أشهر، وقد نُفِّذَت المناورة بالتزام عجيب وجدة لا متناهية، وبعد المناورة؛ أدى اللواءان "عبد المنعم واصل" "وسعد مأمون" التحية العسكرية كما كان متبعًا وسألا عن رأيي في أداء الجنود فقلت لهما: غير جيد، لا إجازة أبدًا لأحد؛ لأن أداءهم لم يكن عند المستوى المطلوب.؛ فقال "عبد المنعم واصل": كيف وهذا أفضل المتاح في الوقت الحالي؟ فرددت: نحن نريد أن تقول لهم ذلك حتى لا يشعروا بالاسترخاء حتى موعد المعركة؛ فقال "واصل": يا سيادة الفريق، لو انهزمنا في المعركة المقبلة فستتم الإطاحة بثلاثة رؤوس، ولو انتصرنا سيتم الإطاحة بثلاثة رؤوس أيضًا، وفى كلتا الحالين أنت منهم، وضحكت؛ فقال: إنه لن يسمح بوجود بطل آخر غيره.. في إشارة منه للرئيس "السادات"، وقد أثبتت الأيام صحة ذلك التصور"."15"

وفى 13 مايو 1974م؛ سافر "سعد الشاذلي" إلى "لندن"؛ ليبدأ رحلته في السلك الدبلوماسي، وتبدأ معركة أخرى تليها معارك طاحنة مع نظام "السادات" ومن بعده "مبارك".

14ـ "سعد الشاذلي" ـ المصدر السابق ـ من ص 402 إلى ص 410 "بتصرف".

15ـ لقاء المؤلف بـ"عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" ـ طنطا – يونيو 2011م.

الجياد لا تسكن قصور أوروبا

(هناك أشياء تستحق القتال من أجلها)

"الجنرال نورمان شوارزتكوف"

الدبلوماسية ليست مجرد مهنة.. إنها وسيلة إبعاد، وأحيانًا أداة تكريم.

وليس كل من يتم اختياره سفيرًا هادئًا، باردًا، ممتصًا للعنات وطعنات الآخرين.. هناك سفراء من حديد وآخرون من جليد.

وأذكر أن لقاء جمعني بالسفير "نبيل فهمي" سفير "مصر" السابق في واشنطن في العام 2008م، وكان آخر عام خدمة له في العاصمة الأمريكية، حيث قال لي إنه استقبل كثيرًا من رموز المعارضة المصرية في الولايات المتحدة، وسمح بعقد لقاءات عديدة للجالية المصرية للتحدث بشأن الديمقراطية والحريات ونظام الحكم في "مصر"، وأتذكر جيدًا أنه قال: إن ذلك لا يتعارض مع العمل الدبلوماسي، وأنه سفيرا لجمهورية "مصر" في أمريكا، وليس سفيرًا لنظام الحكم المصري، لذا فقد التقي كثيرًا من الساسة المعارضين؛ لأنهم مصريون، وسفير "مصر" يجب أن يكون خادمًا لجميع المصريين.

هذا المشهد أستدعيه من الذاكرة كي أؤكد أن السفير "سعد الشاذلي" لم يختلف كثيرًا عن المقاتل "سعد الدين الشاذلي"؛ رجل جريء.. لا يخاف ولا يهاب أحدًا، يقدم المصلحة العامة على الخاصة، ويفعل ما هو في صالح وطنه لا ما هو في صالح نظام الحكم الذي عيّنه في منصب السفير.

لقد قضى "سعد الشاذلي" 1507 أيام بالتمام سفيرًا لـ"مصر" في العاصمة البريطانية "لندن"، ثم سفيرًا لـ"مصر" في العاصمة البرتغالية "لشبونة"، وكان مثالًا واضحًا طوال تلك الفترة على تمثيل "مصر" لا نظام الحكم في "مصر".

ومن قبل اختلف الرئيس "جمال عبد الناصر" مع "خالد محيي الدين" زميله في مجلس قيادة الثورة؛ فتم إرساله سفيرًا لـ"مصر" في "جنيف" رأفة به بدلًا من السجن أو الاضطهاد والعزلة التي فرضها "عبد الناصر" على بعض زملائه مثل: "كمال الدين حسين"، و"يوسف صديق".

***

منفى الدبلوماسية

إن "الشاذلي" يقرر من البداية في جرأة وثبات وبصراحة مطلقة أن.. "هدف "السادات" من تعييني سفيرًا هو إبعادي عن القاهرة، وفي الوقت نفسه إلهائي بالمزايا والمكاسب المادية التي تعود على هذا التعيين.. وقد كانت الإغراءات شديدة لكي أقبل هذه الأوضاع ولا أنتقد سياسة "السادات".

لقد كان ما أتحصل عليه سفيرًا من "ماهيّات" وعلاوات ومزايا في عام واحد.. يعادل ما تحصلت عليه من "ماهيات" خلال 33 عامًا قضيتها في خدمة القوات المسلّحة، ولكن يبدو أن "السادات" قد أخطأ التقدير عندما تصور أنه يمكن أن يشتري الأحرار بالمناصب والأموال"."1 "

إن منزل السفير المصري في "لندن" مكون من قصرٍ كبير يتكون من ثلاثة طوابق، ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر، وتزين حوائطه وأسقفه بصورٍ ورسوماتٍ رائعة، ويقوم على خدمة السفير خمسة من الخدم وثلاث عربات بسائقيها، وتتولى الدولة دفع جميع مصاريف المسكن من أجور وكهرباء ومياه وتليفونات وتأثيث.

إن الرئيس "السادات" في تصور "الشاذلي" كان يريد أن تفتنه الحياة السهلة والمريحة، وأن يصبح عبدًا وأسيرًا لها، وكان كل ما يريده منه أن يصمت وألا يوجه له نقدًا.

حملة مضادة

لقد استُقبل "الشاذلي" في "لندن" بحملة صحافية مضادة نظمها اللوبي الصهيوني باتهامه بأنه سفاح، وأنه كان على علاقة وطيدة بالنازيين خلال خدمته ملحقًا حربيًا في الستينيات، وقد سئل فور وصوله من الصحافيين عن حقيقة اتهامه بقتل الأسرى اليهود خلال "حرب أكتوبر"؛ فرد بأن ذلك يتنافى مع شرفه العسكري، كما يتنافى مع معتقداته الدينية، ودعا إلى تكليف لجنة

1- "سعد الشاذلي" أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - الوطنية للكتاب - الجزائر - 1983م - ص 5.

دولية للتحقيق في تلك المسألة، ومع ذلك استمر اللوبي الصهيوني في محاربة "الشاذلي" فقدموا يومًا كتيبًا كان قد وزعه على الجنود خلال الحرب عنوانه "عقيدتنا الدينية طريقنا إلى النصر"، واقتطعوا منه بعض الآيات القرآنية التي تحض على القتال مثل "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ" واعتبروه تحريضًا لقتل وسفح دماء اليهود.

واستغلت وسائل الإعلام البريطانية حادثة سرقة نفذتها سيدتان مصريتان من محل يهودي.. في نشر أخبار محرفة بأن حرم وزير السياحة المصري وحرم السفير متهمتان بسرقة المحل التجاري، وأقام "الشاذلي" دعوى ضد الإذاعة وحصل على حكم باعتذارها واعتذرت بالفعل."2"

ومنذ وصول "الشاذلي" إلى "لندن" ومعركته مع "النسادات" قائمة، تخفى لحظات ولا تلبث أن تطفو مرة أخرى؛ فلم يستطع الرجل أن ينسى تكريم "السادات" قادة "حرب أكتوبر" ومنحهم الأوسمة علنًا واكتفائه بمنحه نجمة سيناء سرًّا، كما لا ينسى إصرار الرئيس على تحميله مسئولية الثغرة خلال جميع أحاديثه الصحافية.

وفي 10 يونيو 1974م؛ واتت "الشاذلي" الفرصة عندما أجرى معه "سليم اللوزي" رئيس "مجلة الحوادث اللبنانية" حوارًا تحدث فيه عن محاولات الإمبريالية العالمية عزل "مصر" عن الأمة العربية، وموضوع الثغرة خلال الحرب، وضرورة تنويع السلاح، وبعدها بأيام التقى سفير "مصر" في "لندن" مجموعة من الطلبة العرب؛ وتحدثوا وآثر أن يتحدث معهم بصراحة شديدة عن وجود تيار داخل "مصر" يدعو لعزلها عن العالم العربي، وأن هذا التيار كبير ومسيطر.

وقد تلقفت صحيفة السفير اللبنانية اللقاء ونشرت في 22 أغسطس 1974م أن "الشاذلي" ينتقد "السادات" علنًا، وفي اليوم نفسه تلقى "الشاذلي" استدعاء للتحقيق معه في القاهرة، وبالفعل سافر والتقى "إسماعيل فهمي" وزير الخارجية، وأجاب عن جميع تساؤلاته وهو يعلم أن أحدًا لن يبت في شيء؛ لأن "السادات" مسافر بالخارج، وعاد مرفوع الرأس - على حد قوله."3"

وواصل المقاتل معركته مع "السادات"؛ فانتقد في لقاء مع التليفزيون البريطاني في يناير 1975م رحلات "كيسنجر" بين "مصر" و"إسرائيل"، واعتبر أن الحل الأفضل هو الذهاب إلى "جنيف" حتى لا يتم تسويف القضية تحت ضغوط ووساطة الولايات المتحدة، ثم دخل

2- المصدر السابق، من ص 18 إلى ص 21. "بتصرف".
3- المصدر السابق، من ص 27 إلى ص 32 "بتصرف".

"الشاذلي" في مناظرة تليفزيونية أخرى مع سفير "إسرائيل"، وتحدث عن وجهة النظر العربية تجاه سياسات "إسرائيل"، ونجح في كسب الرأي العام البريطاني."4"

وتستعرض مذكرات "الشاذلي" في سرد تفصيلي كثيرًا من المعلومات المهمة بشأن بريطانيا؛ بدءًا من العلاقات المصرية البريطانية، حتى نظام الحكم والأحزاب السياسية وتأثير اليهود على السياسة البريطانية.. فضلًا عن معلومات وافية حول المسلمين هناك وعدد المراكز الإسلامية والمساجد، وكيفية مساهمته في توسيع نشر الدين الإسلامي داخل "بريطانيا".

***

شهادة "الفقي"

ويقدم الدكتور "مصطفى الفقي" الدبلوماسي والكاتب الشهير شهادته حول فترة عمل "الشاذلي" سفيرًا لـ"مصر" في "لندن"؛ فيقول:

"عندما تسلم الفريق "الشاذلي" عمله في السفارة؛ استقبلناه بقلق شديد ومخاوف مبررة، فالرجل معروف بصرامته العسكرية وقد لا تكون إدارته لبعثة دبلوماسية كبيرة علي النحو المطلوب، ولكننا فوجئنا بعسكري مصري مشرف يتحدث بلغة إنجليزية طليقة، تفوق في جودتها عشرات السفراء المدنيين، فضلًا عن أفكار غير تقليدية في العمل وقدرة واضحة على الوصول إلى الهدف.

ولعلي أتذكر الآن أنه كان من أوائل من فطنوا إلى قيمة وزيرة التعليم البريطاني "مارجريت تاتشر"، ومستقبلها السياسي المنتظر؛ فدعاها هي وزوجها إلى عشاء في بيت "مصر" بالسفارة في حي "ماي فير"، وهو أيضًا الذي دعا في مرة أخرى أسقف "كانتبري" على العشاء في السفارة المصرية، ودعا معه كبار الشيوخ من بعثة "الأزهر الشريف" في المركز الإسلامي بلندن، وهو تفكير ينم عن سعة الأفق والفهم المبكر لقضية الوحدة الوطنية.

كما أنه فاجأنا جميعًا ذات يوم بأن أعلن أن السفارة المصرية سوف تستضيف احتفال جميع البعثات الإفريقية في "لندن" بيوم إفريقيا، وهو الخامس والعشرون من شهر مايو، ونجح في ذلك بشكل واضح، وحقق لـ"مصر" الإفريقية مكانة متميزة في العاصمة البريطانية؛ حيث حضر إلى السفارة رئيس الوزراء البريطاني "كالاهان"، ووزير الخارجية وجميع القيادات المرموقة في العاصمة البريطانية، وفي مقدمتهم مندوب صاحبة الجلالة، وقيادات الكومنولث كلها، ولقد كان يومًا رائعًا شعرت فيه بأن للرجل رؤية تستحق الإكبار.

4- المصدر السابق، من ص 38 إلى ص 40 "بتصرف".

وهو أيضًا الذي وافق في بداية السبعينيات على المشاركة في مواجهة تليفزيونية مع السفير الإسرائيلي في "لندن" – من مكانين مختلفين، وأشهد أن "الشاذلي" اكتسح الإسرائيلي وأصبح حديث المدينة وبعثاتها الدبلوماسية لعدة أيام بعد ذلك"."5"

وقد زار "إسماعيل فهمي" وزير الخارجية المصري "لندن" في يونيو 1975م؛ وكانت زيارة مهمة وانتهت بإخبار "الشاذلي" بالنبأ التالي:

"إن الرئيس "السادات" يقدر النجاح الذي حققته في "لندن"، وقد دفعه ذلك أن يعينك سفيرًا لمصر في البرتغال؛ خصوصًا أن السلطة هناك عسكرية"."6"

***

منفى جديد

لقد فشلت خطة الرئيس "السادات" في إبعاد "الشاذلي" عن بؤرة السياسة عن طريق تعيينه سفيرًا في "لندن"، لقد اتضح أن "الشاذلي" يجيد اللغة الإنجليزية تمامًا، وقد تحدث في التليفزيون أربع مرات، وكتب في الصحف أكثر من ذلك خلال فترة قصيرة جدًا، واستطاع أن يتحول إلى عميد للسفراء العرب في "لندن"، وأن يقيم أنشطة عديدة ومتنوعة، وأن يقول رأيه بصراحة وصدق.

كان الحل أن يتم إبعاد "الشاذلي" أكثر من ذلك، وكانت البرتغال دولة بعيدة عن الاهتمام العالمي والعربي، وكان عدد المصريين هناك ضئيلًا جدًا، لذا؛ فقد رشحها "السادات" منفى لغريمه الذي لا يقبل الصمت؛ ظنًا منه أنه انتهى من مشكلاته إلى الأبد.

كانت "مصر" قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع البرتغال احتجاجًا على سياستها الاستعمارية في إفريقيا في العام 1963م، وعندما قامت الثورة في البرتغال في العام 1974م قررت منح الدول الإفريقية المحتلة استقلالها، وهو ما دفع "مصر" إلى إعادة علاقاتها معها، وفي سبتمبر 1975م قدم "الشاذلي" أوراق اعتماده سفيرًا لجمهورية "مصر العربية"، وسارع بعدها إلى تعلم اللغة البرتغالية وإجادتها إجادة تامة خلال وقت قياسي، وعاش أقل من ثلاث سنوات يعمل على دعم التجمعات العربية والإسلامية.

---

5. جريدة "المصري اليوم"، مقال د. مصطفى الفقي عن الشاذلي – 21 فبراير 2008م.
6. "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - مصدر سابق - ص 70.

ويستعرض الرجل في مذكراته عن تلك الفترة تطورات الأحداث السياسية في البرتغال، وكيف تحولت إلى الثورة بعد حكم دام لديكتاتور طاغ اسمه "سالازار"، ظل في الحكم 38 سنة، وألغى الأحزاب وزوّر الاستفتاءات، وهو في نظرِه شبيه بالسادات في كثيرٍ من الأمور، وهو ما سوف نناقشه في فصلٍ تالٍ عن كتاباته.

تصريح سياسي في مكة

ويحكي لنا أحد أقرباء "الشاذلي" هذه الحكاية التي جرت خلال عمل "الشاذلي" سفيرًا في البرتغال؛ حيث يقول:

"إن عدم وجود عمل حقيقي في سفارة "مصر" في البرتغال؛ دفعه إلى السعي للحج، وقد طلب بالفعل سفير "مصر" في الرياض ليسأله؛ وبعد أيام فوجئ بسفير السعودية بالمغرب يخبره أن هناك دعوة ملكية مقدمة له ولزوجته للحج هذا العام، وحاول الاعتذار و لم يتمكن؛ لأن دعوات الملوك لا تُرد، وعاد إلى "مصر" أيامًا قليلة التقى فيها أقرباءه في "شبراتنا" الذين طالبوه بكتابة مذكراته، ووعدهم بأن يفعل قريبًا، وعندما سافر إلى الحج دعوه للقاء "الملك" الذي كان يجمع كبار الشخصيات خلال موسم الحج، وسأل الملك "سعد الشاذلي" عن رأيه في زيارة "السادات" إلى "إسرائيل"؛ فرد: إنها قفزة في الظلام. وأنا لا أؤيده، وقد التقى "الشاذلي" وقتها "علي حمدي الجمال" رئيس تحرير الأهرام، وسأله عن رأيه في مبادرة "السادات" للسلام؛ فرد بأنه لا يؤيدها؛ فسأله: هل ستكتب ذلك؟ فرد بالإيجاب، وعندما عاد "الجمال" إلى القاهرة كان أول ما فعله أنه كتب مقالة يمتدح ويؤيد مبادرة "السادات" العظيمة". "7"

فيما بعد كتب "الشاذلي" المذكرات خوفًا على الحقيقة، وإنصافًا للتاريخ، واستغرق عامًا كاملًا في ذلك، واختار موعد المجابهة مع "السادات" ونظامه، وهي مجابهة ستطول وتمتد إلى عصر خليفته "محمد حسني مبارك".

7- راوي الحكاية هو "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - لقاء مع المؤلف - الغربية – يونيو 2011م.

"كش ملك" يا "سادات"

(وأخيرًا صافح قادتنا الأعداء والجيش يحارب...
ناموا في الجيش الآخر والجيش يحارب)

"الشاعر العراقي مظفر النواب"

أسباب عديدة دفعت "الشاذلي" لإعلان المعارضة ضد "السادات" والوقوف في الجبهة الأخرى، أسباب كثيرة ومتنوعة؛ منها ما هو شخصي، ومنها ما هو عام، ولكن الأسباب العامة كانت أقوى وأوضح، وكان لها أثر سلبي كبير.

لقد أراد "السادات" أن يريح نفسه من مشاغبات "الشاذلي" ومجادلاته ومعارضاته وصراحته؛ فنفاه إلى "بريطانيا" تحت علم الدبلوماسية، لكنه اكتشف أنه أخطأ خطأً كبيرًا. لقد استفاد "الشاذلي" من إقامته ببريطانيا والبرتغال عدة فوائد؛ أبرزها الانفتاح على الإعلام والرأي العام العالمي، وكان من قبل بحكم انتمائه للمؤسسة العسكرية منعزلًا عنه، وثانيها أنه تعلم الديمقراطية واطلع عليها ورآها هدفًا في حد ذاته لإقرار العدل في الحكم.

إن "السادات" تصور أنه يستطيع إدخال "الشاذلي" في حظيرته؛ بمعنى منحه مزايا معينة يعيش أسيرًا لها فلا يستطيع نقدًا ولا يجرؤ على إغضاب مانح المزايا، لقد صدقت نبوءة "عبد المنعم واصل" أنه لن يبقى على الساحة سوى بطل واحد، ففي نهاية 1974م مات المشير "أحمد إسماعيل" متأثرًا بالسرطان، وقد زاره "الشاذلي" خلال مرضه؛ فطلب منه أن يسامحه وقال له: إن "السادات" هو الذي أمر بإزالة اسمك من احتفالات أكتوبر."1"

وأُختير "محمد عبد الغني الجمسي" رئيسًا للأركان، ثم لم يلبث أن اختير وزيرًا للحربية حتى العام 1978م؛ عندما قرر "السادات" تعيينه مستشارًا عسكريًا؛ أي أنه حصل على مزايا "الصمت" لمدة خمس سنوات، آثر بعدها الصمت حتى وفاة "السادات"؛ فلم يتكلم و لم يدل برأيه إلا في النهاية.

1ـ "سعد الشاذلي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ ط 2 ـ 1981م ـ الجزائر– ص 202

واختير "محمد علي فهمي" رئيسًا للأركان في العام 1974م؛ و لم يبق طويلًا واختفى اسمه بعد ذلك.

أما "حسني مبارك"؛ فكان الاستثناء الوحيد؛ إذ استفاد من "السادات" أكبر استفادة عندما عُيّنَ نائبًا لرئيس الجمهورية، وأغلب الظن أن "السادات" لم يكن ينوي الإبقاء عليه، ولكن القدر كان أسبق ليقفز إلى سدة الحكم ويبقى فيه ثلاثين عامًا كاملة.

دوافع الثورة

إن الدوافع الشخصية التي حركت في نفس "الشاذلي" شخصية المقاتل وأعادتها إلى ساحة القتال كانت عديدة، لكنها لم تكن وحدها كفيلة بدفعه ذلك الدفع بدون أسباب قومية أخرى.

كانت أبرز الدوافع الشخصية لدى "الشاذلي" التجاهل التام لدوره في الحرب كأنه لم يحارب و لم يعبر و لم يخطط لشيء، فوجئ الرجل باحتفالية عن "حرب أكتوبر" ليشاهدها أمام التلفاز مثله مثل جميع الناس الذين لم يحاربوا واكتفوا بـ"الفرجة"، وساءه أن تكرم "سوريا" أبطالها وتكرمه معهم ولا يكرمه بلده ولا يحتفي به، وكان أكبر جرم أن "السادات" سعى لتحميله مسئولية أخطائه السياسية التي تسببت في الثغرة خلال الحرب، وساعده على ذلك صحافيون وإعلاميون منافقون.

وكانت أولى إشارات "السادات" لتحميل "الشاذلي" مسئولية الثغرة في كتاب "وثائق 15 مايو" للكاتب "موسى صبري" ـ كما ذكرنا من قبل، بعدها وفي سنة 1976م أصدر "حمدي لطفي" كتابًا بعنوان "العسكرية المصرية فوق سيناء" "2"، ترجم فيه للمشير "أحمد إسماعيل" وزير الحربية، و"محمد عبد الغني الجمسي" رئيس العمليات، و"فؤاد ذكري" قائد البحرية، و"حسني مبارك" قائد القوات الجوية، و"سعيد الماحي" قائد المدفعية، وآخرين من القيادات المتوسطة مثل: "كمال حسن علي"، و"جمال الدين محمد"، و لم يذكرا حرفًا واحدًا عن "الشاذلي"، كأنه كان يحارب مع الجيش الإسرائيلي!

وفي أكتوبر سنة 1977م؛ أصدرت إدارة الشئون المعنوية بالقوات المسلحة كتابًا بمناسبة مرور أربع سنوات على الحرب؛ تحدثت فيه عن الخطط والمعارك والأحداث، و لم تشر إلى اسم "سعد الدين الشاذلي" بأي عبارة سلبية أو إيجابية.

---

2. حمدي لطفي ـ العسكرية المصرية فوق سيناء ـ كتاب الهلال ـ 1976م.

وكان الأصعب أن يصدر "السادات" كتابه "البحث عن الذات" في العام 1978م؛ وهو مذكراته التي تحدث فيها عن حياته منذ الطفولة حتى بعد الانتصار، وقد ذكر فيها قصة "انهيار الشاذلي" ومسئوليته عن الثغرة بسبب إضاعته الوقت، وهو ما أثار غضبًا شديدًا لدى "الشاذلي" ولدى زملائه، الذين شاركوا معه في الحرب ويعلمون يقينًا أن ذلك الكلام محض افتراء.

الدوافع القومية

أما الدوافع العامة التي دفعت السفير "الشاذلي" إلى المجاهرة بمعارضة الرئيس الأسبق؛ فإنه يذكرها بشيءٍ من التفصيل في كتابه "أربع سنوات في السلك الدبلوماسي" وتتلخص فيما يلي:

1. تجميد الديون المصرية للاتحاد السوفيتي رغم مساندته السابقة لـ"مصر"، مع إعادة العلاقات مع أمريكا.
2. فتح الباب للاستدانة مرة أخرى من الخارج، واتباع سياسة الانفتاح الاقتصادي.
3. تشويه عهد "عبد الناصر" ومحو إنجازات "ثورة يوليو".
4. استمرار الحكم الأوتوقراطي وخداع الناس بوهم الديمقراطية.
5. زيارة "السادات" للقدس في نوفمبر 1977 والسعي لصلح منفرد."3"

وإذا كان لي أن أعلق؛ فإنني أرى أن السبب الأخير هو الأكثر قبولًا لمثل هذه المعارضة؛ لأنه كان يمثل "صدمة" للعالم العربي، الذي عاش أبناؤه على حلم تدمير "إسرائيل" وتحرير "فلسطين".

***

خطة المجابهة

لقد اتخذ "الشاذلي" قرار المجابهة بعد أدائه فريضة الحج وعودته إلى القاهرة نهاية 1977م، وسافر إلى لشبونة ولحقت به السيدة زينات السحيمي زوجته؛ بعد أن أخبرها بقراره واقتنعت به تمامًا، وفي ديسمبر 1977م كانت "الجزائر" و"اليمن" و"سوريا" و"العراق" و"ليبيا" قد قررت قطع علاقاتها مع "مصر" احتجاجًا على زيارة "السادات" للقدس.

---

3. "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - الوطنية – الجزائر 1983م - من ص 133 إلى ص 143.

وقتها اختار "الشاذلي" الجزائر مقرًا ومستقرًا له للإقامة هو وزوجته؛ لأنه تربطه علاقة ودّ ومحبة مع "هواري بومدين" الرئيس الجزائري، فضلًا عن طبيعة الجزائر الثائرة التي تتماشى مع توجهات "الشاذلي" في ذلك الوقت، اتصل "الشاذلي" بـ"عبد المجيد فريد" مستشار الرئيس الجزائري وهو مصري كان يشغل منصب أمين عام رئاسة الجمهورية في عهد "عبد الناصر"، وقدمه "السادات" إلى المحاكمة في مايو 1971م، وأبلغه برسالته إلى الرئيس "هواري بومدين".

وقد وضع "الشاذلي" خطة للمجابهة؛ فحرص على عدم تغيير أيٍ من مواعيده أو اتفاقاته حتى لا تشعر المخابرات بما ينتويه.. وكان حفيداه هشام وكريم قد ذهبا إليه لقضاء الصيف معه، واتصل به "سفير الكويت" وأخبره بأنه سيصل إلى "لشبونة" في يوليو، واتصل به شقيق زوجته وأخبره بأنه قادم لزيارته فرحب بذلك، وفي يوم الإثنين 19 يونيو 1978م تحرك سائق سيارته بمظاريف مغلقة إلى عدة جهات لم يكن يعلم أنها تحمل براءة من "السادات" ومعارضة علنية له.

بيان مهم

لقد احتوى البيان الموزع على السفارات ووكالات الأنباء والصحف ما يلي:

"إن نظام "السادات" ليس أفضل من نظام "سالازار" أو نظام "كايتانو" الذي أسقطته الثورة البرتغالية في 25 أبريل 74، كما أنه ليس أفضل من نظام "فرانكو" الذي سقط في "إسبانيا" بعد موته في نوفمبر 74، إن إجراء الانتخابات وخلق بعض المؤسسات الدستورية في بلد ما.. لا يعني بأي حال من الأحوال أن الديمقراطية قد تحققت في هذا البلد.

ففي خلال حكم "سالازار" كان هناك دائمًا انتخابات، ولكن نتيجة هذه الانتخابات كانت معروفة ومؤكدة قبل أن تُجرى؛ لأن تزوير هذه الانتخابات كان حقيقة معروفة، لقد كان "سالازار" يزج بخصومه السياسيين في السجن بموجب قوانين وضعها هو بنفسه وصادق عليها أعضاء البرلمان الذين أتى هو بهم بالتزوير، وإن "السادات" يفعل في "مصر" ما فعله "سالازار" نفسه.

إن القوانين التي أصدرها "السادات" مؤخرًا لهي أشد قسوة من كل ما أصدره "سالازار" طوال حكمه من قوانين ظالمة.. وتحت شعارات الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي؛ فإن "السادات" يستطيع الآن أن يسوق من يشاء من معارضيه إلى السجون أو حتى إلى حبل المشنقة، إنه يعتبر كل من ينتقد زيارته للقدس أنه يهدد الوحدة الوطنية.

لو أن هناك ديمقراطية حقيقية في "مصر"؛ لما اختار أبناء "مصر" هذه السياسة الخارجية الخاطئة التي يدفعنا إليها "السادات"، وقد أدت إلى أن أصبحت "إسرائيل" أشد تعنتًا في مطالبها،

وتدهورت القدرة القتالية للقوات المسلحة لتصل إلى 60 % مما كانت عليه قبل "حرب أكتوبر"، واهتز التضامن العربي وبدأ يتفكك.

لو أن هناك ديمقراطية في "مصر"؛ لما تجرّأ "السادات" على نشر مذكراته بينما هو لا يزال يزاول سلطاته رئيسًا للجمهورية، لقد تعودنا أن نقرأ مذكرات لكبار السياسيين والعسكريين، ولكن بعد اعتزالهم الخدمة، أما أن يكتب أحدهم مذكراته وهو لا يزال يشغل منصبه؛ فإن هذا لم يحدث قط في أي بلد في العالم...

إن طريق الديمقراطية في "مصر" هو طريق صعب.. ولكنه هو الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله أن تصل "مصر" إلى مستقبل أفضل.. عاشت "مصر" وعاشت الديمقراطية"."4"

ومما يبدو من نص البيان أن "الشاذلي" يحاول تقريب نموذج "السادات" للمجتمع البرتغالي؛ فيذكر له قائدًا دمويًّا عرف عنه التعذيب والقهر وإلقاء معارضيه في السجون وهو "سالازار" الذي تُوفي في العام 1970م بعد عدة محاولات فاشلة للانقلاب عليه.

ولا شك أن بيان "الشاذلي" جاء مفاجئًا وصادمًا للرأي العام الغربي، الذي كان ينظر إلى "السادات" نظرة إيجابية، وبعد.. فقد سارعت وكالات الأنباء والقنوات الفضائية بالاتصال بالسفير الذي خرج عن نظام الحكم واتهمه بالديكتاتورية، وأجرت محطة "بي بي سي" حوارًا مفصلًا مع "الشاذلي"، وتتابعت اتصالات السفراء العرب يعلنون تضامنهم مع زميلهم ويعرضون استضافته، كان أبرز العروض التي تلقاها "الشاذلي" من "صدام حسين" نائب الرئيس العراقي وقتها، وفي "مصر" نشرت بعض الصحف في 20 يونيو قرارًا من وزير الخارجية بالاستغناء عن خدمات "سعد الشاذلي"؛ لأن الوزارة علمت أنه على اتصال بـ"القذافي" وأنه وعده بمنصب كبير في الجيش وراتب يوازي أضعاف راتبه سفيرًا عدة مرات.

وقتها أخفى "الشاذلي" وجهته وطلب تأشيرة سياحية إلى إسبانيا، وسافرت معه مجموعة تأمين جزائرية وعراقية إلى مدريد، ومن هناك أخذ الطائرة إلى "الجزائر"؛ حيث قوبل بحبٍّ وتقديرٍ غير متوقعين، وعاش فترة من أجمل سنوات عمره."5"

وأسدل الرجل – بما فعل الستار – على مرحلة مهمة في حياته.. هي مرحلة العمل الدبلوماسي التي صقلت خبراته السياسية، وأسهمت في مد جسور من المعرفة مع العالم الديمقراطي الحر.

---

4. بيان 19 يونيو 1978م للسفير "سعد الشاذلي" سفير "مصر" في البرتغال "ملخص".
5. "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - المصدر السابق - من ص 149 إلى ص 159.

وفى تصور الدكتور "محمد الجوادي"؛ فإن شخصية "المقاتل" تغلبت لدى "سعد الشاذلي" على صفة "العسكري الملتزم"؛ ففعل ما فعل من هجوم وانتقاد للسادات، ثم نشر بعد ذلك مذكراته بما تضمنته من هجوم شديد على "السادات" في توقيت خطأ؛ إذ كان "السادات" وقتها في أقوى لحظات الصعود إلى المجد؛ خصوصًا أن العالم كله كان مشدوهًا ومندهشًا بهذا البطل الذي قاد معركة عظيمة في الحرب، ثم انتقل إلى معركة سياسية أخرى في السلام."6"

ويمكن القول إن رؤية الدكتور "الجوادي" صحيحة إذا تم اقتطاع ثورة "الشاذلي" وهجومه على الرئيس "السادات" من سياقها التاريخي، ومن دوافعها الشخصية التي لا يجوز تجاهلها عند تقييم أي حدث مهما كان، إن الفريق "سعد الشاذلي" كان مدفوعًا أن يفعل ما فعل لاعتبارات كرامته وكبريائه، وشعوره بالظلم تجاه تحميله أخطاء لم يرتكبها.

لو كان "الشاذلي" انتقد "السادات" واختلف معه بسبب زيارته للقدس أو تفاوضه مع الإسرائيليين مثلما فعل "إسماعيل فهمي" ومن بعده "إبراهيم كامل" وزير الخارجية المستقيلان احتجاجًا على "السادات"؛ لوافقنا الدكتور "محمد الجوادي" أن فعل الرجل فيه خروج عن صفة "العسكري الملتزم"، كما أن القول بأن التوقيت كان خطأ، وأن "السادات" كان في أقوى درجات الصعود إلى المجد هو قول نسبي؛ لأن البعض يعتقد أن فعل أنور "السادات" كان أول ضربة معول في أساسات البناء العربي."7"

6ـ د. "محمد الجوادي" ـ صانع النصر المشير أحمد إسماعيل ـ دار جهاد للنشر ـ ط 3ـ 2005م – ص 265.

7ـ يراجع في ذلك آراء: "محمد حسنين هيكل" في كتابه "خريف الغضب"، و"أحمد بهاء الدين" في كتاب "محاوراتي مع السادات"، و"يوسف إدريس" في كتاب "البحث عن السادات".

معارض من الجزائر

(قل كلمتك.. وانفجر)

"الفيلسوف نيتشه"

الجزائر لماذا؟

لماذا اختار "سعد الشاذلي" الجزائر مقرًّا لمنفاه؟

كانت هناك عدة عروض لاستقباله في دول عربية أخرى؛ لكنه اختار "الجزائر" لأنها ـ حسب قوله ـ بلد يحكمه ثوار وطنيون."1"

لقد تلقى الرجل عرضًا عراقيًّا من "صدام حسين" للإقامة هناك؛ لكنه لا بد قد استبعده لإدراكه أن نظام البعث العراقي لن يسمح له بالحركة بحرية في ظل نظام استبدادي مغلق.

وكانت الجزائر الثائرة تكن لـ"مصر" كثيرًا من المحبة والمودة لموقف "مصر" الداعم للثورة الجزائرية في بدايتها، ثم دعم "مصر" لعملية تعريب الجزائر التي "أطلقها هواري بومدين" بعد مجيئه للحكم.

أضف إلى ذلك أن "الشاذلي" ارتبط بصداقة وطيدة مع الرئيس الجزائرى "هواري بومدين" عندما كان "الشاذلي" أمينًا مساعدًا عسكريًّا للجامعة العربية، ويذكر الرجل في مذكرات حرب أكتوبر أنه عرض على الرئيس "السادات" مذكرة بعد تعيينه رئيسًا للأركان بطلب أسلحة وجنود من الدول العربية للمشاركة في المعركة، وكان تقدير "السادات" أن "الجزائر" و"المغرب" لن يعطيا "مصر" شيئًا؛ لكن "الشاذلي" سافر في فبراير 1972م والتقى الرئيس "بومدين" ووعده بأن الجزائر ستسهم بكل ما لديها في المعركة بشرط.. أن تكون هناك نية حقيقية للحرب."2"

1ـ حلقات "سعد الشاذلي" شاهد على العصر ـ الجزيرة ـ تقديم أحمد منصور– 1993م.

2ـ "سعد الشاذلي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ الجزائر ـ ط 2ـ1981م ـ من ص 268 إلى ص 271ـ "بتصرف".

وفي سبتمبر 1973م سافر "الشاذلي" إلى الجزائر مرة أخرى تحت اسم مستعار وقابل "بومدين" يوم 17 سبتمبر، وأخطره بقرار الحرب وتباحثا بشأنها، ووعده بأنه سيتصل بالرئيس "السادات" بخصوص هذا الموضوع، وبمجرد اندلاع الحرب في العام 73 أرسلت "الجزائر" سرب "ميج 21" وسرب "سوخوي 7" وسرب "ميج 17" و"لواء مدرع"، وهي بذلك تأتي في المركز الثاني بين الدول العربية الداعمة لحرب أكتوبر بعد "العراق"."3"

استقبال حافل

لقد سافر الفريق "سعد الشاذلي" إلى الجزائر بعد مفاجآته المدوية في "لشبونة" وترتيبه مع "عبد المجيد فريد" كيفية الذهاب إلى بلد المليون شهيد، كان الاستقبال الذي لاقاه فور وصوله إلى هناك دافعًا للاعتقاد بأنه اختار البلد الصحيح، وفي كل مكان يذهب إليه مع زوجته يقابل بترحاب شديد، وقد خصصت الحكومة الجزائرية له مخصصًا شهريًا للإنفاق منه، وتم تخصيص قصر رائع لإقامته مع تعيين حراسة خاصة عليه؛ خوفًا من تعرضه لأي محاولة انتقام من جانب نظام "السادات".

لقد كان سائدًا في تلك الأيام تصور أن "السادات" المعروف بدمويته وانخراطه منذ الأربعينيات في الأعمال السرية لن يترك "الشاذلي" يهنأ بالعيش في سلام؛ خصوصًا أنه لم يقبل الصمت التام.

تحكي زوجة الفريق "الشاذلي" للمؤلف كيف كان الجزائريون يبجلون ويحترمون زوجها؛ حيث كان كثيرًا ما يدعى للقاء "هواري بومدين" وكبار رجال دولته، كما كان يسمح له بحرية الحركة والسفر من وإلى الجزائر وفي داخل الجزائر نفسها بدون أي قيود، وكان كثير من المصريين المقيمين في الجزائر يعتبرونه سفيرًا لهم؛ فكانوا يزورونه كثيرًا، وكان البعض يعرض عليه مشكلاته ويتدخل الفريق لحلها."4"

***

3- المصدر السابق، 297، 298.

4- محضر اجتماع المؤلف مع السيدة زينات السحيمي زوجة الفريق "الشاذلي" - مارس 2011م.

كتابة المذكرات

لقد أنهى "سعد الشاذلي" كتابه في العام 1977م، وبحث عن ناشر عالمي له، وكلف وقتها كريمته "شهدان" بمحاولة نشر الكتاب في أمريكا.

وتحكي "شهدان الشاذلي" للمؤلف أنها كانت وقتها مديرة لأحد صناديق الاستثمار في البورصة الإنجليزية، وأخذت الكتاب من والدها، وذهبت به إلى أحد الكتاب الكبار في جريدة "الأوبزرفر" ووعدها بنشر الكتاب؛ لكنه ظل يماطلها عدة أيام؛ ما دفعها إلى أخذ الكتاب منه، وعرضته على ناشر آخر، وأخبرها أن الوقت غير مناسب لنشر الكتاب..

في ذلك الوقت.. قررت "شهدان" نشر الكتاب في أمريكا لتصورها أن أمريكا هي بلد الحرية، وسافرت بالفعل إلى هناك، وفوجئت أن معظم الناشرين يرفضون نشر الكتاب، وهو ما دفعها في النهاية إلى أن تنشره بنفسها، واستعانت بمحرر عسكري إنجليزي اسمه "جون بيري" من جريدة "صنداي تايمز"، وأسست مركز نشر باسم "سان فرانسيسكو لأبحاث الشرق الأوسط"، ونُشِرَ الكتاب في أمريكا ولاقي توزيعًا جيدًا.

وقد صاحب نشر الكتاب ظهور الإنترنت نهاية السبعينيات، فاشتري موقع "أمازون" حق نشر الكتاب إلكترونيًا، وكتبت معظم الصحف الكبرى في العالم عن الكتاب، وكانت من أفضلها جريدة "الايكونوميست" التي أطلقت على "سعد الشاذلي" لقب "الرأس المدبر لحرب أكتوبر"، وتُرجِمَ الكتاب إلى اللغة العربية ودخلت نسخه جميع الدول العربية عدا "مصر" والسعودية."5"

وكان أقرباء "الشاذلي" يسافرون كثيرًا إلى "الجزائر" التي استوعبت خلال سنوات السبعينيات عددًا كبيرًا من المدرسين المصريين الذين سافروا للمشاركة في حركة تعريب "الجزائر" بعد فرنسة لأكثر من مئة عام، وكثيرًا ما كانوا يلتقون الرجل، الذي اهتم بأن يبعث معهم نسخًا من مذكراته عن "حرب أكتوبر" إلى بعض الشخصيات في "مصر"؛ ما أتاح دخول الكتاب رغم الحملة الإعلامية الظالمة التي تم تنظيمها ضد الكتاب وضد مؤلفه "سعد الشاذلي" نفسه."6"

إن الفريق "الشاذلي" نفسه يشير إلى قصة مقاومة الأنظمة العربية لكتابه فور صدوره في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب حيث يقول:

"لقد اتضح لي أن بعض الأنظمة العربية تحارب انتشار الكتاب، وإن كان كل منها يحاربه من منطلق يختلف عن الآخر.. فبعض هذه الأنظمة كان يتوقع من المؤلف أن يجاملها

5- محضر اجتماع المؤلف مع السيدة "شهدان الشاذلي" كريمة الفريق الراحل - مارس 2011م.

6- محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - يونيو 2011م.

على حساب الحقيقة عند سرد الدور الذي قامت به في هذه الحرب؛ فلما اكتشفت أن ذلك لم يحدث.. اتخذت موقفًا معاديًا من الكتاب ومن المؤلف، أما البعض الآخر؛ فقد أراد أن يستقطب المؤلف وأن يجعله يصادق من يصادقه ويعادي من يعاديه، فلما فشل في ذلك؛ قرر أن يمارس الضغط عليه بجميع الوسائل الممكنة وكان أحدها محاربة انتشار الكتاب."7"

الاتهام بإفشاء أسرار الدولة

والحقيقة.. أن الحرب ضد ما فعله "الشاذلي" كانت قد بدأت بشكل قوي داخل "مصر"، فكتب عدد من الكتاب يتهم الرجل بالخيانة، وادعى البعض أنه تسبب في خسائر جسيمة لـ"مصر" خلال الحرب، وربط آخرون بين صعوده في السلم العسكري وعلاقة المصاهرة التي ربطته بالفريق "سعد الدين متولي" ياوران الرئيس "عبد الناصر" ومن بعده "السادات"، ثم كرر كثير من المهاجمين اتهام "السادات" له بالمسئولية عن "ثغرة الدفرسوار".

وكان من أقسى مقالات التطاول والهجوم على "الشاذلي"؛ تلك المقالة التي كتبها "عبده مباشر" في "الأهرام" بتاريخ 27 يونيو 1979م وجاء فيها:

"هذا الفريق تجب محاكمته فورًا بتهمة إفشاء أسرار الوطن".

لا أحد ينكر أن الفريق "سعد الدين الشاذلي" رئيس الأركان المصري الأسبق كان له دور في جميع الأحداث العسكرية التي شاركت فيها القوات المسلحة.. أما تقييم هذا ؛ فليس من الضروري أن تتفق عليه جميع الآراء.

أقول ذلك بمناسبة ما تنشره إحدى المجلات "8" التي يمولها العراق من مذكرات للفريق "سعد الشاذلي"، لقد طالعت حلقتين من هذه المذكرات، وإذا قلت إنني شعرت بالتقزز؛ فذلك ليس إحساسًا شخصيًّا تجاه الفريق "الشاذلي"، ولكنه الأسى على استباحة أسرار القيادتين العليا والعامة للقوات المسلحة.

فهو كونه مصريًا أولًا.. وكونه رجلًا عسكريًّا ثانيًا؛ يدرك مدى خطورة اللعبة عندما تتعلق بأمن "مصر" وأمن قواتها المسلحة، وما كان له أن ينحدر إلى هذا المستوى الذي انحدر إليه، إن ما أقدم عليه الفريق "الشاذلي" إخلال بالالتزام الخلقي وشرف العسكرية والأمانة الوطنية.

7- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - مصدر سابق - ص 5.

8- المقصود بها مجلة الوطن العربي.

هذه الأسرار التي اطلع عليها أو كان شاهدًا عليها أو مشاركًا في صنعها؛ إنما جرت بحكم منصبه لا لأنه المواطن "سعد الشاذلي".. وأن يكشف الستار وسط أكاذيبه وأوهامه وافتراءاته في مذكرات ليستفيد منها جميع أعداء "مصر"؛ فذلك خروج فاضح على الولاء المفروض للوطن، والقدسية لأمنه وأسراره، وعلى القسم الذي أقسمه يوم تخرج في الكلية الحربية، وقانونًا؛ فإن إباحة أسرار تعرّض أمن الوطن للخطر أمر يُعاقب عليه بتهمة الخيانة."9"

والحقيقة أن "مباشر" اتهم "الشاذلي" بإفشاء أسرار العسكرية المصرية من خلال نشر مذكراته، وهي تهمة كان الأولى باتهامه بها أولًا "السادات".. لو كان الحديث عن حقائق الحروب بعد انتهائها يمثل خرقًا للقانون!

لقد كان "السادات" أول من تحدث عن تفاصيل الحرب في أحاديث صحافية مختلفة، واصفًا خطط الخداع الاستراتيجي بالتفصيل ومتحدثًا باستفاضة عن داخليات القوات المسلحة.

كما تحدث بشكل مفصّل من خلال عدة كتب صدرت عن الحرب؛ كان أبرزها كتاب "وثائق حرب أكتوبر" للأستاذ "موسى صبري"، وكتاب "وتحطمت الأسطورة عند الظهر" للأستاذ "أحمد بهاء الدين"، فضلًا عن الكتب الأجنبية التي تناولت الحرب، وحرص مؤلفوها على الجلوس إلى "السادات" للاستماع له حول تفاصيل المعركة . إن أحدًا لم يتهم "السادات" وقتها بإفشاء أسرار عسكرية أو أسرار عليا، ولم يجرؤ أحد على المطالبة بمحاكمته؛ بل على العكس أخذ كثيرون من أمثال "عبده مباشر" في كيل المديح والثناء على عبقرية البطل الأوحد للحرب؛ ولما رحل اعتبروا الرئيس "حسني مبارك" أعظم قائد، وبالغوا في دور الضربة الجوية حتى أصبح هو البطل الأوحد!

إن "عبده مباشر" أصدر حكمًا مسبقًا باعتبار كل ما كتب "الشاذلي" من مذكرات بمثابة أكاذيب وافتراءات، لا لشيء سوى أن الرجل عارض "السادات" علنًا وقال كلمته بدون خوف، وكان المفترض أن يبرر "مباشر" وصفه المذكرات بالأكاذيب والافتراءات؛ بمعنى أنه يمكن أن يستعين بشهادات لآخرين ليكشف لنا كيف يكذب "الشاذلي"؛ لكن من الواضح أن الرجل اكتفى بذلك الوصف إرضاء للنظام الحاكم الذي كان يقرب المصفقين، ويضطهد ويخاصم الصادقين.

***

9- "عبده مباشر" - أسرار وحقائق الحروب المصرية الإسرائيلية - هيئة الكتاب 2007م - ص. ص. 267، 268.

بلاغ إلى النائب العام

لقد واصل "الشاذلي" انتقاده لنظام "السادات" من "الجزائر" وفي يوليو 1979م؛ بعث ببلاغٍ إلى النائب العام ضد "أنور السادات" رئيس الجمهورية.. كان نصه كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم

السيد النائب العام:

تحية طيبة.. وبعد

أتشرف أنا الفريق "سعد الشاذلي" رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين 16 من مايو 1971م وحتى 12 ديسمبر 1973م، أقيم حاليًا بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية بمدينة الجزائر، وعنواني هو صندوق بريد رقم 778 الجزائر – المحطة.

بأن أعرض على سيادتكم ما يلي:

أولًا:

إني أتهم السيد "محمد أنور السادات" رئيس "جمهورية مصر العربية" بأنه خلال الفترة ما بين أكتوبر 1973م ومايو 1978م، وحيث كان يشغل منصب رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية، بأنه ارتكب الجرائم التالية:

1. الإهمال الجسيم، وذلك أنه وبصفته السابق ذكرها أهمل في مسئولياته إهمالًا جسيمًا، وأصدر عدة قرارات خاطئة تتعارض مع التوصيات التي أقرها القادة العسكريون، وقد ترتب على هذه القرارات الخاطئة ما يلي:

(أ) نجاح العدو في اختراق مواقعنا في منطقة "الدفرسوار" ليلة 15/16 أكتوبر 73؛ في حين أنه كان من الممكن ألا يحدث هذا الاختراق إطلاقًا.

(ب) فشل قواتنا في تدمير قوات العدو التي اخترقت مواقعنا في "الدفرسوار"، في حين أن تدمير هذه القوات كان في قدرة قواتنا، وكان تحقيق ذلك ممكنًا لو لم يفرض "السادات" على القادة العسكريين قراراته الخاطئة.

(ج) نجاح العدو في حصار الجيش الثالث يوم 23 من أكتوبر 73، في حين أنه كان من الممكن تلافي وقوع هذه الكارثة.

2. تزييف التاريخ، وذلك أنه بصفته السابق ذكرها.. حاول ولا يزال يحاول أن يزيّف تاريخ "مصر"؛ ولكي يحقق ذلك فقد نشر مذكراته في كتاب سمّاه (البحث عن الذات)، وقد ملأ هذه المذكرات بالعديد من المعلومات الخاطئة التي تظهر فيها أركان التزييف المتعمد وليس مجرد الخطأ البريء.

3. الكذب:

وذلك أنه كذب على مجلس الشعب وكذب على الشعب المصري في بياناته الرسمية وفي خطبه التي ألقاها على الشعب.. وأذيعت في شتى وسائل الإعلام المصري، وقد ذكر العديد من هذه الأكاذيب في مذكراته (البحث عن الذات) ويزيد عددها على خمسين كذبة، أذكر منها – على سبيل المثال لا الحصر – ما يلي:

(أ) ادعاؤه أن العدو الذي اخترق في منطقة "الدفرسوار" هو سبع دبابات فقط، واستمر يردد هذه الكذبة طوال فترة الحرب.

(ب) ادعاؤه أن الجيش الثالث لم يحاصر قط.. في حين أن الجيش الثالث قد حُوصر بواسطة قوات العدو لمدة تزيد على ثلاثة أشهر.

4. الادعاء الباطل، وذلك أنه ادعى باطلًا بأن الفريق "الشاذلي" رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية؛ قد عاد من الجبهة منهارًا يوم 19 من أكتوبر 73، وأنه أوصى بسحب جميع القوات المصرية من شرق القناة، في حين أنه لم يحدث شيء من ذلك مطلقًا.

5. إساءة استخدام السلطة:

وذلك أنه بصفته السابق .. سمح لنفسه بأن يتهم خصومه السياسيين بادعاءات باطلة، واستغل وسائل إعلام الدولة في ترويج هذه الادعاءات الباطلة، وفي الوقت نفسه؛ فقد حرم خصومه من حق استخدام وسائل الإعلام المصرية ـ التي تعتبر من الوجهة القانونية ملكًا للشعب – للدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات الباطلة.

ثانيًا:

إني أطالب بإقامة الدعوى العمومية ضد الرئيس "أنور السادات" نظير ارتكابه تلك الجرائم، ونظرًا لما سببته هذه الجرائم من أضرار بالنسبة لأمن الوطن ونزاهة الحكم.

ثالثًا:

إذا لم يكن من الممكن محاكمة رئيس الجمهورية في ظل الدستور الحالي على تلك الجرائم؛ فإن أقل ما يمكن عمله للمحافظة على هيبة الحكم؛ هو محاكمتي لأنني تجرأت واتهمت رئيس الجمهورية بهذه التهم التي قد تعتقدون من وجهة نظركم أنها اتهامات باطلة، إن البيّنة على من ادعى، وإني أستطيع – بإذن الله – أن أقدم البيّنة التي تؤدى إلى ثبوت جميع هذه الادعاءات، وإذا كان "السادات" يتهرب من محاكمتي، على أساس أن المحاكمة قد تترتب عليها إذاعة بعض الأسرار، فقد سقطت قيمة هذه الحجة بعد أن قمت بنشر مذكراتي في مجلة "الوطن العربي" في الفترة ما بين ديسمبر 78 ويوليو 1979م للرد على الأكاذيب والادعاءات الباطلة التي وردت في مذكرات "السادات"، لقد اطلع على هذه المذكرات واستمع إلى محتوياتها عشرات الملايين من البشر في العالم العربي ومئات الألوف في "مصر".

الفريق "سعد الشاذلي"."10"

ردود أفعال عنيفة

وكان من الواضح أن ذلك البلاغ أثار حالة من الغيظ لدى "السادات" ونظامه، وتلقى بعض أفراد الأسرة رسائل بعدم الذهاب إلى "مصر" ومنها "شهدان" كريمة الفريق "الشاذلي" الكبرى... إنها تقول للمؤلف:

"الحقيقة أنني فوجئت بعد نشر كتاب والدي عن حرب أكتوبر بـ"أشرف مروان" ـ رحمه الله وكان صديقًا وأخًا عزيزًا ـ يقول لي ـ وكنت وقتها في واشنطن: "لا تذهبي إلى "مصر"،

10ـ "سعد الشاذلي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ مصدر سابق ـ من ص 423 إلى ص 426.

وبالفعل التزمت بنصيحته، وكانت أختاي تتنقلان بيسر بصحبة زوجيهما، وكان هناك بعض الحكايات عن مجموعة كوماندوز مصري يتم تجهيزها لاغتيال "الشاذلي" في "الجزائر"، لكننا لم نتأكد من شيء"."11"

لقد استمر الفريق "الشاذلي" في معركته ضد نظام "السادات"؛ فسافر في 1980م إلى "سوريا"، ومن هناك أعلن عن إنشاء جبهة الصمود والتحدي ضد نظام "السادات" وضد التطبيع مع "إسرائيل"، ودعا المصريين إلى رفض التطبيع ومقاومة الاستبداد.

بيان الاغتيال

وفي أكتوبر 1981م اغتيل "السادات" وسط جيشه برصاصات من ضابط جيش إسلامي هو "خالد الإسلامبولي"، وقد أصدر "الشاذلي" بيانًا حيا فيه الشعب المصري، وأكد أن نهاية "السادات" جاءت بسبب سياساته القمعية ومعارضته للحريات وسعيه لعزل "مصر" عن الأمة العربية، وقد أذاعت بعض الإذاعات العربية بيان "الشاذلي" بعد الحادث؛ ما أخذه البعض عليه واعتبره بمثابة شماتة في قائد مصري عظيم.

وقد دافعت السيدة قرينة "الشاذلي" عنه بأنه لم يكن أبدًا شامتًا في "أنور السادات"؛ لأنه يومًا من الأيام كان صديقه، وكانت هناك علاقات أسرية تربط بين الأسرتين، وأن غرضه من البيان كان مجرد تحليل أسباب النهاية التي انتهت إليها حياته."12"

ويرى الدكتور "محمد الجوادي" الباحث السياسي.. أن بيان "الشاذلي" بعد اغتيال "السادات" لم يكن في محله، وكان يعبر عن روح الاندفاع والشجاعة غير المتعقلة التي سيطرت على الرجل في ذلك الوقت؛ نتيجة ما تعرض له من ظلم."13"

سنوات الحرية

وقضى الفريق "سعد الدين الشاذلي" أكثر من 13 عامًا في "الجزائر"؛ كانت خلالها من أجمل سنوات حياته؛ حيث كان الجزائريون يحبونه بشدة، وكثيرًا ما يظهر في البرامج التليفزيونية متحدثًا عن العالم العربي وكاتبًا في عدة صحف. وتقول "شهدان":

11- محضر اجتماع المؤلف مع "شهدان الشاذلي" كريمة الفريق الراحل - مصدر سابق.
12- محضر اجتماع المؤلف مع السيدة زينات السحيمي قرينة الفريق الشاذلي – مصدر سابق.
13- محضر اجتماع المؤلف مع الباحث السياسى الدكتور محمد الجوادى – مارس 2011م.

"قضى الفريق "سعد الشاذلي" 31 عامًا بـ"الجزائر"، وكان يتمتع بمحبة واسعة بين الجزائريين، ونشر هناك أربعة كتب هي: "مذكرات حرب أكتوبر"، و"4 سنوات في السلك الدبلوماسي"، و"الخيار العربي الاستراتيجي"، و"الحملة الصليبية الثامنة" حول حرب الخليج الثانية. وكان منزله في العاصمة الجزائرية مزارًا لكبار الشخصيات العربية وكبار القادة الجزائريين، وقد رفض وقتها والدي عروضًا عديدة لصدام حسين للسفر إلى العراق. "14"

العودة إلى "مصر"

وقد ظلت الحال كذلك حتى دخلت الجزائر نفق الحرب الأهلية؛ بعد انقلاب القادة العسكريين على نتائج الانتخابات البرلمانية التي جاءت بالإسلاميين إلى الحكم، وتم عزل "الشاذلي بن جديد" رئيس الجمهورية وتحديد إقامته، وأُعلنت الأحكام العرفية، وبدأت ميليشيات الجيش الجزائري في الإجهاز على رموز وقادة جبهة الإنقاذ وإثارة الاضطرابات في مختلف أنحاء البلاد، وتم تدبير عدة مذابح بمختلف أنحاء "الجزائر" والزعم أن وراءها الإسلاميين، وقد صاحب ذلك قمع متعمد للحريات، وطلب القادة العسكريون تأييد "الشاذلي"، لكن الرجل الذي انتصر دائمًا للحق والحقيقة أبى أن ينقاد إلى المعتدين على الديمقراطية، وبدأ اتصالاته مع محاميه للعودة إلى "مصر".

كانت محطة "الجزائر" بالنسبة للرجل قد فارقت، واستعان العسكر الجزائري ببطل سابق شارك في "ثورة التحرير" هو "محمد بوضياف" لتولي الحكم بدلًا من "بن جديد"، وبدأت مضايقات بعض المسئولين للفريق "الشاذلي" بعد اغتيال "بوضياف"، واستغل البعض إعلانه الرغبة في السفر ليستولي على فيللته، وعن هذا الموقف.. يتذكر أحد الصحافيين الجزائريين:

"قابلت الفريق "سعد الشاذلي" في نزل "الشيراطون" بالخرطوم، حين زرته في غرفته الخاصة بالفندق، بعد أن قضى مدة في الحبس والإقامة الجبرية في "مصر" بعد مغادرته للجزائر... زرته وكنت أتوقع أن أجد في نفسه شيئًا من "حتى" نحو الجزائر، بسبب الفصل "البايخ" الذي ارتكبه معه أشباه الجزائريين، الذين جاءوا من باريس مع المرحوم "محمد بوضياف"، ولم يجدوا غير "فيللا" "سعد الدين الشاذلي" التي أسكنه فيها المرحوم بوضياف ليسكنوها بعد إخراج بطل العرب منها!

14- محضر اجتماع المؤلف مع "شهدان سعد الشاذلي" - مصدر سابق.

سألت الفريق "الشاذلي" إن كان قد تأثر بما فعله السفهاء في الجزائر ضده، فقال لي ضاحكًا: إطلاقًا... موقف هؤلاء ليس هو موقف الشعب الجزائري، وأحرار الجزائر هم الذين احتضنوني... وهؤلاء لا يمثلون الجزائر!"15"

وكان "حسني مبارك" قد قرر محاكمة الفريق "سعد الشاذلي" أمام القضاء العسكري في العام 1983م بتهمة إفشاء أسرار عسكرية وتم الحكم عليه غيابيًا بالسجن ثلاث سنوات.

15- جريدة "الفجر" الجزائرية 23 سبتمبر 2009م.

بطل في السجن!

(السجن هو أفضل مكان لرجل حر في أمة مستعبدة)

"أحمد حسين" زعيم "مصر الفتاة"

لماذا أصر الرئيس "محمد حسني مبارك" على إهانة بطل حرب أكتوبر وقائده الأعلى بعد نحو عشرين عامًا من الحرب؟؟

لماذا عامله الرئيس السابق بكل هذا الجحود والتشويش والتعالي، وخالف القانون الذي يحق لمن صدر ضده حكم بالحبس غيابيًا بإعادة المحاكمة والإفراج عنه؟؟ ولماذا خالف القانون مرة أخرى عندما صدر حكم محكمة جنايات أمن الدولة العليا بوقف تنفيذ حكم السجن ثلاث سنوات؟؟

لماذا كان هذا الموقف الغريب تجاه "سعد الدين الشاذلي".. رغم أنه كان أحد من شجعوه وساندوه واحتفوا به عندما كان ضابطًا بالقوات الجوية؟؟

اللغز الغامض

إن "عبيد العقاد" ابن خال الفريق الراحل.. يحكي للمؤلف أنه ذهب في بداية السبعينيات لدعوة "سعد الشاذلي" لحفل قرانه في بيته في "مصر الجديدة"، وكان هناك شخص جالس يغلب عليه الهدوء والأدب الجم، وبعد أن خرج سأل "عبيد العقاد" ابن خاله "سعد الشاذلي":

من هذا يا سيادة اللواء؟

فرد:

إنه ضابط مجتهد ممن أحبهم في القوات الجوية اسمه "محمد حسني مبارك"."1"

1ـ محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" ـ الغربية ـ يونيو 2011م.

وتدلل الواقعة أن علاقة "الشاذلي" بـ"مبارك" كانت علاقة جيدة طوال سنوات "حرب الاستنزاف"، وفي المراحل الأولى لحرب أكتوبر، ونفهم أن معارضة "الشاذلي" لـ"السادات" كانت كفيلة بتقديمه إلى المحاكمة؛ لأنه انتقد "السادات" بشكل حاد، وجاهر بمعارضته خارج "مصر"، لكن ما يعد غامضًا هو أن الذي حاكم الفريق الشاذلي في العام 1983م كان الرئيس "مبارك"، ثم كان من سعى إلى تشويهه وتعمد القبض عليه وإيداعه في السجن الحربي بعد عودته في العام 1992م!

نعود مرة أخرى لنسأل: لماذا هذا الموقف؟!

تقول "شهدان الشاذلي" للمؤلف:

"وكان والدي يندهش من إصرار "مبارك" علي اضطهاده ومحاكمته وسجنه وفرض حالة من العزلة عليه، رغم أن معظم دول العالم تكرم أبطالها وقادة النصر بها، والغالب أن كراهية "مبارك" لوالدي كانت بسبب شعبيته ومحبة الناس له، وربما كان مبارك يتصور والدي خصمًا له، وكثيرون لا يعلمون أن الذي حاكم والدي هو "حسني مبارك" لا "السادات" وهو الذي سحب منه نجمة سيناء . 2"

إن "سعد الشاذلي" يكشف بنفسه أسرار كراهية "مبارك" له في حوار شخصي مع الأستاذ "عادل صبري" رئيس تحرير "الوفد الإلكتروني" قبل عدة سنوات من رحيله. حيث يحكي "صبري" عن لقاء جمعه مع الفريقَ قبل أكثر من 13 عامًا.. سأله فيه عن رأيه في مبارك فيقول:

"امتد الحوار ساعة أو يزيد قليلًا.. ظفرت بالعديد من الأسرار التي تحفّظ علي نشر بعضها، والمتعلقة بعلاقته مع الرئيس "حسني مبارك"، هنا تولد لدي إصرار علي معرفة: لماذا حرص "مبارك" علي حبس الفريق "سعد الشاذلي"، وكان بمقدوره أن يصدر عفوًا رئاسيًّا عن رجل كان قائده في المعركة، ومن المفترض أن يكون بينهما من المودة والقربى الكثير؛ خصوصًا أن الشخص المتخاصم معه ذهب إلى ذمة الله منذ سنوات طويلة. أخطرني الفريق "الشاذلي" في حواره الذي أحتفظ بتسجيله حتى الآن: مبارك لا يحبني!! وكان ينطق مبارك بفتح الميم وتشديد الراء كأهل بسيون بمحافظة الغربية بطريقة غريبة على الأذن.

واستطرد قائلًا: لقد استخدمه الرئيس "السادات" عندما نشب الخلاف بيننا في حرب أكتوبر عقب وقف إطلاق النار واستقباله وزير الخارجية الأمريكي "هنري كسينجر" وسيطًا

2ـ محضر اجتماع المؤلف مع "شهدان سعد الشاذلي" ـ مارس 2011م.

لتهدئة الأمور بينا، وذلك في أثناء قيادته للقوات الجوية، وحينما جاء إليّ لنقل وجهة نظر "السادات"؛ قلت له: لماذا يطلب منك "السادات" التدخل في أمر بين الرئيس ورئيس الأركان؟ لقد كان أولى به أن يرسل وزير الحربية أو يطلب مني الجلوس معه مباشرة لمناقشة هذه الأمور؛ لأنها تخص الدولة ولا تتعلق بخلافات شخصية؛ فشعر "مبارك " يومها بالإهانة في أمر اعتبرته طبيعيًّا، ومن يومها وأصبح يكن لي حقدًا شخصيًّا، وأصبح أكثر قربًا للسادات، بما يجعل المرء يدرك لماذا جعله بعد ذلك نائبًا لرئيس الجمهورية"."3"

ويعني ذلك أن "مبارك" كان يكن كراهية قديمة تجاه "الشاذلي" منذ كان خاضعًا له وقت رئاسته للأركان، ووجد في خلافه مع "السادات" فرصة للشماتة فيه، كما كانت الغيرة تسيطر على "مبارك" الذي وجد بعد عودة "الشاذلي" إلى "مصر" منافسًا له في بطولة حرب أكتوبر، بعد أن نجح إعلامه في تحويل دور البطولة الرئيس خلال الحرب إليه باعتباره قائد القوات الجوية.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك سببًا آخر؛ لم يفطن له كثير من المتابعين لمحاكمة "الشاذلي" وسجنه في العام 1992م؛ وهو أن "الشاذلي" نفسه مارس هجومًا شرسًا ضد نظام الحكم المصري وضد "حسني مبارك" نفسه خلال حرب الخليج أو ما يعرف باسم "حرب تحرير الكويت" في العام 1991م.

إن قليلين هم من قرأوا كتاب الفريق "سعد الشاذلي" الذي حمل عنوان "الحملة الصليبية الثامنة.. قصة تدمير أكبر جيش صنعه المسلمون"؛ لأن الكتاب غير شهير بين الناس، وصدر في "الجزائر" ومنعت معظم الدول العربية دخوله لما تضمنه من هجوم على الأنظمة التي سمحت بدخول القوات الأمريكية لتدمير قوة العراق، وكانت في الغالب معظم الدول العربية، وكان من الغريب لي شخصيًّا ألا أجد الكتاب لدى أسرة الفريق "الشاذلي" رغم أهميته، وقد استطعت الحصول على نسخة منه لدى صديق مصري عاش معظم عمره في "الجزائر" هو رجل الأعمال "ممدوح زين الدين".

في ذلك الكتاب.. يتهم "الشاذلي" صراحة "حسني مبارك" بأنه أحد الذين لعبوا دورًا مهمًّا وخطيرًا في تسهيل دخول القوات الأمريكية إلى المنطقة بدعوى تحرير "الكويت"، كما انتقده بدعوى مساندته أجنبيًّا ضد عربي، وهو موقف لا يقل كثيرًا عن مواقف "ملوك الطوائف" الذين كانوا يستعينون بالفرنجة في حروب بعضهم ضد بعض حتى سقطت "الأندلس" تمامًا.

3- جريدة الوفد – ساعة مع السجين سعد الشاذلي – مقال عادل صبرى بتاريخ 2 أبريل 2011م.

إن "سعد الشاذلي" يقول في كتابه:

"لقد شارك "حسني مبارك" شخصيًا في التآمر ضد "العراق" وفي تعبئة وسائل الإعلام المصري لتبرير إقدامه على إرسال قوات مصرية إلى السعودية، ولتشويه بعض الحقائق، وقد أرسل "حسني مبارك" رسالة سرية إلى "بوش" في منتصف أغسطس يستعجله للقيام بضرب العراق قبل أن ينفجر الشارع المصري"."4"

ويقول في موضع آخر:

"لو لم يبارك كل من النظام المصري والسعودي التدخل العسكري في المنطقة؛ لأصبح في حكم المستحيل أن تصدر القمة العربية قرارًا يبيح التدخل العسكري الأمريكي في الأزمة"."5"

***

العودة إلى "مصر"

المهم أن عودة "سعد الشاذلي" إلى "مصر" في منتصف شهر مارس 1992 كانت متوقعة؛ خصوصًا أنها توافقت مع يوم العاشر من رمضان ذكرى النصر المجيد، وخصوصًا بعد ما جرى في الجزائر من اضطرابات، وبعد ضغوط مارسها النظام المصري تجاه السلطات الجزائرية لإشعار "الشاذلي" بأنه شخص غير مرغوب في وجوده ردًا على تأييد النظام المصري السلطات الجزائرية في إجراءاتها لقمع الإسلاميين، فضلًا عن خبر حزين تلقاه الفريق في منفاه بوفاة زوج ابنته الصغرى ناهد... لكن ما لم يكن متوقعًا.. أن يتم القبض على الرجل فور وصوله إلى مطار القاهرة.

تحكي "شهدان الشاذلي":

"كان لدينا محام عسكري اسمه "جلال الديب"، وقد نقل إلينا رسالة من دوائر مقربة من "مبارك" ترحب بعودة الفريق "الشاذلي"، وعندما عاد يوم 13 مارس 1992 تم القبض عليه من مطار القاهرة، وبقينا ثلاثة أيام لا نعرف مكان احتجازه.

وفيما بعد علمنا أنه مودع في مستشفى سجن "الهايكستب"؛ حيث توافد عشرات الضباط لزيارته؛ الأمر الذي أغضب الرئيس "مبارك" فأمر بإخلاء المستشفى من المرضى"."6"

---

4. "سعد الشاذلي" - الحرب الصليبية الثامنة - ج ثانٍ - 1992م - ص. ص. 208، 209.
5. المصدر السابق - ص 557.
6. محضر لقاء المؤلف مع "شهدان سعد الشاذلي" - مصدر سابق.

لقد نشرت جريدة الأهرام في اليوم التالي خبر عودة الفريق المتقاعد "سعد الدين الشاذلي" من الجزائر إلى "مصر" ولم تشر إلى اختطافه من مطار القاهرة إلى مكان غير معلوم، "7" وبعد ذلك بيومين نشرت الأهرام خبرًا آخر لمندوبها بالجزائر يفيد قيام "الشاذلي" بطلب اللجوء لعدة دول عربية قبل عودته إلى "مصر" ورفض تلك الدول استقباله."8"

فيما بعد أصرت زوجة "الشاذلي" على التصريح لوسائل الإعلام بأن زوجها لم يطلب من أى دولة عربية اللجوء السياسي."9"

كان المحامي العسكري قد أخبر أسرة "الشاذلي" أن إعادة محاكمته أمر طبيعي في ظل صدور الحكم بشكل غيابي، ومع ذلك؛ فقد تم القبض على الرجل فور وصوله، وذهبت السيدة زينات السحيمي إلى المطار، وكانت قد سبقته إلى "مصر" فأخبروها أن المطار مغلق، وأن هناك "تشريفة" وعادت مرة أخرى وهي لا تعلم مكانه؛ حتى أخبرهم المحامي أنه محتجز في "الهايكستب".

وحكى "عبيد العقاد" للمؤلف أن المحامي العسكري وهو "جلال الديب" سافر فجأة بدون أسباب واضحة إلى إسبانيا لقضاء إجازة مع أسرته، وهو ما دفع أسرة "الشاذلي" إلى الاستعانة بمحامين آخرين كان أبرزهم الأستاذ "عبد الحليم رمضان" صاحب المواقف السياسية الشهيرة في دعم الحرية."10"

غضب شعبي

في الأسبوع الأخير من مارس.. قدم دفاع "الشاذلي" استشكالًا لوقف تنفيذ الحكم والإفراج عنه، ونقل عن "سعد الشاذلي" أن يطالب بمحاكمته علنيًا."11"

ولا شك أن عودة "الشاذلي" كانت تمثل خبرًا سعيدًا لجموع المصريين التي ساءها أن يتم القبض على الرجل فور عودته، وتبنت عدة صحف وطنية حملات للإفراج عنه وإعادة محاكمته، بدأتها جريدة "الوفد" بمقالة للدكتور "محمد علي شتا" نائب رئيس حزب الوفد في أبريل 1992م؛ جاء فيها:

7- جريدة الأهرام - 14 مارس 1992م.

8- جريدة الأهرام - 15 مارس 1992م.

9- جريدة العالم اليوم – أول أبريل 1992م.

10- محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - مصدر سابق.

11- جريدة الأهالي - 25 مارس 1992م.

"أخيرًا عاد الرجل.. عاد الفريق "سعد الشاذلي" رئيس الأركان إبان حرب أكتوبر 1973م إلى أرض وطنه، عاد لا رغبة في عملٍ يتولاه وهو الذي عرضت عليه أرفع المناصب في بلاد الغربة ورفضها.. عاد لا حبًا في مالٍ يجمعه أو يستثمره؛ فلديه خميرة مذكراته التي جابت الشرق والغرب وحصيلتها تكفيه حتى يلقى ربه.. عاد في العاشر من رمضان أي في اليوم نفسه الذي انطلقت فيه سهامه تجاه الصهاينة، ولكن بعد عشرين عامًا من الغربة والتنقل والتشريد.. عاد المواطن الجسور إلى أرض الكنانة، وسيمثل غدًا أمام قضاته"."12"

وفي 6 مايو 1992م؛ تم رفض استشكال وقف حكم الحبس الصادر ضد بطل حرب أكتوبر، وكان من المثير أن يتم في اليوم نفسه الإفراج عن شبكة تجسس "إسرائيلية يقودها يهودي يدعى "فارس مصراتي"؛ ما أثار حالة من الغضب والاستياء بين جموع الشعب، وقد اعتبر عديدون الإفراج عن "مصراتي" في اليوم ذاته الذي رفض فيه استشكال وقف حبس الفريق "سعد الشاذلي" مقصودًا ومتعمدًا؛ بهدف إرضاء دوائر سياسية أمريكية وإسرائيلية، وهو ما يؤكده العميد متقاعد "محمد بدر" أحد الأصدقاء المقربين من الفريق سعد."13"

ومع الوقت؛ تتحول قضية محاكمة "الشاذلي" إلى قضية وطنية، ويتبنى "حزب العمل" في ظل قيادة "إبراهيم شكري" حملات للإفراج عن "الشاذلي"، وتتسع جموع المحامين المتقدمين للدفاع عن الرجل، وينضم إليهم "محفوظ عزام"، "إبراهيم أبو علي"، "سمير عيد"، "مصطفى عقل" و"محمد عبد المجيد الشاذلي" نائب رئيس مجلس الدولة وابن عم الفريق "سعد الشاذلي".

وفي 21 مايو 1992؛ يكتب الدكتور "نعمان جمعة" نائب رئيس "حزب الوفد" في "جريدة الوفد" مقالة يحلل فيها قانونية الإفراج عن البطل؛ فيقول:

" لم ينسب أحد للشاذلي تهمة الخيانة العظمى، وإنما نسب إليه نشر كتاب تضمن بعض أسرار العسكرية بدون إذن، مع العلم بأن الكتاب كان ردًا على وقائع نسبها الرئيس الراحل "السادات" إلى الرجل، متعلقة بثغرة "الدفرسوار"، وأعتقد أن الفريق "الشاذلي" كان من حقه أن يصحح ما ذكره "السادات".

لا تثريب على القضاء العسكري فيما قضى به، فقد قدم إليه ملف الرجل يتضمن تهمة إفشاء أسرار، وطبقت المحكمة القانون فأدانته، إذن.. يقع اللوم الحقيقي على نظام الحكم الذي أهدر المكانة الرفيعة للرجل، وأسقط من حسابه تاريخه العظيم في العسكرية المصرية، ويقع اللوم

12- جريدة الوفد العدد الأسبوعي رقم 37 – أبريل 1992م.
13- برنامج القاهرة اليوم - 27 مارس 2011م - تقديم عمرو أديب ومحمد شردي.

على مجلس الشعب الذي لا يتحرك فورًا لتعديل قانون القضاء العسكري.

قد يكره المسئول شخص الفريق "الشاذلي".. لكن الأمر لا يخضع للكراهية أو الحب؛ فمن يجلس في موقع المسئولية ملزم بالترفع عن الزج بعواطفه في منطقة القرارات العامة.

إن الفريق "سعد الشاذلي" قائد شجاع قادر على تحمل المشقة، ولن يموت أو يصاب بالوهن بسبب السجن.. إنني أشفق على السجان لا السجين"."14"

حكم بالإفراج

وتتواصل المعركة القضائية للإفراج عن بطل الحرب؛ فتصدر محكمة جنوب القاهرة الابتدائية برئاسة "إسماعيل الزيادي" وعضوية القاضيين "أسامة فتحي" و"رضا فريد كيرلس" في أول يونيو.. حكمًا تاريخيًّا بوقف تنفيذ الحكم العسكري الصادر غيابيًّا ضد الفريق "سعد الدين الشاذلي" بمعاقبته بالحبس ثلاث سنوات.

ثم تصدر محكمة جنايات أمن الدولة العليا حكمًا بوقف تنفيذ حكم الحبس، ويرفض القضاء العسكري تنفيذ الحكم، فيكتب الدكتور "محمد حلمي مراد" السياسي القدير.. خطابًا إلى الرئيس مبارك في أغسطس 1992م قال فيه:

"إن حكم محكمة جنايات أمن الدولة العليا واجب النفاذ قانونًا، وإذا كان لدى أي جهة من الجهات اعتراض؛ فيجب أن تقدم طعنًا إلى محكمة النقض، ولا يمكن القول إن القضاء العسكري سيد قراره، ولقد أصبح "الشاذلي" مواطنًا حرًّا بعد أن تقاعد وتم تعيينه في السلك الدبلوماسي، وله أن يتخذ ما شاء من آراء ومواقف سياسية"."15"

وتحل ذكرى حرب أكتوبر في العام 1992م حزينة على جميع من شارك في الحرب؛ لوجود بطل الحرب سجينًا رغم صدور حكم ببطلان سجنه؛ فيكتب الدكتور "محمود السقا" بجريدة "الوفد":

"احتفلت البلاد من أقصاها إلى أدناها بنصر أكتوبر، وكم كان بودنا أن يكون بطل الحرب حرًّا طليقًا يشترك معنا في الاحتفال بالنصر الذي أسهم فيه"."16"

14- جريدة الوفد - 21 مايو 1992م.

15- جريدة الشعب - 18 أغسطس 1992م.

16- جريدة الوفد - 8 أكتوبر 1992م.

ويكتب "محمد أبو الفتوح" في جريدة "الشعب" تحت عنوان "أكتوبر السجين":

"إننا لا ندري كيف تسير الأمور في هذا البلد البائس بحكامه، ولا ندري وجهة هؤلاء الحكام التي يولونها.. إن القضية ليست قضية "الشاذلي" فردًا، إنما قضية هذا الوطن الذي ضيعوا كرامته"."17"

ويذهب في يوم الاحتفال بنصر أكتوبر ذاته المهندس "إبراهيم شكري" رئيس حزب العمل إلى النصب التذكاري للجندي المجهول، ويضع باقة من الزهور باسم الفريق "سعد الدين الشاذلي" على قبره."18"

وفي السجن تنقل الرسالة إلى أسرة الفريق "سعد الشاذلي" بأنه سيُفرج عنه لو كتب التماسًا بالعفو إلى الرئيس مبارك.. ويرفض الرجل بإباءٍ وشمم.

ويحكي "عبيد العقاد" للمؤلف أنه زاره في السجن يومًا ومعه ابنه، الذي كان يحفظ مذكرات "حرب أكتوبر" وسعد به جدًّا، وأهداه مصحفًا كبيرًا، ونقل له الرسالة العليا بكتابة طلب عفو؛ فرفض الرجل، واستأذنه "عبيد العقاد" أن يكتب هو الالتماس؛ فغضب "الشاذلي" وقال له: لو حدث ذلك؛ لقاطعتك حتى أموت."19"

كما يحكي أيضًا أن ابنة "الشاذلي" كانت قد أقامت دعوى قضائية أخرى برد الاعتبار لوالدها أمام القضاء العسكري، وذهبت إلى قادة حرب أكتوبر الباقين على قيد الحياة لتطلب شهاداتهم عن والدها بعد وصمه بما وصمه به "أنور السادات"، وبدأت بالمشير "الجمسي"، الذي كان قائدًا لعمليات الحرب؛ ثم رئيسًا لأركان القوات المسلحة، ثم وزيرًا للحربية، ومستشارًا للرئيس بعد ذلك، وطلبت منه أن يحضر ليدلي بشهادته في رد اعتبار والدها؛ فقال لها: إنه لا يرغب في إثارة مشكلات، ودعاها إلى أن تذهب إلى اللواء "عبد المنعم واصل"، واللواء "سعد مأمون"؛ ففعلت، ووعداها بالذهاب إلى المحكمة.

وفي الصباح وجدت المشير "محمد عبد الغني الجمسي" أول الحاضرين وقال لها: إنه لا يجب أن يكتم شهادته، وقام وترافع أمام المحكمة لمدة أربع ساعات، وتحدث عن عبقرية وكفاءة

17- جريدة الشعب - 6 أكتوبر 1992م.

18- المصدر السابق نفسه.

19- محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - مصدر سابق.

"الشاذلي"، و لم يكن القضاء العسكري بعدها في حاجة لشهادة آخرين؛ فحكم برد الاعتبار للفريق وبرد نجمة الشرف له مرة أخرى."20"

ويحكي اللواء أشرف راشد مدير السجن الحربي خلال فترة سجن الفريق "سعد الشاذلي".. أنه كان رجلًا منضبطًا بشكل كبير، يستيقظ في موعد ثابت كل صباح وينام في موعد، ويحرص على قراءة القرآن بصوت عالٍ، كما كان حريصًا على أداء تمارين رياضية، وكان معظم الضباط يلتفون حوله ليسألوه عن الحرب وعن خبراته، وكان يبادلهم حبًّا شديدًا حتى إن كثيرًا منهم حرص على زيارته بعد خروجه من السجن."21"

20ـ المصدر السابق نفسه.

21ـ محضر اتصال تليفوني أجراه المؤلف مع اللواء "أشرف راشد" مدير السجن الحربي السابق ـ مايو 2011م.

استراحة المحارب

(اجلس على النهر.. وانظر إلى الماء وتأمل..
سترى جثث أعدائك يمرون عليك واحدًا تلو الآخر)

مثل صيني

خرج الفريق "سعد الشاذلي" من السجن أكثر قوة، وأشد صلابة، وأصدق عزيمة على مواصلة معاركه مع الاستسلام والخنوع والانسحاق بعيدًا عن الهُوية العربية.

أُفرج عن "الشاذلي" صحيًّا؛ رغم أنه كان قد حصل على الإفراج مبكرًا، وقد عاد بعدها إلى أعماقه مرة أخرى، إلى "شبراتنا"؛ حيث بدأ أولى خطواته منذ أكثر من سبعين عامًا؛ ليعيد اكتشاف موطنه الأصلي، كان الرجل حريصًا على استعادة علاقاته المنزوية مع الأهل والأقارب بفعل سنوات المنفى، كما كان حريصًا على تعريف أبنائه وأحفاده بأقاربهم وربطهم بقريته بشكلٍ حقيقي.

العودة إلى القرية

لقد عاد الرجل بقلبه وعقله وكيانه إلى حيث طيبة الفلاحين وبساطتهم، وبعدهم عن الغدر والغش والخداع، وشهامتهم ومحبتهم للخير، في "شبراتنا" خطط الفريق لبناء مسجد هناك يحمل اسمه، وخصص قطعة أرض وقفًا دائمًا للإنفاق على المسجد، الذي بلغت مساحته مئتي مترٍ مربع، يقول "عماد العقاد" أحد أقربائه المقيمين في "شبراتنا":

"لقد كان حريصًا على تنفيذ المسجد بشكلٍ جيد ومثالي، واهتم بفرشه ونظافته، وتكفل بدفع أجور العمالة حتى بعد ضم المسجد للأوقاف، وكان حريصًا على القدوم للصلاة فيه في بعض أيام الجمعة، وفي بعض الأحيان كان يكنس المسجد بنفسه."1"

1ـ محضر اجتماع مع الحاج "عماد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" ـ الغربية – يونيو 2011م.

وعاد الرجل للحديث.. ولكن بحدود وبحكمة، في البداية.. نظم مؤتمرًا صحافيًا تحدث فيه عن قضيته، وعن "السادات"، وعن سنوات الاغتراب، وعن "حرب أكتوبر" وما جرى فيها، ثم بدأ يستجيب لدعوات لإلقاء محاضرات في بعض النقابات المهنية وبعض الأحزاب السياسية حول الحرب والقوى الاستراتيجية وإمكانيات المواجهات.

لقد كانت الآلاف تجتمع في محاضرات الفريق "الشاذلي" في النقابات المختلفة، وقد شهدت نقابة المهندسين بالإسكندرية حشدًا رهيبًا عندما ذهب الرجل ليلقي محاضرة عن "حرب أكتوبر"؛ وهو ما دفع الجهات الأمنية بعد ذلك لمنع مشاركته في أي اجتماعات عامة.

ثم التقى الرجل بعد ذلك المذيع اللامع "أحمد منصور"؛ ليسجل معه عدة حلقات في برنامج "شاهد على العصر" بقناة "الجزيرة" القطرية؛ لتحدث حكاياته وآراؤه حالة من الجدل الواسع في الأوساط العربية، ويتم استدعاؤه بعدها من قبل أحد الأجهزة الأمنية للتحقيق معه.

وكان بعض الأحزاب يدعوه للمشاركة في ندواتها، وكان حريصًا على إخبارهم ضرورة الحصول على موافقة أمنية قبل الحضور.

وفي إحدى المرات؛ دعاه الدكتور "محمد علي شتا" نائب رئيس "حزب الوفد"؛ لعمل مؤتمر شعبي للحديث عن "حرب أكتوبر"؛ لكن جهات الأمن رفضت تنظيم المؤتمر خوفًا من شعبية الرجل الطاغية، وتكرر الأمر عدة مرات، وكان كثيرًا ما يتم استدعاؤه بعد حوارات تليفزيونية أجراها، ويتم التعامل معه بأدبٍ جمٍ خوفًا من شعبيته داخل القوات المسلحة نفسها.

وتقول "شهدان الشاذلي":

"كان يلقى كل حبٍ وودٍ من الجميع، وكثيرًا ما كان يفاجأ بأشخاص لا يعرفهم يتحدثون إليه ويسألون عنه، وكان من المقربين منه في سنوات ما بعد خروجه من السجن كلٌ من: حسين الشافعي، عبد القادر حاتم، أحمد حمروش، وإبراهيم شكري". "2"

والحقيقة أن الفريق "سعد الشاذلي" كان كنزًا لكل صحافي باحث عن الحقائق بموضوعية، وقد تحدث مرارًا إلى عدة صحف كان أبرزها "الشعب" و"الوفد" و"الأحرار"، ومع ذلك لم يسلم الرجل من هجوم وتطاول أقلام النظام المباركي، وهو ما كان يثير حالة من الغضب الشديد بين أفراد الأسرة الشاذلية على اختلاف درجاتهم؛ يقول المستشار "أحمد الشاذلي" للمؤلف:

---

2. محضر اجتماع المؤلف مع "شهدان سعد الشاذلي" ـ القاهرة – مارس 2011م.

"في إحدى المرات هاجمته مجلة "روز اليوسف" بدون أسباب واضحة، وقالت فيه ما لا يصح، واتخذنا جميعًا داخل الأسرة قرارًا بمقاطعة هذه المجلة؛ فلم يقم أحد من العائلة بشرائها بعد ذلك أبدًا"."3"

***

الحكيم الزاهد

بعد السجن عاش "سعد الشاذلي" خبيرًا استراتيجيًّا وسياسيًّا، ترتبط خيوطه بالناس وتنقطع مع السلطة رغم ما بذلته من محاولات لاستقطابه وتحييده، كان يتحدث بصراحة وبدون مجاملة، وبهدوء وحكمة، ويصدح بكلمة الحق لا يهاب أحدًا ولا يخاف شيئًا.

لقد كانت العائلة الشاذلية تلتف حوله في تناغم وتبجيل كونه أحد أكبر رموزها؛ ليفصل بين خلافات البعض، ويقارب بين المتخاصمين، ويُصلح ما يمكنه إصلاحه، مثلما كان والده رجلًا متميزًا بالحكمة والصلابة واكتساب احترام الآخرين.

وفي بعض الأحيان.. كانت كبريات الشخصيات السياسية في العالم العربي تأتي لزيارته والتحدث إليه والاستفادة من خبراته العسكرية والسياسية على حدٍّ سواء، يحكي ابن خاله "عبيد العقاد" يوم أن قرر الأمير السعودي "تركي بن طلال" زيارته في بداية الألفية الثالثة للاستفادة من علمه وخبراته.

وقتها انتظره "عبيد الشاذلي" أمام مدخل القرية "شبراتنا"؛ ليدخل وسط حراسة كثيفة ويتقدم إلى المحارب القديم بالتحية والاحترام، ويقضيا يومًا كاملًا في جو الريف المصري، لقد كان الأمير السعودي يعدّ دراسة ماجستير في العلوم العسكرية في جامعة أوروبية، وكان موضوعها تطوير الهجوم في حرب أكتوبر، وأخبره أستاذه أنه لو استطاع لقاء الفريق "سعد الدين الشاذلي" والاستماع لروايته؛ لأصبح لديه موضوع ثريٌّ جدًّا، وبالفعل؛ تناقش الأمير مع "الشاذلي" حول فنّيات الهجوم وظروفه، واستمع إليه باهتمام، وشكره، وحاز رسالته العلمية بتقدير امتياز، ودعا الفريق لحضور المناقشة؛ إلا أنه اعتذر، ومن يومها.. والأمير يكنّ للرجل محبةً غير عادية."4"

---

3. محضر اجتماع المؤلف مع المستشار "أحمد الشاذلي" نائب رئيس مجلس الدولة وابن عم الفريق "سعد الشاذلي" ـ مايو 2011م.
4. محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" ـ طنطا – يونيو 2011م.

وواصل بطل حرب أكتوبر معاركه ضد ما سمّاه بالإمبريالية الأمريكية والهيمنة الاستعمارية، وكتب مقالات في بعض الدوريات الاستراتيجية عن المواجهات المقبلة بين أمريكا والمسلمين، وبعد احتلال الولايات المتحدة للعراق كتب "الشاذلي" عن بوش القاتل، وتوقع أن تكون الحرب المقبلة بين إيران والولايات المتحدة، وقد حلل الرجل بشكلٍ تفصيلي نقاط القوة والضعف لدى أمريكا.

وأغلب الظن.. أن بداية التدهور في صحة "الشاذلي" كانت مع دخول القوات الأمريكية إلى العراق في مارس 2003.. وقتها شعر أن حلم القومية العربية الذي عاش حياته من أجله قد تهاوى وانتهى. يقول حفيده "كريم أكرم":

"بسقوط "بغداد" تحول "الشاذلي" إلى رجل صامت، حزين، قليل الرغبة في الحديث إلى الإعلام، وكان يتحدث في حدود ويتأمل كثيرًا ما حوله، وبدأت حالته الصحية تتأثر رويدًا رويدًا"."5"

***

السنوات الأخيرة

في السنوات العشر الأخيرة؛ كان الرجل حريصًا على استعادة ذكرياته وقصّ حكاياته للأصدقاء والأقارب من مختلف الأنحاء، يصفه المهندس "حمدي عبد العزيز" زوج كريمته "ناهد" بأنه " كان حكاءً شيقًا خلال تلك السنوات.

وكانت لديه ذاكرة قوية وقادرة على استرجاع تفاصيل وخبايا أحداث جرت منذ عقود طويلة، وكنا نلتف حوله في المناسبات المختلفة يحكي لنا ونسأله، ونسترجع معًا لحظات تاريخية من عمر مصر"."6"

وفي 2005؛ ردّت القوات المسلحة الاعتبار إلى الفريق "الشاذلي"، ومنحته أوسمته مرة أخرى، وقررت ردّ جميع الامتيازات التي كان يحصل عليها كونه رئيس أركان متقاعدًا وحاصلًا على نجمة الشرف.

5- محضر اجتماع المؤلف مع "كريم أكرم" حفيد الفريق "سعد الشاذلي" - القاهرة – يونيو 2011م.
6- محضر اجتماع المؤلف مع المهندس "حمدي عبد العزيز" زوج كريمة الفريق "سعد الشاذلي" - مارس ويونيو 2011م.

وكان يستمع الرجل إلى الأخبار ويطالع وسائل الإعلام، ويشعر بحزن شديد لتغيرات الأوضاع ولضعف الواقع العربي في مواجهة الهيمنة الأمريكية الصهيونية، ولصعود فكرة التوريث السياسية، وكان كثيرًا ما يبدي امتعاضه من تضخيم دور الضربة الجوية في "حرب أكتوبر"، ومن تجاهل الإعلام الرسمي له ولدوره ودور الشهداء.

وفي يوم ما زار "الشاذلي" بانوراما حرب أكتوبر، وفوجئ بأن صورته غير موجودة في البانوراما، ورأى الصورة الرئيسة للحرب يقف فيها "السادات" وإلى جواره "محمد حسني مبارك"، واسترجع الرجل المشهد الحقيقي من ذاكرته؛ ليوقن أن "مبارك" لم يكن داخل الغرفة وقت التقاط الصورة، واتضح أن صناع الدعاية المباركية غيروا وجه المشير "أحمد إسماعيل" في الصورة واستبدلوه بحسني مبارك، كما تم شطب صورة "سعد الشاذلي" من بين الحضور، وتحدث الرجل إلى المسئولين عن البانوراما؛ فأخبروه أن فنانًا عالميًا هو الذي رسم صورة الإعداد للحرب من وحي الخيال!

وكان "الشاذلي" يرى أن النظام السياسي القائم لا علاقة له بالديمقراطية، وعندما تم تعديل المادة 76 من الدستور؛ اعتبر ذلك محاولةً لرسم ديكور ديمقراطي لنظام الحكم، وقد سألوه يومًا عن الترشح لرئاسة الجمهورية؛ فقال:

"سألوني قبل كده ورفضت إجابة هذا السؤال..!!! وهذا خطأ جدًا.. وأي واحد يرشح نفسه للرئاسة في مثل تلك الظروف وفي ظل ما شاهدناه من إجراءات التي ارتبطت بتعديل المادة 76 من الدستور.. ما عندوش أي فرصة للنجاح، وفي نفس الوقت يعطى شرعية للنظام.. ولكن أنا أرفض هذا؛ لأن العملية عايزة تغير شامل... إيه اللي يخلى الواحد يصدق إن فيه تكافؤ فرص جتى لو حدث تكافؤ فرص أنا كسعد الشاذلي بأرفض لأنه لازم يكون هناك مبادئ...

أنا عندي 83 سنة (كان ذلك في العام 2005).. و83 سنة ده لازم يعرف ويدرك كل واحد إن يكون عنده وقت وجهد للبلد"."7"

ويقول أيضًا ردًا على سؤال بأن من نعرفه أفضل ممّن لا نعرفه:

"غلط؛ لأن البلد اللي متقدرش تطلع ألف واحد يصلح لأن يكون رئيس جمهورية لا تستحق أن تعيش، وبالتالي أنا قلت إنه يجب إن أي واحد يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية يجب

7- حوار "فريد الجبالي" مع "سعد الشاذلي" - أكتوبر 2005م - موقع "بي بي اليكس" الإلكتروني.

ألا يزيد سنه عن 60 سنة.. و60 سنة ده كويس قوي، ولو كان بيرشح نفسه للمرة الثانية وتجاوز الـ 60 سنة ما يمشيش.. أنا بأقول لا يرشح نفسه إذا كان سنه أكتر من 60 سنة"."8"

لقد كانت أسعد لحظات حياة الرجل عندما يلتقي شخصًا ما ويخبره أنه خدم معه قبل أربعين عامًا، أو يزيد في سلاح معين، وكان حريصًا على السؤال عن رفقاء السلاح القدامى حتى وفاتهم.

تقول شهدان الشاذلي إنه "كان في السنوات الأخيرة هادئًا، مهتمًا بالقراءة والاطلاع، ومتابعًا للحياة السياسية، وكان يستيقظ مبكرًا، وكنت أذهب معه أحيانا إلى النادي ليمارس رياضة المشي، وكانت صحته جيدة حتى عامين قبل الوفاة؛ لأنه لم يكن مدخنًا ولم يكن يشرب سوى الشاي، وكان يحب السؤال عن أقاربه وأصدقائه حتى بدأت أمراض الشيخوخة تباغته...

في الشهور الأخيرة.. كان غالبًا صامتًا لا يعلق على الأحداث، وكان قد دخل مرحلة أمراض الشيخوخة، لكن عندما كنت أثور على الأوضاع وأقول له إن هذا الشعب الصامت لن يثور ولن يتحرك؛ كان يقول لي: "لا، هم فقط يريدون قدوة، وكان يعلق: إذا كان الحكام والناس اللي فوق يكذبون ويسرقون؛ ماذا تريدين من الشعب، هذا الشعب عظيم، وينتظر فقط القدوة التي تحركه"."9"

لقد ظل الرجل يتمتع بصحة جيدة حتى أواخر سنوات عمره، حتى إن ابن عمه أحمد الشاذلي "10" يتعجب كيف كان يقود بنفسه السيارة من القاهرة إلى بلدته في كثيرٍ من الأحيان.

وقد كان من أسرار صحة الرجل أنه كان حريصًا على أداء تمارين رياضية واتباع نظام غذائي متوازن، حتى إنه حافظ على وزنه ثابتًا لأكثر من ثلاثين عامًا عند السبعين كيلو جرامًا ـ كما يقول حفيده كريم أكرم."11"

***

8ـ المصدر السابق.

9ـ محضر اجتماع المؤلف مع "شهدان سعد الشاذلي" ـ مارس 2011.

10ـ محضر اجتماع المؤلف مع المستشار "أحمد الشاذلي" نائب رئيس مجلس الدولة وابن عم الفريق "سعد الشاذلي" ـ مايو 2011.

11ـ محضر اجتماع المؤلف مع "كريم أكرم" حفيد الفريق "سعد الشاذلي" ـ مصدر سابق.

المرض والوفاة

قبل ثلاث سنوات من وفاته، اشتد عليه فتقٌ قديمٌ دفع الأطباء إلى التوصية بضرورة عمل جراحة عاجلة له، ونتيجة تخديره وهو يزيد على الخامسة والثمانين؛ فقد تأثر المخ بشكل مباشر، وأخذت حالته في التدهور شيئًا فشيئًا، وقد بدأت بحالة من "الزهايمر"، ثم صعوبة في التعرف على أحفاده وأقاربه.

وقبل وفاته بتسعة أشهر.. كان الرجل يجد صعوبة في الحركة وضعفًا شديدًا في النظر والسمع، وتدهورت صحته قبل الثورة بأسابيع قليلة، واضطرت أسرته إلى نقله إلى المركز الطبي العالمي، وقبل أن يدخل في غيبوبة قالوا له إن الشعب المصري ثار ضد الفاسدين؛ فقال كلمة واحدة هي "نهبونا".

وقد دخل في غيبوبة ولقي ربه يوم الخميس 10 فبراير 2011، قبل ساعات قليلة من إعلان تخلي حسني مبارك عن السلطة بعد ثورة استمرت 18 يومًا طالبت بسقوطه ومحاكمته.

تقول "شهدان":

"كانت جنازته مهيبة جدًّا، وقد اتضح حب الناس وتقديرها لوالدي في جنازته التي حرصت القوات المسلحة على أن تكون جنازة عسكرية، وأن يشارك فيها قيادات عظيمة على الرغم من الظروف التي تمر بها البلاد، وكان من الجميل أن ثوار التحرير الذين تجاوزوا مليوني شخص صلّوا عليه، كما صلى عليه أكثر من مليون متظاهر في الإسكندرية والإسماعيلية والسويس، وكان ذلك أبلغ تكريم من الشعب المصري لبطل "حرب أكتوبر" بعد سنوات من التجاهل والنكران"."12"

12ـ محضر اجتماع المؤلف مع "شهدان سعد الشاذلي" ـ مصدر سابق.

نهايات حزينة لقادة عظام

(لا تحزن إن لم تنلْ ما تستحق من تقدير..
يكفيك أنك تستحقه)

"فولتير"

هل كان من الغريب أن تكون نهايات الأبطال حزينة؟؟

الإجابة: لا

لا.. وألف لا.. ليست جديدة.

إنها ظاهرة في تاريخ العسكرية، فكثيرٌ من الأبطال تعرضوا للظلم والسجن والاضطهاد، وبعضهم قُتل وأوذي وتعرض للقهر.

هذه لعبة السياسة مع العسكر.. محزنة.. مزعجة.. مؤسفة.. ظالمة.

إن "نابليون بونابرت" أعظم القادة العسكريين في التاريخ، الذي حقق انتصارات لم يحققها أحدٌ أبدًا.. توارى في جزيرةٍ معزولة بعد نفيه إثر هزيمته في "ووترلو"، ومات مسمومًا.

كما تعرض "آرفين رومل" ثعلب الصحراء الذي حارب في معارك الحربين العالميتين الأولى والثانية للاتهام بالخيانة، وأجبره "أدولف هتلر" أن يتجرع السم ويموت في حسرة، ونكل الخليفة "سليمان بن عبد الملك" بالقائد الشهير "موسى بن نصير" باعث الفتح الإسلامي في الأندلس، وعذبه مع الأسرى وسجنه حتى مات في السجن، وهو قريبٌ مما حدث للقائد الإسلامي "قتيبة بن مسلم"، الذي تعرض لمؤامرة أطاحت به، وتم قتله غيلة.

ومن قبلهم أقيل "خالد بن الوليد" البطل، وأصبح جنديًا تحت إمرة غيره، وحدث أمر مماثل مع "عقبة بن نافع" فاتح إفريقية، عندما عزل من منصبه ووضعت القضبان الحديدية في يديه وقدميه وألقي به في غياهب السجن.

***

في مصر.. لم يختلف الأمر كثيرًا.. فمعظم الأبطال اضطهدوا وقهروا وتعرضوا للإهانة، ولم تشفع لهم تضحياتهم ولا بطولاتهم.

ومن هؤلاء الأبطال: اللواء "صدقي الغول" قائد الفرقة الرابعة مدرعات، وهي أقوى فرقة في القوات المسلحة خلال حرب يونيو 1967م، لقد قاتل قتالًا شرسًا، وتلقى الأمر بالانسحاب، وحاول البقاء في منطقة المضايق، إلا أن القيادة العامة أصرت على انسحابه إلى غرب القناة، وعندما عاد مرة أخرى وجد قرارًا آخر بالعودة إلى المضايق، وهو ما أدى إلى تدمير أعظم قوة مدرعات في الجيش المصري."1"

وكان الغرض أن يتم تدمير الفرقة حتى لا يستخدمها "المشير عامر" في الانقلاب على "عبد الناصر" بعد الهزيمة، وكان القرار الأول بالانسحاب من "المشير عامر"، بينما كان القرار الثاني باحتلال منطقة المضايق من "عبد الناصر"، وتاه الرجل بين المتصارعين، وعندما عاد فوجئ بطرده من الخدمة ثم تقديمه كبش فداءٍ في محاكمات النكسة، ورغم تأكيد شهود النفي شجاعته وبسالته والتزامه بالأوامر العسكرية، فإن الحكم صدر بسجنه 15 عامًا، وأصيب في السجن بأمراضٍ شتى حتى لقي ربه."2"

***

وكلنا نعلم المأساة التي تعرض لها الفريق "صادق" وزير الحربية في بداية عهد الرئيس "السادات"، لم يكمل الرجل عامًا حتى أحيل إلى المعاش، وعندما أصدر الرئيس "السادات" مذكراته المعروفة بالبحث عن الذات، حرص حرصًا شديدًا على تشويه الرجل وتصويره بأنه متردد وجبان، ولا يمكنه الإقدام على الحرب، وخرج بعدها الرجل إلى الانعزال والتصوف حتى لقي ربه بدون أن يتمكن من الدفاع حتى عن نفسه.

أما اللواء "الليثي ناصف" قائد الحرس الجمهوري في بداية عهد "السادات"؛ فقد وقف إلى جوار "السادات" في أهم محطات حياته عندما كان يخوض حربًا شرسة ضد مراكز القوى الموروثة من عهد سابقه "ناصر"، وأعلن "الليثي ناصف" وقتها انحيازه للشرعية التي يمثلها "السادات"، ولكن لم تمر شهور على الواقعة حتى أحيل إلى المعاش وبقي في "لندن" يعاني

1- وجيه أبو ذكرى - مذبحة الأبرياء في 5 يونيو - المكتب المصري الحديث - ط 4 - 1994م - من ص 409 إلى ص 421 "بتصرف".
2- المصدر السابق - ص 425.

الاضطراب والخوف.. حتى مات ميتة غامضة؛ إذ سقط من شقته إلى الأرض ليلقى مصرعه بدون أن يعرف أحدٌ من المسؤول عن ذلك حتى الآن!!

ومنهم أيضًا المشير "عبد الغني الجمسي" رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة في حرب أكتوبر، وأحد ثلاثة صنعوا النصر العظيم، ورئيس الأركان، ثم وزير الحربية بعد ذلك، يحكي المهندس "حسب الله الكفراوي" وزير التعمير الأسبق.. أن المشير "الجمسي" كان رجلًا راقيًا وله تاريخ كبير في العسكرية المصرية، وهو من وقع لمصر اتفاقية (مفاوضات) الكيلو101، عندما خرج من الخدمة العسكرية وطلب منه بشكل شخصي ـ والكفراوي في الوزارة ـ أن يساعده في "شغلانة".. واكتشف "الكفراوي" أنه يريد منه أن يتوسط له في أن تقوم شركات المقاولات التي تتعامل معها الوزارة.. بإزالة بعض قوالب الطوب، مقابل نسبة صغيرة من المال سيحصل عليها من هذه الواسطة، وقتها بكى "الكفراوي".

وقال : يا خبر اسود.. الجمسى ليس لديه ما ينفقه ويطلب أن يسمسر ليعيش؟! وطلب الكفراوى من مبارك تعيين "الجمسي" مستشارًا براتب يكفيه لكونه وزير دفاع سابقًا؛ وبالفعل التقى بمبارك وطلب منه ذلك. لكن النتيجة أنه بعد هذا اللقاء بـ3 أيام؛ كتبت الصحف أن مجموعة من "البلطجية" ذهبوا إلى شقة "الجمسي" المتواضعة وأوسعوه ضربًا بهدف السرقة، ولّما لم يجدوا شيئًا انصرفوا، وقد كانت (علقة) تلقينية له حتى لا يتكلم مرة أخرى؛ لهذا آثر الصمت حتى مماته."3"

وهناك أيضًا المشير "كمال حسن علي" الذي خرج من الوزارة "4" ليعمل رئيس بنك خليجي، وبعد قليل من الأيام.. صدرت أوامر عليا بفصله من العمل، ثم مرض مرضًا صعبًا جعل كل جسده منتفخًا بالمياه، ولم يجد ما يصرفه للعلاج حتى وفاته؛ بعدما رفض "مبارك" الرد على مهاتفاته."5"

كذلك المشير الراحل "أبو غزالة"، الذي يصفه "حسب الله الكفراوي" بأنه "وتد" وقامة كبيرة، وكان مبارك دائمًا يوقع بيننا، ومع ذلك؛ فإنني كنت أحبه جدًا وأحترمه، لكن ما فعله مبارك به ضد الإنسانية والشرف العسكري، والله شاهد على أنه بريء من كل ما نسب إليه، وقد رآه آخر مرة قبل وفاته بـ 24 ساعة وبكيا معًا بكاءً حارًا."6"

***

3ـ جريدة الشرق الأوسط ـ حوار مع "حسب الله الكفراوي"

4ـ "كمال حسن علي".. كان أحد قادة المدرعات الذين وصفهم "الشاذلي" بالكفاءة.

5ـ جريدة الشرق الأوسط ـ حوار مع "حسب الله الكفراوي" بتاريخ 26 مايو 2011م.

6ـ المصدر السابق نفسه.

وقبل هؤلاء جميعًا كان اللواء "محمد نجيب"، الذي تعرض لأكبر ظلم من الممكن أن يتعرض له إنسان في دنيا السياسة، لا لشيء سوى أن لعبة السياسة أرادت له عدم الاستمرار في موقعه، لقد كان "نجيب" هو الحل السحري لتنظيم "الضباط الأحرار"؛ ليتمكن من الاستيلاء على الحكم في يوليو 1952م ويوطد سلطاته، واتضح بعد شهور أن ضباط الثورة كانوا في حاجة إليه واجهة يختبئون وراءها، وسعوا بالفعل إلى السيطرة على الحكم حتى نجحوا في إقالته ووضعه تحت الحراسة عدة سنوات، وشطبوا اسمه من التاريخ حتى مات وحيدًا منعزلًا وتشرد أبناؤه.

وتعرض عسكريون آخرون لمظالم عديدة بسبب غدر السياسة، كان منهم أيضًا "يوسف صديق" أحد أبطال ثورة 23 يوليو، و"كمال الدين حسين" الضابط الشهم الذي دافع عن الديمقراطية، وآخرون عديدون، وهو ما يعني أن الفريق "سعد الشاذلي" لم يكن وحده في بيت المظاليم.

الحياة الخاصة لـ"سعد الشاذلي"

(ولست نبيًّا.. ولكن ظلك أخضر)

"الشاعر الفلسطيني محمود درويش"

تتميز شخصية الفريق "سعد الشاذلي" بعدة خصائص.. يندر أن تتكرر في شخصية ما، إلا إذا كانت تلك الشخصية من الشخصيات النادرة التي يعتبرها دارسو العبقريات "فلتات" قلّما يجود الزمان بأمثالهم.

ويمكن القول إن أهم سمات شخصية "الشاذلي" تتمثل في:

1. روح الابتكار.
2. التصرف كونه قدوة.
3. المصداقية.
4. الالتزام والانضباط.
5. الشجاعة وحب المغامرة.
6. التخطيط الاستراتيجي.
7. الحرص على التعلم والتدريب.
8. حب المعرفة وعشق الأرقام.
9. الاهتمام بالتفاصيل.
10. تغليب المصلحة العامة.

وينبغي الإشارة إلى أن هناك شبه اتفاق بين جميع الباحثين والمتابعين لشخصية الفريق "سعد الشاذلي" حول معظم تلك السمات، ويمكن أن نفصّل تلك السمات.. بالاستعانة بمذكرات الرجل في الحرب وفي السلك الدبلوماسي، فضلًا عن شهادات أقرباء الرجل عنه وعمّا تعلموه منه.

1- روح الابتكار:

هناك عدة حكايات تؤكد أن عقلية الفريق "الشاذلي" كانت عقلية ابتكارية، تبحث دائمًا عن الحلول غير التقليدية وتسعى إلى تقديم كل جديد وحديث.

عندما عُين الرجل قائدًا لمنطقة البحر الأحمر؛ عاين موقع هبوط طائرة إسرائيلية؛ فوجد عربة جر صغيرة تركها الإسرائيليون، كان يتم حمل جميع متعلقات الجندي الإسرائيلي عليها، وأخذها ودعا رئيس الشئون الفنية في المنطقة لتصنيع عربات مماثلة، وبالفعل تم تصنيع عربات أفضل منها واستخدمت في معركة العبور لوضع متعلقاته بها، وكان "الشاذلي" قد أمر قبل حرب أكتوبر بتصنيع ألف عربة منها."1"

ومن الحكايات الأخرى التي يرويها "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي".. أن الفريق الراحل كان يقوم بتوزيع بعض الحقائب الممتلئة بالمواد الغذائية على بعض الأسر الفقيرة في بلدته، وفي يوم ما.. اكتشف الرجل أن كثيرًا من تلك الحقائب سُرق؛ فابتكر وهو في الثمانين من عمره طريقة تمنع الاستيلاء على حقائب الفقراء، تمثلت في عمل كروت خاصة بالأسر التي يتم توزيع الحقائب عليها بشكل دوري عليها اسم أحد أفرادها، وترسل الكروت لجميع الأسر قبل عملية التوزيع بأسبوع، وتعاد بعد التوزيع، فيقدم كل كارت مقابل حقيبة المواد الغذائية."2"

2- التصرف كقدوة:

لقد كان الفريق "سعد الشاذلي" حريصًا على التصرف كقدوة لجميع جنوده.. عندما عُيّن الرجل رئيسًا لمنطقة البحر الأحمر؛ كان ينام في حفرة ضيقة صغيرة)2 متر في 4 متر) مثل باقي الجنود، وكان من الممكن أن يقيم في فيللا فاخرة. "3".

وهناك عشرات المواقف الأخرى كان فيها "الشاذلي" حريصًا على أن يكون مثلًا يُحتذى للمحيطين به من جنود أو ضباط أو غير ذلك.

1- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2- 1981م - الجزائر - ص 66، 67.

2- محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - الغربية - يونيو 2011م.

3- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - مصدر سابق - ص 130.

3ـ المصداقية:

كانت المصداقية من الصفات البارزة المميزة للفريق "سعد الشاذلي" وقد جعلته عندما ينتقد أمرًا ما أو شخصًا ما في مذكراته؛ فإنه لا يغفل مميزاته ولا حسناته، حتى يصل به الحد أنه يشير إلى أن "السادات" خلال لقائه به عقب إقالته كان ظريفًا طيبًا."4"

وعندما يتحدث الرجل باستفاضة عن أهمية الدعم السوفيتي الذي يُقدم إلى مصر، والذي أنكره بعد ذلك "السادات"؛ فإن ذلك لا يمنعه أن يشير إلى أن السوفييت لم يكونوا ملائكة، وكان يعيبهم الخشونة في المعاملة، حتى إنهم كانوا يرون آراءهم هي الوحيدة الصحيحة"5"

لقد كانت المصداقية أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت "الشاذلي" إلى إعلان الثورة على "السادات"؛ لأن "السادات" كذب في مذكراته متحصنًا بمنصب رئيس الجمهورية، ومتيقنًا أن أحدًا لن يجرؤ على مجابهته والرد عليه، كما أن جميع أقربائه يشيرون إلى أن أكثر ما كان يغضبه من البعض "الكذب"، كان لا يقبل التعامل مع أي شخص يعرف أنه كاذب، وظلت هذه الصفة متأصلة فيه حتى نهايته.

4ـ الالتزام والانضباط:

كانت فكرة الانضباط والالتزام مسيطرة تمامًا على "سعد الشاذلي" منذ صغره، وربما أبرز الدلائل على ذلك ما يحكيه كريم أكرم حفيده للمؤلف.. أن "الشاذلي" عندما كان عمره عشر سنوات وقبل أيام من امتحان الشهادة الابتدائية؛ ذهب من بيته إلى المدرسة سيرًا على الأقدام حتى يعرف بالضبط توقيت المسافة من المنزل إلى المدرسة، وحتى يحدد متى يخرج من البيت يوم الامتحان ليصل في موعده تمامًا."6"

كذلك فقد كان مثالًا للانضباط التام خلال فترة سجنه؛ فكان يستيقظ في موعد محدد وينام في الموعد نفسه الذي اعتاد النوم فيه قبل السجن، وكان في بعض الأحيان يشاهد فيلمًا معينًا في التليفزيون وتأتي الساعة العاشرة ـ موعد نومه ـ وتكون هناك عشر دقائق باقية على نهاية الفيلم؛ فيذهب إلى النوم التزامًا بموعده.

ويحكي "عبيد العقاد" أن بعض الصحف طلبت تحديد موعد لإجراء حوار مع "الشاذلي"، وحدد اليوم والساعة، وبعد أن تأخر طالب الحوار دقائق معدودة اعتذر "الشاذلي" عن عدم إجراء الحوار."7"

4ـ المصدر السابق، ص 407.

5ـ المصدر السابق، ص. ص. 254، 255.

6ـ محضر اجتماع بين المؤلف وكريم أكرم حفيد الفريق "سعد الشاذلي" ـ القاهرة – يونيو 2011م.

7ـ محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" ـ مصدر سابق.

ولا يعني الانضباط والالتزام العسكري الذي تمتع به الفريق.. أن يؤدي به ذلك إلى قبول خطأ أو رضاء بظلم؛ لأن هناك فرقًا بين الانضباط والطاعة العمياء، لقد سأله يومًا حفيده كريم المشورة في أمر يقتنع به ويراه جيدًا جدًا لبيئة العمل، بينما يرفضه رئيسه المباشر.. هل يفعله أم لا؟ فرد عليه بأنه أصعب سؤال، لكن ينبغي تأكيد أن مهمتنا هي بناء قادة لا بناء قطيع."8"

وربما تعد قصة مذكراته الخاصة التي لم تر النور حتى الآن.. واحدة من نماذج عشق الانضباط والالتزام واحترام الكلمة.

لقد ذهب الإعلامي الشهير أحمد المسلماني إلى "سعد الشاذلي" في بعض أيام صيف العام 2006م، وجلس معه ممثلًا لإحدى شركات الأبحاث والمعلومات الخليجية، واتفق معه على نشر مذكراته الشخصية من خلال تلك الشركة، ووقعا عقدًا بذلك، على أن يتم التنفيذ في وقت محدد، ولما لم تلتزم الشركة الخليجية بالتنفيذ خلال الوقت المتفق عليه؛ اعتبر الفريق "سعد الشاذلي" ذلك الاتفاق كأن لم يكن، وتراجع عن نشر المذكرات التي كان يستهدف منها إطلاع الناس على جزء مهم من تاريخ مصر."9"

5ـ الشجاعة وحب المغامرة:

لا شك أن المواقف التي تعبر عن شجاعة نادرة في حياة الفريق "الشاذلي" متعددة، حتى إن ابن عمه العميد "يحيى الشاذلي" يصفه بأنه كان ذا " قلب ميت"."10"

إن أبرز الإشارات التي ترد لنا حول هذه الشجاعة النادرة.. عندما ذهب "سعد الشاذلي" إلى قائد قوات الحرس الملكي وقت حرب فلسطين في العام 1949م، وطلب منه السماح له بالتطوع في الحرب، وعنفه القائد واتهمه بالجنون لدفعه بنفسه إلى أتون معركة خطيرة.

وفي حرب 1956م يخطط "الشاذلي" لتنفيذ مهمة خطيرة بالقفز بفرقته خلف خطوط العدو للاشتباك معهم في مركز تحصيناتهم، وهي عملية فدائية نسبة النجاة منها ضئيلة جدًا، ثم مغامرته الخطيرة في حرب يونيو 1967م بالدخول بفرقته إلى داخل الأراضي الإسرائيلية، وهو ما لم يتوقعه أحد ولفت إليه الأنظار بشدة.

ثم تتجلى شجاعة "الشاذلي" وإصراره على المغامرة والمخاطرة؛ عندما يعلن من مقر سفارة "مصر" في "لشبونة" معارضته للسادات، ويتهمه بالكذب والخيانة وهو يعلم أنه لا بد سيدخل ضمن قائمة انتقام نظام الرئيس "السادات".

8ـ محضر اجتماع المؤلف مع كريم أكرم حفيد الفريق "سعد الشاذلي" ـ مصدر سابق.

9ـ المصدر السابق.

10ـ محضر حديث تليفوني بين المؤلف والعميد متقاعد "يحيى الشاذلي" ـ الغربية – يونيو 2011م.

وتتواصل شجاعته بعد ذلك في إعلان رأيه وموقفه بصراحة من الرئيس مبارك.. بأنه شخص متخاذل وتابع وغير عروبي في كتابه الحرب الصليبية الثامنة، وعودته بعدها إلى مصر وهو يعلم أنه سيتعرض للعقاب والمحاسبة.

6- التخطيط الاستراتيجي:

لقد ورث "الشاذلي" عن والده "الحسيني الشاذلي" حب لعبة الشطرنج، وهي إحدى اللعبات التي تساعد على التحلي بالفكر الاستراتيجي، ويقول عن ذلك حفيده "كريم أكرم":

"لقد حرص جدي على تعليمنا لعبة الشطرنج، ويخبرنا أن علينا أن نتوقع جميع الحركات الخاصة بالخصم، ونضع لكل منها سيناريو للتحرك، كان يقول لنا إنه عندما فكر في الحرب؛ كان عليه أن يضع نفسه في موقع العدو الإسرائيلي نفسه ليفكر ماذا سيفعلون، وكيف سيتحركون"."11"

ولا شك أن كل خطوة في حياة الفريق كانت تسبقها لحظات تأمل وتوقع لرد فعل الخصم، في الحرب وفي السياسة، وتتضح تلك السمة بوضوح كأحد أهم سماته الشخصية.

7- الحرص على التعلم والتدريب:

كان من الواضح أن الرجل يحفظ تمامًا بيت الشعر الشهير الذي كتبه الإمام الشافعي يومًا عن التعلم ويعي معناه، يقول بيت الشعر:

"كلما أدّبني الدهرُ أراني نقص عقلي *** وإذا ما ازددتُ علمًا زادني علمًا بجهلي".

وقد كان حرص الفريق "الشاذلي" على التعلم والتدريب شديدًا.. إلى درجة أنه علم بناته أشياء غريبة، ربما لم يعلمها قائد عسكري آخر لبناته أو حتى لأبنائه، لقد تعلمت بنات الفريق الثلاث "شهدان وسامية وناهد" ركوب الخيل والدراجات، وكانت "شهدان" ابنته الكبرى هي أول فتاة تقفز بالمظلات في تاريخ مصر؛ عندما أسس فرقة للمظلات، كما علم بناته كيف يقرأن الخريطة عند السفر.

ويحكي حفيده كريم: كيف تعلم منه كيف يتصرف في كثيرٍ من المواقف... في العمل وفي البيت وفي المواصلات العامة والخاصة..

11- محضر اجتماع المؤلف مع كريم أكرم حفيد الفريق "سعد الشاذلي" ـ مصدر سابق.

عندما يركب التاكسي مثلًا؛ فإن عليه أن يجلس دائمًا في المقعد الموجود خلف السائق مباشرة؛ إذ لو كانت لديه نية لاختطافه أو أذيته فيتمكن من السيطرة عليه."12"

وفي كتاب مذكرات "حرب أكتوبر" روايات عديدة حول نظم التدريب الجديدة التي أدخلها إلى منظومة العمل خلال رئاسته للأركان.

وفي شهادة اللواء "أحمد التميمي" عن واقعة السبت الحزين في العام 1970م إشارات عديدة لنتائج التدريب الذي أجراه "الشاذلي" لقوات الصاعقة في ذلك الوقت.

ونفاجأ بعد ذلك في مذكراته عن فترة العمل الدبلوماسي؛ حرصه على تعلم اللغة البرتغالية وإجادتها إجادة تامة خلال خدمته سفيرًا لمصر في البرتغال.

ولا يخجل الرجل أن يكتب بنفسه في مقدمة تلك المذكرات.. أنه تعلم الديمقراطية خلال عمله سفيرًا.

8- حب المعرفة وعشق الأرقام:

إن الدكتور "محمد الجوادي" واحدٌ ممن كتبوا بعمق وتفصيل عن المشير "أحمد إسماعيل" ساردًا محاسنه وصفاته، وهو مع ما كان بين "إسماعيل" و"الشاذلي" من خلاف ليس هذا محله؛ فإنه يرى أن "الشاذلي" يتميز عن باقي القادة العسكريين بكونه مثقفًا ومحبًا للاطلاع وقارئًا نهمًا."13"

إن "كريم أكرم" يلحظ ذلك؛ فيقول:

"كانت لديه قدرة غريبة على حفظ الأرقام وتربيطها والاستعانة بها دائمًا في كل شيء، في يوم ما دعوت أصدقائي إلى البيت؛ فسألني عن عدد زجاجات المياه الغازية التي أحضرتها، وتعجبت؛ ففوجئت به يحدد لي تمامًا أن كل شخص يستهلك 270 مللي جرامًا؛ وهو ما يعني أن الزجاجة الكبيرة تكفي عدد كذا شخص"."14"

12- المصدر السابق.
13- محضر اجتماع المؤلف مع الدكتور "محمد الجوادي" الباحث السياسي - مارس 2011م.
14- محضر اجتماع المؤلف مع كريم أكرم حفيد الفريق "سعد الشاذلي" - مصدر سابق.

والغريب أن من يقرأ كتب ومذكرات الفريق الراحل؛ يندهش من كم الكتب والمجلات والصحف والدوريات التي يقرؤها كل يوم؛ إنه يستعين بكتابات في العسكرية العالمية، وفي التاريخ الإسلامي، وفي الأدب، وفي الدين، وفي السياحة، وفي العلوم، وفي الجغرافيا.

9ـ الاهتمام بالتفاصيل:

لقد لاحظ كل من عايشوا الفريق "الشاذلي" اهتمامه الشديد بجميع التفاصيل في كل ما يتعلق بالقرارات والتحركات على المستوى العسكري أو السياسي، لقد وضع الرجل كتيبات تفصيلية للجندي المشارك في "حرب أكتوبر"؛ تضمنت كيفية الاستحمام بأقل كمية مياه، وكيفية الحركة والطعام، ووصلت إلى حد أنها تتضمن كيفية ربط رباط الحذاء.

ومن يسترجع تفاصيل الحرب؛ يجده مهتمًا جدًّا بحساب المدّ والجزر قبل المعركة، وقد صاحبه هذا الاهتمام حتى بعد الحرب، حتى إن حفيده "كريم أكرم" يقول.. إنه كان يحسب المد والجزر قبل أن نسافر إلى المصيف، وفي "حرب أكتوبر" يفكر في موعد التحرك، ويتوقع أن تكون ساعة أحدهم متقدمة دقيقة أو دقيقتين؛ فيضبط الجميع على الساعة الثانية طبقًا لإذاعة أم كلثوم. "15"

وحتى عندما يقرر "الشاذلي" السفر إلى الجزائر ومجابهة نظام "السادات"؛ فإنه يحدد مسبقًا جميع الترتيبات والتفاصيل الخاصة بعملية التحرك بشكلٍ واضح.

10ـ تغليب المصلحة العامة:

لا يستطيع أحد أن ينكر أن "سعد الشاذلي" كان إذا خُيّر بين أمرين؛ يختار أقربهما للمصلحة العامة حتى لو تعارض ذلك مع مصلحته الشخصية، إنه ـ مثلًا ـ يخصص بدروم فيللته في العاصمة البرتغالية لشبونة ليصبح مسجدًا للمسلمين هناك.

ونراه مثلًا يجيب عن تساؤل غريب لحفيده كريم حول سر عدم استيلائه على السلطة وقت معارضة "السادات" له في مقر القيادة العامة.. وكان ذلك ممكنًا؛ بأنه لم يكن ليفعل ذلك مهما كانت الدوافع؛ لأن البلد في حالة حرب ولا يجوز الانقلاب على السلطة في ذلك التوقيت حتى لو كانت النية سليمة وطيبة."16"

***

15ـ المصدر السابق.

16ـ المصدر السابق.

الشاذلي زوجًا

لقد كانت من حسنات والد "سعد الشاذلي" أنه حرص على تزويجه صغيرًا فور تخرجه بسنوات قليلة، وكان عمره وقتها 21 عامًا وهي سن مبكرة تدفع المرء إلى تحمل المسئولية بشكلٍ سريع، بما يقيم قواعد الشخصية المستقلة القادرة على تحمل المسئولية.

إن الزواج في مثل هذه السن سمة العباقرة والأفذاذ؛ الذين تُناط بهم أعمال بناء الأمم، وقد كان الرجل حريصًا على الزواج من عائلة أصيلة لها مكانتها وهي عائلة السحيمي، وبالفعل تم الزواج بشكل تقليدي، وعاش الزوجان 67 عامًا معًا في سلام اجتماعي وودٍ متواصل ومشاركة حقيقية.

تقول زوجته السيدة "زينات السحيمي":

"منذ أن تزوجنا حتى وفاته وهو رجل عسكري.. عسكري بكل ما تحمله الكلمة من معنى، طوال عمري كنت (ست بيت)، وكنت مع بناتي الثلاث دائمًا في البيت، وهو كان مشغولًا دائمًا بعمله، وكان صامتًا دائمًا لا يتكلم، عمله خط أحمر ممنوع الاقتراب منه أو الكلام عنه مطلقًا، وعلى الرغم من عسكريته وحبه للانضباط؛ فقد كان حنونًا على أسرته و لم تصدر منه يوما أي فعلة مشينة..

إنه لم يتكلم معي أبدًا عن الجيش أو عن عمله، وعندما تولى عمله في رئاسة الأركان؛ كان يسافر ويعود ولا أعرف شيئاً عنه، ولا أعرف أنه سافر إلا عندما كان يعود ويقول لي إنه كان مسافرًا، و لم يكن حتى يقول إلى أين، وكان هناك عرف عام بيننا يقضي بألا أكلمه أبدًا في عمله"."17"

لقد كان "سعد الشاذلي" حريصًا بعد التقاعد على إسعاد زوجته وتعويضها عن سنوات العمل في القوات المسلحة؛ لذا فقد اصطحبها كثيرًا معه في رحلاته وأسفاره داخل أوروبا.

وعندما عاد إلى القاهرة حرص على أن تصحبه زوجته في كل زيارة من زياراته إلى بلدته "شبراتنا"، وعندما مرضت قبل وفاته بنحو ثمانية أشهر.. وكانت تتحرك بصعوبة شديدة، انقطعت رحلاته وزياراته التي كان يقوم بها إلى قريته؛ لأنه لم يكن يرغب في ترك زوجته وحدها وهي مريضة ـ على حد قول ابن خاله "عماد العقاد"."18"

***

17ـ المصري اليوم – 26 فبراير 2011م.

18ـ محضر اجتماع المؤلف مع "عماد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" ـ الغربية ـ يونيو 2011م.

صلة الرحم

كان من الواضح أن "سعد الشاذلي" رجل بار بأهله، مهتم بالاتصال بهم بشكل دائم، حريصٌ على تتبع أخبارهم والتحدث إليهم، والسؤال عن أحوالهم بين الحين والآخر، يحكي "عبيد العقاد" ابن خاله.. أنه كان لا يتغيب عن واجب عزاء أو فرح حتى عندما كان مسافرًا في الخارج؛ فإنه يسارع فور عودته إلى الذهاب إلى صاحب الحزن أو الفرح ليعتذر له عن تغيبه."19"

ويذكر هو نفسه في مذكرات السلك الدبلوماسي أنه اضطر في أغسطس في العام 1975م؛ أن يغادر "لشبونة" إلى الإسكندرية بعد أن علم أن والدته تعاني من أزمة صحية، وفعلًا.. يعود إليها حتى يطمئن على حالها ثم يسافر مرة أخرى."20"

ويشير المستشار "أحمد الشاذلي" نائب رئيس مجلس الدولة وأحد أقرباء الفريق الراحل إلى أنه كان يتتبع أخبارهم وأحوالهم من الصحف، وكان يعرفهم واحدًا تلو الآخر، ويقول إن الفريق "الشاذلي" كان حريصًا على إقامة إفطار رمضاني كبير يدعو فيه كثيرًا من أبناء العائلة ليقضوا يومًا كاملًا لديه، وكان دائم السؤال عن جميع الأفراد والفروع، وحريصًا على أن تعرف بناته أقاربهن، وعندما عاد إلى مصر بنى مسجدًا وأعاد بناء بيت والده مرة أخرى."21"

***

أعمال الخير

يحدثنا "عماد العقاد" ابن حال الفريق الراحل عن كثير من أعمال الخير التي وكله في أدائها، كان أفضل عمل أدّاه الرجل هو إنشاء مسجد كبير في قريته يسع نحو مئتي مصلٍ، وفرشه وأثثه تأثيثًا جيدًا، وقد خصص الرجل قطعة أرض زراعية للإنفاق على احتياجات المسجد من عمالة وتنظيف وإمامة وغيرها.

19- محضر اجتماع المؤلف مع "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - مصدر سابق.

20- "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - 1983م – الجزائر - ص 174.

21- محضر اجتماع المؤلف مع المستشار "أحمد الشاذلي" نائب رئيس مجلس الدولة وابن عم الفريق "سعد الشاذلي" - القاهرة - مايو 2011.

وكان ـ رحمه الله ـ يشتري عددًا من الأبقار ويهديها إلى الأسر الأكثر فقرًا في القرية؛ حتى يصبح هناك عائدٌ ثابتٌ لهم يساعدهم على مواجهة أعباء الحياة، فضلًا عن دفع رواتب شهرية لكثيرٍ من الأسر الفقيرة في "شبراتنا".

وفي شهر رمضان؛ كان هناك عدد من المعاونين له يعملون لمساعدته في إعداد أكثر من 300 عبوة مليئة بالمنتجات الغذائية الأساسية مثل: المكرونة والأرز والزيت والسكر والدقيق والياميش؛ لتوزيعها خلال الشهر المبارك.

وكان ـ رحمه الله ـ يعد لإنشاء مستوصف خيري لعلاج الفقراء بالمجان في القرية، لكن لظروفٍ معينة لم يكتمل المشروع."22"

22ـ محضر اجتماع المؤلف مع "عماد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" ـ مصدر سابق.

كتابات وآراء "سعد الشاذلي"

(تكلم حتى أراك)

"أرسطو"

كتب الفريق "سعد الشاذلي" أربعة كتب سياسية، صدرت جميعها في "الجزائر"، وإن كان هناك توجه لدى أسرته لإعادة طبعها وإصدارها في القاهرة.

4 كتب

الكتاب الأول والأهم.. كان مذكراته عن "حرب أكتوبر" وقد نشره في البداية باللغة الإنجليزية، وحرره كاتب بريطاني عسكري هو "جون بيري"، ثم نُشِر الكتاب مسلسلًا في "مجلة الوطن العربي" إلى أن قررت المجلة وقفه نتيجة ضغوط بعض الأنظمة الحاكمة، وتلا ذلك قيام الفريق "الشاذلي" بطبع الكتاب في الجزائر في "الشركة الوطنية للطبع والتوزيع"، حيث صدرت منه عدة طبعات.

أما الكتاب الثاني؛ فكان مذكرات العمل الدبلوماسي وحمل عنوان "أربع سنوات في السلك الدبلوماسي 1974- 1978"، وقد صدر أيضًا في "الجزائر" عن المؤسسة الوطنية للكتاب، وقد عرف أيضًا باسم مذكرات الشاذلي ـ الجزء الثاني.

والكتاب الثالث.. هو كتاب "الخيار العسكري العربي"، وقد صدر أيضًا في الجزائر في العام 1983، وحرص فيه المؤلف على دراسة الخلفيات التاريخية والدينية التي أدت إلى الصراع العربي الإسرائيلي، والدور التي تؤديه الدول العظمى من أجل تطوير هذا الصراع؛ لكي يخدم مصالحها، كما يستعرض الكتاب عناصر القوة والضعف في كل من الدول العربية و"إسرائيل"، وهو يعتقد أن التفاوض مع "إسرائيل" لا يمكن أن يوصل العرب إلى حل عادل للقضية الفلسطينية.

أما رابع الكتب؛ فهو كتاب "الحرب الصليبية الثامنة"، وهو من جزأين، ويتناول بالتحليل

والشرح تفاصيل حرب الخليج الثانية، وكيف دُمّر جيش العراق بعد احتلاله الكويت.

ويمكن القول إن الكتابين الأول والثاني يحملان وقائع وحكايات عاشها المؤلف بنفسه، أما الكتابان الآخران؛ فيقدمان رؤية تحليلية لمراقب ومهتم بالصراعات العسكرية العربية استنادًا إلى المعلومات المتاحة عبر وسائل الإعلام.

ولا شك أن ذلك يعني أن رؤية الكاتب في الكتابين الأول والثاني أعمق وأشمل وأصدق منها في الكتابين الثالث والرابع، ومع ذلك؛ فقد احتوى الكتابان الثالث والرابع على معلومات وأسرار واستنتاجات، حرص المؤلف بشكلٍ كبيرٍ على توثيقها.

ومن الغرائب أن بعض طبعات كتب "سعد الشاذلي" حملت اسمه مضافًا إليه كلمة "الدين"؛ فأصبح "سعد الدين"، وبعض الطبعات لم تُضف كلمة "الدين" إلى اسمه واكتفت بـ"سعد الشاذلي"، وفي الحقيقة؛ فإن اسم الرجل الفعلي لا يتضمن إضافة الدين، لكنه اشتهر بذلك الاسم في الجزائر، وأخطأ كثيرٌ من الباحثين والكتاب والصحافيين ونقلوا اسمه مضافًا إليه كلمة "الدين"، و لم أجد فيما بحثت تفسيرًا لإضافة كلمة "الدين" إلى اسمه؛ سوى أنه ترك مهمة طباعة كتبه باللغة العربية لأصدقاء جزائريين، وهم في الغالب كثيرًا ما يضيفون كلمة الدين إلى كثير من الأسماء، فلا تجد لديهم صلاح.. ولكن صلاح الدين، ولا تجد حسام ولكن حسام الدين، وكذلك عماد وشهاب وغيرها من الألقاب والأسماء.

ونستعرض من خلال قراءتنا لكتب الفريق الراحل ثلاثة مباحث مهمة، يمكن من خلالها فهم الإطار العام الذي يدور فيه فكر الرجل، كما يمكننا من خلال تلك المباحث تعرّف آراءه في كثير من الأمور والشخصيات التاريخية.

وأول تلك المباحث هو توجهاته وقناعاته الشخصية والسياسية بشكل عام، وثانيها رأيه وتقييمه في عدد من الشخصيات العامة؛ سواء سياسية أو غير سياسية، وثالثها يتعلق بمواقفه من بعض القضايا المختلفة في الحياة بشكل عام.

***

التوجهات والسمات الشخصية لفكر "الشاذلي"

يمكن القول إن أبرز ما يميز توجهات "الشاذلي" في كتاباته ما يلي:

1- النزعة الإسلامية:

تتضح النزعة الإسلامية في كتابات "سعد الدين الشاذلي" في جميع كتبه ومقالاته المتناثرة في بعض الدوريات، ويمكن القول إن تلك النزعة بدت طفيفة في البداية في كتاب "مذكرات حرب أكتوبر"، ثم نضجت ووصلت إلى ذروتها في الكتاب الرابع وهو "الحرب الصليبية الثامنة".

في كتاب "مذكرات حرب أكتوبر" وبدءًا من المقدمة يتحدى "الشاذلي" من باعوا أنفسهم للسادات أن يقولوا الحق والصدق ويخوفهم بحساب الله؛ فيقول:

"فإما أن يقولوا الحق وهم يعلمون أن ذلك سيفقدهم مناصبهم، وإما أن يقولوا الكذب وهم يعلمون الحقائق؛ فيفقدون بذلك سمعتهم أمام أبنائهم وأمام التاريخ.. ناهيك عن حساب الله الذي يمهل ولا يهمل"."1"

وعندما يسرد الرجل قصة خلافه مع المشير "أحمد إسماعيل"، ويحكي أنه زاره في المستشفى في "لندن" وهو على فراش الموت؛ فأخبره المشير أن الرئيس هو الذي أزال اسمه من فيلم "حرب أكتوبر"؛ فقال "الشاذلي":

"الله أعلم بالحقائق والأسرار كلها، هل نسي الرئيس "السادات" الذي يطلق على نفسه الرئيس المؤمن.. أنه سيرقد يومًا على فراش الموت مثل جميع البشر، وسيمر أمام نظره شريط الأخطاء والمظالم التي اقترفها في حياته.. إن الإيمان هو علاقة بين المرء وربه، ولا يمكن أن يكون بقرار جمهوري يصدره الحاكم ليضيف لنفسه لقبًا جديدًا"."2"

وحتى عندما تم التفكير في نداء لجمع الجنود وقت "حرب أكتوبر"؛ اقترح "الشاذلي" أن يكون النداء هو "الله أكبر"، وينقل من مذكراته في "حرب أكتوبر" قوله "إن أفضل شيء يمكن أن يبعث الهمم في النفوس هو نداء الله أكبر"."3"

1- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2- 1981م - الجزائر - ص 12.
2- المصدر السابق - ص. ص. 202، 203.
3- المصدر السابق - ص 317.

وعندما يعلم "الشاذلي" بخبر الإقالة من رئاسة الأركان؛ يقول "لبورشجريف" الصحافي بـ"نيوزويك" جزءًا من الحديث الشريف "لو اجتمع أهل الأرض على أن ينفعوك بشيء ما نفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك". "4"

وتتضح النزعة الدينية لدى "سعد الدين الشاذلي" بشكل أكبر في كتاب مذكراته عن فترة العمل الدبلوماسي، إنه يهتم وهو يحدثنا عن ذكرياته خلال عمله سفيرًا في بريطانيا ثم في البرتغال؛ أن يقدم لنا معلومات وافية حول المسلمين في كلتا الدولتين، ففي بريطانيا مثلًا يزيد عدد المسلمين على أربعة أضعاف عدد اليهود، ومع ذلك فهم في السلك الأدنى في المجتمع البريطاني، وليس لهم وجود في مجلس العموم، وليست لهم سلطات وتأثيرات قوية كما هي الحال مع اليهود."5"

ونلحظ أن نزعة الرجل الدينية لم تدفعه إلى أي منحى متعصب تجاه الأديان السماوية الأخرى؛ بل إننا نجده يكتب فصلًا كاملًا عن استخدام الدين في خدمة الأغراض السياسية في البرتغال خلال فترة حكم "سالازار"، ويرد مدافعًا عن الدين المسيحي "إن الدين المسيحي شأنه في ذلك شأن جميع الأديان السماوية، لا يفرق بين رجل أبيض وأسود، أو بين حرب تجري في أوروبا وأخرى تجري في إفريقيا". "6"

ويحتج الرجل بشدة على استخدام الدين لخدمة أهداف سياسية؛ فيقول:

"إن استغلال الحكام للدين لتحقيق أهداف سياسية هو أمر معروف منذ آلاف السنين، إن رجال الدين هم بشر كسائر البشر؛ يصيبون أحيانًا ويخطئون أحيانًا أخرى، ومنهم من يُشترى ومنهم من يخشى أن يبطش به الحاكم؛ فيبرر له أفعاله". "7"

وتتسع النزعة الدينية لدى الفريق "الشاذلي" بعد إقامته في الجزائر عدة سنوات؛ حيث يسود الخطاب الجزائري توجه إسلامي صميم؛ خصوصًا أنه لا توجد أي أقليات دينية في الجزائر، وهو ما يحفزه أن يسمي كتابه عن حرب الخليج "الحرب الصليبية الثامنة"، وأن يصور المعركة بين الولايات المتحدة وحلفائها ضد العراق بالمؤامرة الصليبية اليهودية لتدمير أكبر وأقوى جيش بناه المسلمون منذ ظهور الإسلام.

4ـ المصدر السابق ـ ص 404.
5ـ "سعد الشاذلي" ـ أربع سنوات في السلك الدبلوماسي ـ الجزائر 1983م ـ من ص 57 إلى ص 60 "بتصرف".
6ـ المصدر السابق ـ ص 121.
7ـ المصدر السابق ـ ص 122.

ويمتد الحماس الديني بالمؤلف أن يقدم إهداء ووصية في الجزء الثاني من الكتاب إلى قادة وأبطال الحرب الصليبية التاسعة؛ إذ يقول لهم:

"ولعل الخطأ الكبير الذي وقع فيه جيلنا، هو عدم تطهير وتنظيم البيت الإسلامي قبل التصدي للقوى الخارجية المعادية للإسلام والمسلمين، إن التمسك بتعاليم الإسلام وإقامة مجتمع نظيف على أساس الشريعة الإسلامية هو ضرورة حتمية يجب أن تسبق أي مواجهة كبرى ضد القوى الأجنبية"."8"

ويستخدم "الشاذلي" القرآن الكريم ليكشف خطأ قوات الدول العربية والإسلامية التي شاركت في "حرب تحرير الكويت"؛ فيقول:

"لقد شاركت 14 دولة إسلامية في الحلف الصليبي الصهيوني ضد العراق، وهذه المشاركة لا يمكن أن تسقط صفة الصليبية الصهيونية عن تلك الحرب، فالقرآن صريح في إدانة مثل هذا العمل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" المائدة ـ الآية (51)."9"

وفي تصوري أن هذا التوجه الغريب على الفريق "الشاذلي"؛ يرجع لإصداره الكتاب في "الجزائر"؛ حيث كان التيار الإسلامي مسيطرًا على الإعلام والسياسة خلال السنوات الثلاث الأخيرة من حكم "الشاذلي بن جديد" حتى الانقلاب عليه، وهو ما كان يدفعه أن يكون خطابه موجهًا إلى ذلك التيار وبلغته نفسها، إننا نلمح ذلك بوضوح عندما يحاول "الشاذلي" نقد موقف السعودية من الحرب؛ فيقول نصًّا:

"سوف يسجل التاريخ أن الملك "فهد بن عبد العزيز آل سعود" هو أول حاكم مسلم يستضيف 600 ألف نصراني و16 ألف يهودي على أرض نجد والحجاز التي حررها النبي "ص" من أهل الكتاب والمشركين قبل أكثر من 1400 سنة"."10"

ويتساءل الرجل في الكتاب نفسه إن كانت "حرب تحرير الكويت" صليبية أم لا؟ ويرد بأنها بالفعل صليبية، وهنا يرى "أن الصليبيين تعبير لا يعني جميع المسيحيين؛ بل إنه يعنى فريقًا منهم.. هذا الفريق الذي يعتدي على ديار المسلمين من أجل أن ينهب أموالهم ومن أجل أن يستعمر أرضهم"."11"

8ـ سعد الشاذلي ـ الحرب الصليبية الثامنة ـ ج 2 ـ ص 5.

9ـ المصدر السابق ـ ص 71.

10ـ المصدر السابق ـ ص 173.

11ـ المصدر السابق ـ ص 457.

والواضح أن ذلك الكلام غير علمي بالمرة؛ لأن الحروب الصليبية التي عرفها التاريخ كانت بدعوات من البابا وكانت تحت شعار الصليب، وبزعم غفران ذنوب المقاتلين، وكل ذلك لا علاقة له بحرب الخليج الثانية التي جاءت ردًّا على احتلال دولة عربية لأخرى، وكانت الدول المشاركة في عملية التحرير دولًا مختلفة المآرب والأهداف، و لم يكن لأي منها هدف ديني، و لم يقاتل أي جندي فيها تحت راية دينية.

وقد تناول المؤلف في الجزء الأول من نفس الكتاب فتاوى علماء المسلمين بين إباحة استدعاء قوات أجنبية لتحرير دولة مسلمة محتلة وحرمة ذلك، وانتهى إلى أن فقهاء السلطان هم الذين أيدوا الدخول في تحالف مع أمريكا ضد العراق، بينما كان رأي العلماء الثقاة أن ذلك غير جائز وحرام، وقد اختار المؤلف من هؤلاء العلماء الدكتور محمد المسير والدكتور محمد خلف الله والدكتور عمر عبد الرحمن."12"

***

2- النزعة القومية

تفوح كتابات الفريق "الشاذلي" بنماذج كثيرة تؤكد إيمانه التام بوحدة المصير العربي ووحدة الأمة العربية، ويمكن القول إن كتابيه "الخيار العربي الاستراتيجي" و"4 سنوات في السلك الدبلوماسي" هما الأكثر تعبيرًا عن ذلك.

ومع هذا؛ فإننا نلمح في "مذكرات حرب أكتوبر" إشارات واضحة إلى أهمية الوحدة العربية، وعندما يستعرض قضية قومية المعركة مع "إسرائيل" وأن "مصر" هي التي أنفقت أعلى إنفاق على الحرب، مع أن هناك دولًا عربية أخرى يزيد فيها الدخل كثيرًا على "مصر" و لم تنفق إلا قدرًا ضئيلًا، يقول صراحة:

"أنادي بأن تتعاون الدول العربية في خلق صناعة حربية متطورة"."13"

وفي "مذكرات السلك الدبلوماسي"؛ يشير الرجل إلى تحذيره في حديث مع وفد الطلبة العرب في "لندن" من محاولات لعزل "مصر" عربيًّا."14"

12- "سعد الشاذلي" - الحرب الصليبية الثامنة - ج أول – من ص 115 إلى ص 120.
13- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2 - 1981م - الجزائر - ص 305.
14- "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - مصدر سابق - ص 31.

وعندما يعلن السفير "سعد الشاذلي" مجابهته للسادات في البرتغال والانقلاب عليه؛ يجد حبًّا وحماسًا وتأييدًا عربيًّا يدفعه إلى القول إن العرب أمة واحدة، ويكتب عن ذلك في مذكراته:

"لم أشعر بحيوية ونبض الجماهير العربية كما شعرت بها خلال يوم 19 يونيو 1978م والأيام التالية، لم تستقر سماعة التليفون في منزلي في مكانها، لقد تلقيت مئات المكالمات من أشخاص عاديين لا تربطني بهم أي معرفة أو صداقة سابقة، كان الانتساب إلى العروبة هو الرباط القوي الذي يجمعنا"."15"

ويتضح إيمان الرجل الشديد بالقومية العربية في كتابه الثالث "الخيار العسكري العربي"، الذي يؤكد فيه بأكثر من عبارة أن الوحدة العربية حتمية تاريخية، وأن الصراع مع "إسرائيل" لا يمكن حصره في إطار مشكلات حدودية ما بين الدول، وإنما هو صراع بين الأمة العربية كلها والصهيونية العالمية.

***

3ـ العداء لـ"إسرائيل":

يتسم فكر الفريق "الشاذلي" بوضوح فكرة العداء الشديد للمشروع الصهيوني، ورفضه وتكرار مواجهته وعدم التصالح معه تحت أي سبب من الأسباب، وإذا كان كتاب "حرب أكتوبر" لا يذكر كلمة عن "إسرائيل" إلا ويقرنها بكلمة "العدو"؛ فإن ذلك يبدو مقبولًا في الحديث عن وقت حرب؛ لكنه يكرس فكرة العداء الدائم في باقي مؤلفاته، التي تلت توقيع اتفاقية السلام بين "مصر" و"إسرائيل" 1979م؛ ما يشير إلى أن موقف الرجل لم يتغير تجاه المشروع الصهيوني طوال حياته.

إنه مثلًا يقول في كتابه "أربع سنوات في السلك الدبلوماسي":

"إن مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي ليست مشكلة محلية بين العرب و"إسرائيل"، وإنما هي جزء من مشكلة الصراع العالمي الذي تتزعمه الدول العظمى، والذي يقسم العالم إلى معسكرين"."16"

15ـ المصدر السابق ـ ص 158.

16ـ المصدر السابق ـ ص 45.

ثم نجده يحلل بشكل تفصيلي تاريخ الصراع بين الصهيونية والعالم العربي، ويتحدث باستفاضة عن ارتباط اليهود في بريطانيا بـ"إسرائيل" عبر المؤسسات السياسية المختلفة، ويحكي الرجل عن لقائه مع "اللورد كارنجتون" خلال عمله سفيرًا في "لندن" وأنه قال له نصًّا:

"إن "إسرائيل" دولة معتدية توسعية، وهي التي تحتل جميع أراضي فلسطين وأجزاءً من "مصر" و"سوريا"، وتطرد السكان العرب من ديارهم لتُحل محلهم اليهود الذين تستقدمهم من البلاد الأخرى، إننا نحن العرب الذين نطالب بحماية أمننا من "إسرائيل"."17"

ونلمح استياء المؤلف من نجاح الدعاية الصهيونية في بث الأكاذيب؛ فيقول:

"لقد صورت الدعاية الصهيونية أن اليهود شعب متمدين، يقيم دولة عصرية حديثة فوق أرض فلسطين، وسط بحر من شعوب عربية لا تزال تعيش في عصور متخلفة، يمارسون فيها الرق، ويركبون الجمال، ويمتلكون الحريم"."18"

ويتحدث كتاب "الخيار العسكري العربي" عن ترسانة الأسلحة النووية التي تمتلكها "إسرائيل"، وتحالفاتها ضد العالم العربي والإسلامي، فيقول:

"الإمبريالية والصهيونية وجهان لعملة واحدة"."19"

ويعود المؤلف في كتابه الأخير "الحرب الصليبية الثامنة" للإشارة إلى التحالف الذي يربط المصالح الأمريكية بالإسرائيلية، ويخلص إلى أن:

"الهجوم الأمريكي على العراق هو حلقة من حلقات الصراع العربي/ الإسرائيلي، وأن عدم مشاركة "إسرائيل" في الحملة العسكرية ضد العراق بطريقة علنية؛ لا يمكن أن ينفي مشاركتها الفعلية والسرية التي لم يكشف عنها النقاب بعد"."20"

***

17- المصدر السابق - ص 52.

18- المصدر السابق ص 56.

19- "سعد الشاذلي" - الخيار العسكري العربي - ط 1983م - الجزائر - ص 16.

20- "سعد الشاذلي" - الحرب الصليبية الثامنة - ج 2 - الجزائر - ص 567.

4ـ الإيمان بالديمقراطية:

يطرح "الشاذلي" في معظم كتبه ما يؤكد اتساقه التام مع الديمقراطية ودعوته لسيادتها، وضرورة تحول "مصر" إلى النظام الديمقراطي.

يقول الرجل في مذكرات "حرب أكتوبر" عاتبًا على "السادات" كذبه على الشعب مع الادعاء بأنه ديمقراطي:

"إني لا أتصور أن يكذب رئيس دولة يدعي أن نظامه ديمقراطي، لقد طرد الشعب الأمريكي "نيكسون" لأنه كذب على الشعب الأمريكي كذبة صغيرة، لو قيست بأكاذيب "السادات" لبدت كأنها لا تدخل ضمن تعريف الكذب"."21"

ثم يتحدث عن نظام "السادات" واصفًا إياه بعدم الديمقراطية؛ فيقول:

"إن "السادات" لا يريد لشعب "مصر" أن يقرأ إلا ما يريد له "السادات" أن يقرأ، إنه لا يريد لأحد من أبناء "مصر" أن يكتب إلا إذا كان ما يكتبه معبرًا عن وجهة نظر حاكم "مصر"، ومن هنا يكون هذا الكتاب تحديًا خطيرًا لهذه القواعد القمعية اللاديمقراطية التي يمارسها نظام "السادات"."22"

ويفاجئنا الكاتب أن تعيينه سفيرًا في "لندن" أفاده في أن يتعرف على الديمقراطية تعرفًا حقيقيًّا، إنه يقول في مذكرات العمل الدبلوماسي:

"لقد تعلمت الديمقراطية واقتنعت تمامًا أنها الحل الوحيد الذي يجب أن نبدأ به في "مصر" منطلقًا لحل جميع مشكلاتنا، لقد كان من حسن حظي أن أُعيَّن سفيرًا في إنجلترا التي تُعد من أعرق الديمقراطيات في العالم.

كذلك كان من حظي أن أعين سفيرًا لبلادي في البرتغال في خلال مرحلتين مهمتين من تاريخ تلك البلاد؛ الأولى هي مرحلة التحول من النظام الأوتوقراطي إلى النظام الديمقراطي، والثانية هي مرحلة استقرار الديمقراطية في البلاد التي بدأت مع تشكيل أول حكومة دستورية في 23 يوليو 1976م.

21ـ "سعد الشاذلي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ مصدر سابق ـ ص. ص. 394، 395.

22ـ المصدر السابق ـ ص 422.

ويشير خلال عمله في "لندن" سفيرًا لـ"مصر" إلى أنه سُئل عمّا يود أن يراه في "مصر" يومًا ما فأجاب: الديمقراطية.

إن "الشاذلي" يشرح بعد ذلك في الكتاب ذاته كيف بدأ ممارسة العمل الديمقراطي بالفعل في "لندن"؛ عندما تحدث بصراحة إلى وفد الطلبة العرب عن محاولات عزل "مصر" عن العالم العربي، ثم عندما تحدث إلى التليفزيون البريطاني وانتقد سياسات "السادات".

ويستفيض "الشاذلي" في سرد أحداث التحول الديمقراطي في البرتغال، ويحكي عن الحاكم "سالازار" الذي حكم البرتغال 38 سنة بشكل مستبد وديكتاتوري، وهو ما انعكس سلبيًّا على جميع مناحي الحياة حتى رحل الرجل بعد عدة محاولات اغتيال؛ شاء القدر أن ينجو منها جميعًا، وبدأ تشكيل حكومة ديمقراطية في البرتغال بعد سنوات قليلة من وفاته، ويقارن الرجل بين "سالازار" و"السادات"؛ فيجدهما وجهين لعملة واحدة في التسلط والانفراد بالرأي والاستبداد بالحكم."24"

ويحلل الرجل حكم الرئيس "السادات"؛ مؤكدًا أن "الرجل كان يدعي الديمقراطية ويطبق الأوتوقراطية.. وكان يعتبر كل من يتحدث بشكل لا يعجبه خائنًا"."25"

وفي كتاب الحرب الصليبية الثامنة يقول:

"وقد تبيّنت فعلًا أن الغالبية العظمى من الشعوب العربية والإسلامية كانت متعاطفة مع العراق؛ لكن ثبت أنها لم تكن من القوة بحيث تستطيع أن تفرض رأيها على حكامها نظرًا لغياب الديمقراطية"."26"

***

شخصيات سياسية وعامة في فكر "الشاذلي"

تزخر كتب الفريق الشاذلي بآراء تفصيلية حول بعض الشخصيات السياسة والرؤساء والزعماء والعسكريين والصحافيين والكتاب.

23ـ "سعد الشاذلي" ـ أربع سنوات في السلك الدبلوماسي ـ مصدر سابق ـ ص. ص. 5، 6.
24ـ المصدر السابق– من ص 93 إلى ص 111 "بتصرف".
25ـ المصدر السابق ـ ص 125.
26ـ "سعد الشاذلي" ـ الحرب الصليبية الثامنة ج 2 ـ الجزائر 1992م ـ ص 567.

ومن أهم الشخصيات التي يقيمها الرجل رؤساء "مصر" الثلاثة، وعدد كبير من العسكريين، وكثير من القادة والزعماء العرب.

1- "جمال عبد الناصر":

تتسم رؤية "الشاذلي" تجاه جمال "عبد الناصر" بكثيرٍ من الإعجاب وغلبة العاطفة؛ على الرغم من إقراره صراحة أنه ديكتاتور، تتضح صفة الوفاء التي يراها "الشاذلي" متحققة في " ناصر" في حكايته عن الخلاف بينه وبين المشير "أحمد إسماعيل" وتقديمه استقالته فور علمه بتعيينه رئيسًا للأركان في وقت "عبد الناصر"؛ أن "أشرف مروان" زاره حاملًا رسالة من الرئيس ووعده بألا يحتك به أبدًا، ويعلق على ذلك قائلًا:

"أستطيع أن أؤكد أن "عبد الناصر" وفّى بما وعد"."27"

ومع تلك الإشارة وغيرها من الإشارات التي تشير إلى أن أحد أسباب غضبه من "السادات" انقلابه على كل ما كان يميز عهد "عبد الناصر"؛ فإنه يشير صراحة إلى أن "عبد الناصر" كان ديكتاتورًا، ويستدل على ذلك برفض اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي "مبادرة روجرز" عندما كان "عبد الناصر" في "موسكو" وتراجع أعضاء اللجنة فور علمهم بقبول "عبد الناصر" لها، حيث يعلق على ذلك قائلًا:

"كان الشعب قد تعود في ظل "عبد الناصر" أن السلطة الحقيقية تتركز في يد رئيس الجمهورية، وأن ما دون ذلك من مؤسسات لا تعدو أن تكون مؤسسات شكلية"."28"

ويكرر أن صفة الاستبداد كانت مشتركة بين "عبد الناصر" و"السادات"؛ لكن "عبد الناصر" كان يتحمل مسئولية أعمال مرؤوسيه؛ لأنه يعلم أنهم ينفذون سياسته."29"

وربما في رأيه أيضًا أن "عبد الناصر" أفضل من "السادات"؛ لأنه أقل تبذيرًا؛ لأنه عندما مات كانت ديون "مصر" لا تتجاوز مليارًا و639 مليون دولار."30"

27- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - ط 2 - 1981م - الجزائر - ص 190.
28- "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - الجزائر 1983م - ص 130.
29- المصدر السابق – ص 139.
30- المصدر السابق – ص 137.

2- "محمد أنور السادات":

وتزخر مؤلفات الفريق "الشاذلي" بأوصاف عديدة للرئيس "السادات" من أمثلة " مخادع"، "كاذب"، "مدعٍ" ومثل ذلك، إنه يقول صراحة في "مذكرات حرب أكتوبر":

"من مساوئ "السادات" أنه إذا غضب على صديق ينسى فضائله ويبدل حسناته إلى سيئات"."31"

وفي ظنه؛ فإن "السادات" لا يؤمن بالقومية العربية، ودليله على ذلك أنه عندما عرض عليه السفر إلى "الجزائر" و"المغرب" و"العراق" للاتفاق مع الإخوة العرب على دعم المعركة؛ رفض وقال له: "لن يعطوك شيئًا"."32"

ويحكي الفريق "الشاذلي" بشيء من التفصيل عدة أمثلة عن أن "السادات" لم يكن يفهم شيئًا في العلم العسكري؛ خصوصًا أنه قضى خمس سنوات فقط في العسكرية، وهذا ما يتفق حوله كثير من العسكريين، منهم المشير "عبد الغني الجمسي" واللواء "جمال حماد"، وقد اتضح ذلك بشكل كبير في الإصرار على تطوير الهجوم خلال "حرب أكتوبر".

ويكرر الرجل كثيرًا التأكيد على أن الرئيس "السادات" كان محترف كذب، والدليل على ذلك أنه قال عن "الشاذلي" أنه عاد منهارًا من الجبهة، وأنه كلف "الشاذلي" بتصفية الثغرة في 16 أكتوبر، وهو ما تتفق بشأنه شهادات كثير من المؤرخين ذكرناها في فصل سابق.

ثم يشير إلى أن الرئيس "السادات" له تاريخ طويل من الانهيار العصبي والأمراض النفسية."33"

وفي كتاب "أربع سنوات في السلك الدبلوماسي" يعتبر "الشاذلي" الرئيس "السادات" شبيهًا بالديكتاتور البرتغالي "سالازار" في تضليل الشعب وتزوير الانتخابات، إلا أن "سالازار" عاش حياته راهبًا متقشفًا؛ بينما استهوت حياة القصور "أنور السادات"."34"

31- "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - مصدر سابق - ص 250.
32- المصدر السابق - ص 269.
33- المصدر السابق - ص 419.
34- "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - مصدر سابق - ص. ص. 112، 113.

ثم يصف "السادات" مرة أخرى بأنه كان قبل الرئاسة رجلًا مطيعًا جدًّا لمن بيده السلطة، حتى إن زملاءه سمّوه "مستر نعم"."35"

كما ينتقد سياسات "السادات" المخادعة مع العرب وداخل "مصر"، ويراه ينحني لتمثال "عبد الناصر"، ثم يمحو جميع إنجازاته ويخرج خصومه من السجون ليشوهوه، أما ديمقراطيته فهي ديمقراطية لا ترحم، وليس أدل على ذلك من فصله "كمال الدين حسين" من مجلس الشعب؛ لأنه عارضه يومًا."36"

3- "محمد حسني مبارك":

ولم تخلُ مؤلفات "سعد الشاذلي" من رؤية واضحة وعميقة تجاه الرئيس السابق محمد حسني مبارك، وربما أبرز ملامحها تأكيد تبعية مبارك للولايات المتحدة وانصياعه التام لجميع قراراتها ومشاركته في تنفيذ سياستها، ويزخر كتاب "الحرب الصليبية الثامنة" بكثير من الأمثلة على ذلك.

ويلفت النظر إلى أنه يتهمه بالتآمر على العراق وبتعبئة وسائل الإعلام المصري لتبرير إقدامه على إرسال قوات مصرية لحرب العراق."37"

4- الزعماء العرب:

ويرى الكاتب أن جميع الحكام العرب يعملون لمصالحهم الذاتية، ولضمان بقائهم في مقاعدهم.. ويقدم رؤية مختصرة حول كل زعيم بدءًا من "صدام حسين" وحتى "ياسر عرفات".

ففي رأيه المستخلص من كتابه "الحرب الصليبية الثامنة" أن "صدام حسين" رجل شجاع يؤمن بالقومية ويتمتع بالمكر والدهاء، إلا أنه مستبد وله كثير من الأخطاء السياسية والاستراتيجية.

أما العقيد الليبي "معمر القذافي"؛ فعلى الرغم من تصريحاته الثورية الدائمة؛ فإنه أقل كثيرًا من أن يلبي رغبات الجماهير، ويعجز كثيرون عن فهم بعض مواقفه.

35- المصدر السابق - ص 128.

36- المصدر السابق - ص 138.

37- "سعد الشاذلي" - الحرب الصليبية الثامنة - ج 2 الجزائر 1992م - ص 208.

وبالنسبة للرئيس الجزائري "الشاذلي بن جديد"؛ فهو رجل عروبي مهتم بالقضية الفلسطينية والأمة العربية، والملك "فهد بن عبد العزيز" هو الذي سمح بعودة اليهود والمسيحيين إلى الحجاز؛ بعد أن أخرجهم الرسول - عليه الصلاة والسلام.

أما الملك "حسين"؛ فمن المعمرين في السلطة 37 سنة، والأكثر إحساسًا بالخطر، وهو محافظ من حيث الانتماء، ليبرالي من حيث الفكر، ذو ميول غربية بحكم الثقافة والتربية، ومع ذلك؛ متمسك بالتقاليد العربية، ودائمًا ما يؤيد الحلول الوسطى، وفي رأيه؛ فإن "ياسر عرفات" لا ينسف الجسور ولا يقطع الخيوط التي تربطه بمن يختلف معهم أبدًا."38"

4- العسكريون:

يتحدث "الشاذلي" عن آرائه في كثير من العسكريين المصريين في كتابه "مذكرات حرب أكتوبر"، ربما يستوقفنا بشكل رئيس امتعاضه من المشير "عبد الحكيم عامر" في إصراره على الإمساك بجميع خيوط القوات المسلحة، وتقييمه شخصية المشير "أحمد إسماعيل" بأنها شخصية ضعيفة منساقة دائمًا ومنحازة للسلطة غالبًا، وغير محبوب ومتذبذب الأداء، أما الفريق "محمد صادق" وزير الحربية الأسبق؛ فرجل ذو كفاءة عالية، محبوب من الضباط والجنود، غير أن الغرور سيطر عليه وأفقده منصبه، وتعرض لحرب تشويه من جانب "أنور السادات".

أما "عبد المنعم واصل"؛ فإنه ينقل قوله للسادات بأنه ضابط ممتاز، وكذلك "سعد مأمون"، واللواء "علي عبد الخبير" في رأيه رجل صادق، شريف، لديه كرامة وكبرياء.

5- صحافيون وكتاب وعلماء

يهتم "الشاذلي" كثيرًا بالتأكيد الدور الذي يلعبه الإعلام في تحريك الشعوب وتغيير الدول، لذا؛ فإننا نجد ذكرًا لبعض الصحافيين في كتبه، منهم: "موسى صبري"، الذي التقاه وهو سفير ولامه على ما كتب بدون التأكد؛ فأخبره أنه لا يستطيع أن يكتب ما يشين "السادات"، وهناك "سليم اللوزي" الصحافي اللبناني الشهير الذي التقاه وتنبأ وقتها "اللوزي" أن يستمر "السادات" في الحكم وصدقت نبوءته، كذلك نتعرف من مذكرات الفريق بصحفي شهير كان مراسلًا للنيوزويك اسمه "بورشجريف"، وهو أول من أخبر "الشاذلي" بنبأ إقالته، وهو أيضًا أول من علم بتعيينه سفيرًا في "لندن".

38- جميع تلك الآراء وردت في كتاب الحرب الصليبية الثامنة - في الجزأين الأول والثاني - الجزائر 1991م، 1992م.

ويستوقف الرجل ثلاث شخصيات دينية مصرية؛ يجدها جديرة بالكبرياء الخاص بعلماء الدين، وذلك في كتابه عن حرب الخليج المعروف بـ"الحرب الصليبية الثامنة"، وهم: الدكتور محمد المسير، والدكتور محمد خلف الله، والدكتور عمر عبد الرحمن.

***

مواقف وآراء:

وللفريق "الشاذلي" مواقف وآراء في كثير من القضايا السياسية والعامة من أبرزها:

1- رأي في هزيمة يونيو:

يقول الفريق في مذكراته عن حرب أكتوبر رأيه في هزيمة يونيو؛ حيث يرى أنها كانت هزيمة حتمية اتهمت فيها القيادة العسكرية القيادة السياسية بالمسئولية عن الهزيمة، وحملّت القوات المسلحة القيادة السياسية المسؤولية عما جرى، ومن وجهة نظره؛ فإن القوات المسلحة كانت ستهزم حتى لو بادرت هي بالضربة الأولى، وفي رأيه أيضًا؛ فإن القيادة السياسية "عبد الناصر"، والقيادة العسكرية "عبد الحكيم عامر" كلتيهما وقعتا في الخطأ."39"

2ـ الدعم السوفيتي لـ"مصر" والعرب:

يقر الفريق "الشاذلي" بكثير من التفصيل أهمية الدعم العسكري السوفيتي المقدم لـ"مصر" و"سوريا" خلال سنوات الحرب مع "إسرائيل"، ويؤكد خلاف "السادات" أنهم أسهموا بشكل كبير في دعم وبناء القوات المسلحة المصرية بعد النكسة، ومع ذلك؛ فإنه يرى بعض السلبيات في التعاون مع السوفييت، فهم بتعبيره "ليسوا ملائكة" ويعانون من فجوة تكنولوجية كبيرة بالمقارنة بالسلاح الأمريكي، ويتعاملون بخشونة شديدة، وكثيرًا ما ينتقدون المصريين بسبب ما يعتبرونه إسرافًا وتبذيرًا منهم، كما أنهم يعرضون رأيهم دائمًا باعتباره الرأي الوحيد الصحيح."40"

وتتطور رؤية "الشاذلي" بشأن الاتحاد السوفيتي الذي يعتبره أحد أسباب تدمير أكبر جيش في تاريخ المسلمين وهو الجيش العراقي قبل حرب تحرير الكويت."41"

39ـ "سعد الشاذلي" ـ مذكرات حرب أكتوبر ـ مصدر سابق ـ ص.127.

40ـ المصدر السابق من ص 252 إلى ص 256.

41ـ "سعد الشاذلي" ـ الحرب الصليبية الثامنة ـ ج 2 ـ من ص 575 إلى ص 580.

3- حركة 15 مايو 1971م:

يتحدث كتاب "أربع سنوات في السلك الدبلوماسي" بشكل عابر عن رأي كاتبه في حركة 15 مايو، التي يسميها "السادات" ثورة التصحيح، ويسميها خصومه "انقلاب مايو"، وينحاز الكاتب للرأي الذي يراها انقلابًا على الشرعية الدستورية، ويقول إن أي تصحيح معناه الانتقال إلى وضع أفضل وهو ما لم يحدث."42"

4- سياسة الانفتاح:

يتبنى كتاب "أربع سنوات في السلك الدبلوماسي" رأيًا عارضًا في سياسة الانفتاح الاقتصادي، وهو رأي يقترب كثيرًا من رأي الأستاذ "أحمد بهاء الدين" الذي كان يحب أن يطلق على تلك السياسة "انفتاح السداح مداح"43". ويقول الفريق "الشاذلي":

"لقد تدهور الاقتصاد المصري نتيجة الانفتاح على الاستهلاك التفاخري، وفتح الباب على مصراعيه أمام رأس المال الأجنبي الذي لم يعمل في المشاريع التي تزيد من الدخل القومي للبلاد؛ بل اتجه إلى المشروعات الاستهلاكية التي تدرّ الربح الوفير في أقصر وقت ممكن"."44"

5- السلك الدبلوماسي:

ويبدي الرجل رأيه بصراحة في العمل الدبلوماسي؛ فيقول:

"إن رجال السلك الدبلوماسي قوم ظرفاء ومهذبون، لكنهم مكبلون بالأغلال.. إن تطور وسائل الاتصال أدّى دورًا كبيرًا في الحد من حرية تصرفهم، لقد أصبحت القرارات المهمة تتخذ في عواصم الدول بواسطة رجال السياسة، وأصبح واجب السفراء ورجال السلك الدبلوماسي هو تبرير قرارات رجل السياسة، وهذا عمل لا بأس به إذا كان السفير مقتنعًا بهذه القرارات السياسية، أما إذا لم يكن مقتنعًا بها؛ فإما أن يؤدي دور المنافق، أو دور السفير غير الملتزم"."45"

42- "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - مصدر سابق - ص 130، 131.
43- انظر - أحمد بهاء الدين - محاوراتي مع "السادات" - ط 2 - دار الهلال 1987م.
44- "سعد الشاذلي" - أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - مصدر سابق - ص 138.
45- المصدر السابق - ص. ص. 185، 186.

6- الإعلام:

يتضمن كتاب "الحرب الصليبية الثامنة" بجزأيه الأول والثاني إشارات عديدة حول دور الإعلام في صراعات الدول، وينقل لنا المؤلف قولًا شهيرًا لـ"نابليون بونابرت" مفاده أن ثلاث صحف معادية أخطر من ألف بندقية، وفي رأي الكاتب؛ فإن الهدف الأول للإعلام هو إقناع الذات والرأي العام الداخلي والصديق.. بأن لديهم الإمكانيات اللازمة لتحقيق النصر.

أما الهدف الثاني؛ فهو إقناع الخصوم بأنهم سينهزمون، والهدف الثالث، هو إقناع الأطراف المحايدة بعدالة القضية وأن الانتصار على الطرف الآخر يحقق صالح المجتمع الدولي."46"

ويتحدث الرجل عن مسئولية الكاتب في المعركة، ويرى أن عليه أن يعرض الحقائق كما يراها لا كما يتمنى الناس أن يروها."47"

46- "سعد الشاذلي" - الحرب الصليبية الثامنة - ج 2 - 1992م - ص 482.
47- المصدر السابق - ص 533.

شهادات وكلمات رثاء

(عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:
مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا؛
فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم: وجبت.
ثم مروا بأخرى فأثنوا عليه شرًّا؛
فقال ـ عليه الصلاة والسلام: وجبت.
فقال عمر بن الخطاب: ما وجبت؟
فقال النبي ـ عليه الصلاة والسلام:
هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة،
وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار.
أنتم شهداء الله في الأرض).

"أخرجه البخاري ومسلم"

شهادة الدكتور مصطفى الفقي
الدبلوماسي المخضرم والكاتب السياسي
"نشرت في جريدة المصري اليوم 21 فبراير 2008م"
"سعد الشاذلي"

تعرض هذا الرجل لحملة عاتية في أعقاب انتصار أكتوبر العظيم، واتهمه البعض بالتقاعس أمام ثغرة "الدفرسوار"، وألقوا بالمسؤولية عليه باعتباره رئيس أركان تلك الحرب الظافرة، وليس من حقي أن أخوض في تفاصيل ما جرى؛ لأن الأمر يحتاج إلى خلفية عسكرية لا أحوزها، وإن كان تاريخ الرجل يوحي بمكانته المرموقة وقيمته الكبيرة، فقد كان قائد قوات المظلات الدولية في الحرب الأهلية أثناء الصراع الذي دار في "الكونغو" في أوائل الستينيات من القرن الماضي، ثم كان هو الملحق العسكري اللامع في "لندن" بعد ذلك.

وهو "الفريق" الذي اختاره الرئيس الراحل "السادات"– صاحب القرارين، قرار الحرب وقرار السلام – لكي يكون رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة، وشريكًا للمشير الراحل "أحمد إسماعيل"، في إدارة المسار العسكري لتلك الحرب، رغم ما كان بين الرجلين – المشير والفريق – من علاقة غير ودية وحساسيات قديمة، ولكنها عبقرية "السادات"، في أن يجمع المتناقضات؛ ليضمن ولاء القوات المسلحة، ويحصل على الحد الأقصى من خبرات كلا القائدين.

الذي يعنيني في حياة الفريق "سعد الشاذلي" هو ما عرفته عنه بعد ذلك، من خلال عملي معه وهو سفير لـ"مصر" في "لندن"، وقد كان طبيعيًّا أن يتم إبعاده عن الساحة، بعد أن وضعته

مجلتا "الحوادث" العربية و"الباري ماتش" الفرنسية على غلافيهما باعتباره رئيس أركان الحرب العربية المنتصرة.

وعندما تسلم الفريق "الشاذلي" عمله في السفارة؛ استقبلناه بقلق شديد ومخاوف مبررة؛ فالرجل معروف بصرامته العسكرية، وقد لا تكون إدارته لبعثة دبلوماسية كبيرة على النحو المطلوب، ولكننا فوجئنا بعسكري مصري مشرف يتحدث بلغة إنجليزية طليقة، تفوق في جودتها عشرات السفراء المدنيين، فضلًا عن أفكار غير تقليدية في العمل، وقدرة واضحة على الوصول إلى الهدف.

ولعلي أتذكر الآن.. أنه كان من أوائل من فطنوا إلى قيمة وزيرة التعليم البريطاني "مارجريت تاتشر"، ومستقبلها السياسي المنتظر، فدعاها هي وزوجها إلى عشاء في بيت "مصر" بالسفارة في حي "ماي فير"، وهو أيضًا الذي دعا في مرة أخرى أسقف "كانتبري" علي العشاء في السفارة المصرية، ودعا معه كبار الشيوخ من بعثة الأزهر الشريف في المركز الإسلامي بلندن، وهو تفكير ينم عن سعة الأفق، والفهم المبكر لقضية الوحدة الوطنية.

كما أنه فاجأنا ـ جميعًا ـ ذات يوم بأن أعلن أن السفارة المصرية سوف تستضيف احتفال جميع البعثات الإفريقية في "لندن" بيوم إفريقيا، وهو الخامس والعشرون من شهر مايو، ونجح في ذلك بشكل واضح، وحقق لـ"مصر" الإفريقية مكانة متميزة في العاصمة البريطانية؛ حيث حضر إلى السفارةَ رئيس الوزراء البريطاني "كالاهان"، ووزير الخارجية وجميع القيادات المرموقة في العاصمة البريطانية، وفي مقدمتهم مندوب صاحبة الجلالة وقيادات "الكومنولث" كلها، ولقد كان يومًا رائعًا شعرت فيه بأن للرجل رؤية تستحق الإكبار.

وهو أيضًا الذي وافق في بداية السبعينيات علي المشاركة في مواجهة تليفزيونية مع السفير الإسرائيلي في "لندن" – من مكانين مختلفين، وأشهد أن "الشاذلي" اكتسح الإسرائيلي، وأصبح حديث المدينة وبعثاتها الدبلوماسية لعدة أيام بعد ذلك.

وهو أيضًا العسكري المصري الصلب، الذي ألقى محاضرة شهيرة في مجلس العموم البريطاني حول إعادة فتح "قناة السويس" في العام ١٩٧٥م، وترك أثرًا كبيرًا لدى مشاهديه ومستمعيه على السواء.

وهو أيضًا الفريق "سعد الدين الشاذلي" الذي ناداني ذات يوم في عطلة الأسبوع، وطلب مني الإبراق للقاهرة – بحكم مسؤوليتي عن قسم الشفرة بالبعثة – مستأذنًا في السماح له باللجوء إلى القضاء ضد وكالة "رويترز للأنباء"، التي وقعت في خطأ كبير عندما نقلت عنها

الـ"بي بي سي" أمرًا يمس السيدة الفاضلة قرينته "زينات هانم متولي" شقيقة الفريق "سعد الدين متولي" كبير الياوران في عهد الرئيس الراحل "عبد الناصر"، وبرغم أن الوكالة حاولت الاعتذار؛ فإنها عندما علمت بلجوء السفير إلى القضاء قررت دفع مبلغ مالي كبير على سبيل التعويض، وقد استخدمه ذلك السفير العظيم- حينذاك- في دعم نفقات الطلاب العرب غير القادرين، وتوجيه الباقي منه إلى الجمعيات الخيرية داخل "مصر".

ذلك هو "سعد الدين الشاذلي" كما رأيته فارسًا نبيلًا نظيف اليد شديد الدقة والتنظيم، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويعطيها الاهتمام ذاته، وعندما تدهورت علاقته بشكل علني مع الرئيس "السادات"، الذي نقله من العاصمة البريطانية إلى العاصمة البرتغالية؛ حيث أمضى فيها فترة قصيرة ثم استقال بعد زيارة الرئيس الراحل للقدس، ودخل في جبهة الرفض وأصبح عنصرًا إعلاميًّا من العيار الثقيل ضد سياسات الرئيس الراحل.

وحين قضت المحكمة العسكرية المصرية بسجنه لإفشائه معلومات عسكرية في معرض دفاعه عن نفسه حول موضوع الثغرة؛ فإنه عاش آخر سنوات المنفى في الجزائر، وحين استأذنت السيدة الفاضلة قرينته في العودة إلى "مصر" لزيارة بناتها؛ أمرني الرئيس "مبارك"، بنقل توجيهاته بأن تلقى من الرعاية والاحترام ما يليق بزوجة قائد عسكري كبير، ثم رجعت إلى زوجها في منفاه حتى عادا معًا إلى "مصر"؛ حيث قضى فترة قصيرة في محبسه العسكري؛ لأنه رفض أن يكتب اعتذارًا للقوات المسلحة عمّا فعله من خطأ وفقًا للقانون العسكري.

يبقى أن أقول إن الرجل رفيع الثقافة شديد الاعتزاز بالنفس، ويعتبر هو الذي أسس سلاح المظلات في القوات المسلحة المصرية، وهو في النهاية -بما له وما عليه- ابن مرموق للعسكرية المصرية التي قدمت للوطن القادة العظام والمسئولين الكبار؛ بل أسهمت في تحرير الوطن والمواطن على مر العصور.

شهادة المهندس "يحيى حسين عبد الهادي"
رئيس مركز إعداد القادة ومنسق حركة "لا لبيع مصر"
"أُلقيت في احتفالية نقابة الصحافيين بالفريق "سعد الشاذلي" 30 مارس 2011"
قصة بطل

"مصر".. دهرٌ كاملٌ وتاريخٌ أزلي من المعارك المقدسة.. وكل معارك الوطن مقدسة.. ليس أولها معارك أحمس.. وليس آخرها معركة 25 يناير.

كل معارك الوطن مقدسة.. وأبطالها لهم القدسية نفسها.. فهم الذين حفظوا لهذا البلد ديمومته.. وكرامته.. وشرفه.. يستوي في ذلك من نعلمهم ومن لا نعلمهم.. منهم من قضى نحبه.. ومنهم من ينتظر.. ولكنهم جميعًا لم يبدلوا تبديلًا.. ولم يخلطوا أبدًا بين الوطن والشركة.

إن بطلًا واحدًا لمعركة واحدة من معارك "مصر"؛ يستحق منا أن نضعه فوق رؤوسنا إكليل غار.. وفوق صدورنا وساماً للفخر.. فما بالنا وبطلنا الأسطوري الذي نحتفل به الليلة لم يكن بطلًا لمعركة واحدة.. وإنما كانت حياته سلسلةً كاملةً من معارك الوطن.. انتصر فيها جميعًا بنا ولنا.. إنه حبيب "مصر" وبطلها المغوار، وابنها المظلوم، والرأس المدبر والقائد الميداني لنصر أكتوبر العظيم.. الفريق "سعد الدين الشاذلي".

في ميادين القتال؛ انتصر الشاذلي في جميع معاركه.. حتى في 1967م؛ كان أداؤه طاقة نورٍ وسط الظلام الحالك، وبعد أن أبعد عن ميادين القتال، وتعرض للظلم والجحود والخسة على مدى عشرات السنين؛ انتصر بصموده على ظالميه وظالمينا.. ولم يخذل حُسن ظننا به.. فلم يحْنِ هامتَه إلا لخالقه.. وكان كعهدنا به جبلًا شامخًا صبورًا عزيزًا أبيًّا.. وتحمّل بروحه العذبة.. وابتسامته التي تختصر روح "مصر" الضاربة في عمق الزمان، تحمّل سفالات ورذالات الصغار وخستهم.. إلى أن صعدت روحه إلى بارئها في توقيتٍ مدهش.. فبينما جثمانه الطاهر يُشيّع مصحوبًا بدعاء الملايين لله عز وجّل.. أن يغسل عنه برحمته وفضله كل ما لحق به من ظلم.. كان ظالمه وظالمنا يُشيّع بدعاء نفس الملايين أن يقتص الله منه.

حبيبَ "مصر" وقرةَ عينها وبطلَها الكبير.. سيادة الفريق "سعد الدين الشاذلي".

نحن هنا الليلة لا نرد الاعتبار لك بقدر ما نرد الاعتبار لأنفسنا..

ونحن هنا اليوم.. لا نكرمك.. بقدر ما نكرم فيك وبك أجيالًا من أبطال "مصر"، الذين نعلمهم والذين لا نعلمهم.

ونحن هنا اليوم.. لا نكرمك بقدر ما نكرم أنفسنا بك ونُذكّر أنفسنا بأننا ننتمي لبلد رائع.. فالبلد الذي أنجب "سعد الدين الشاذلي" و"محمد عبيد" و"محمد كريّم" و"أحمس" و"جواد حسني" و"مار مينا" و"إبراهيم الرفاعي" و"كريم بنونة".. وغيرَهم ممن نعلمهم من النجوم التي ترّصع تاريخنا.. وأنجب أضعافهم من الأبطال الذين لا نعلمهم ولكن الله يعلمهم..

وطنٌ أنجب كل هؤلاء.. هو وطنٌ جميلٌ حقًّا.. أجمل كثيرًا من الأتربة القبيحة التي علَت وجهه في غفلةٍ من الزمن.

حبيب "مصر" وقرة عينها وبطلها الكبير سيادة الفريق "سعد الدين الشاذلي"..

نحن هنا لا نكرمك.. بقدر ما نأخذ منك اليقين بأن وطنًا أنجب مثلك.. لم يكن يستحق ما عاناه.. وكان لا بد أن ينتفض من كبوته العارضة.. وقد انتفض.

يا حبيب "مصر".. نحن لا نكرمك؛ وإنما نتذكر بك أن الوطن الذي أنجبك و لم يتوقف عن إنجاب الأبطال.. هو وطنٌ كبيرٌ كبيرٌ كبير.. أكبر من أن يسطو عليه الصغار والإمعات والتافهون.. الذين أُبتلينا وابتُليتَ بهم.

سيادة الفريق "سعد الدين الشاذلي".. نحن مدينون لك بالبهجة.. والأمل.. والافتخار.. فشكرًا لك ولتهنأ روحك في سلام بعد رحلة العمر القاسية.. في مكانها الطبيعي مع النبيين والصديقين والشهداء.. وحسُن أولئك رفيقًا.

شهادة الأستاذ جمال الغيطاني

الكاتب والأديب

"نُشرت في جريدة الأخبار 12 فبراير 2011م"

وداعًا سيادة الفريق الشاذلي

خروجان في يوم واحد لاثنين تزاملا في زمن الحرب، وأدّى كل منهما دورًا مشرفًا غير أن النهاية اختلفت..

هذا ما فكرت فيه عندما قرأت صباح الجمعة التاريخي بحق خبرًا ينعي الفريق "سعد الشاذلي"، رئيس أركان حرب القوات المسلحة في حرب أكتوبر؛ أي إنه القائد الفعلي للحرب، نشر الخبر منزويًا، باستثناء "الأخبار" التي أبرزت الخبر بشكلٍ يليق بالرجل وتاريخه العسكري المشرف.

خروج الفريق "الشاذلي" في جنازة مهيبة بعد صلاة الجمعة محمولًا على عربة مدفع، في اليوم نفسه الذي خرج فيه الرئيس محمد حسني مبارك قائد الطيران في حرب أكتوبر الذي أدّى

دورًا يجب أن نذكره له، فذلك المشهد النهائي، ذلك الخروج المهين مهما حاول البعض تجميله بعد ثلاثين عامًا من الحكم؛ ما يستدعي التأمل واستلهام العبر، أستعيد الآن علاقتي الشخصية بالفريق "سعد الشاذلي"، وسأحاول أن أقول ما له، وما عليه:

عندما عملت محررًا عسكريًّا لجريدة الأخبار في العام تسعة وستين، كنت أعرف اسمه، كان من القادة القلائل الذين ترددت أسماؤهم خارج دائرة الجيش، بدأ ذلك في الستينيات عندما قاد قوة المظلات المصرية التي شاركت في قوات الأمم المتحدة، وكان حضور القوة مشرفًا، وفي أعقاب هزيمة يونيو؛ سرت شائعة قوية بين الناس عن وجود قوة مصرية محاصرة في عمق سيناء يقودها العقيد "سعد الشاذلي"، ولا أدري؛ هل كان مصدر الشائعة عبقرية الشعب المصري الذي يعرف مثل هذه الشائعات عندما يمر بظروف عصيبة، وقد عرفنا مثل ذلك في الأيام الحوالك وعند الشدائد، مثل ظهور العذراء بعد يونيو، وتفجر عيون الماء خلال حصار السويس، فيما بعد علمت من الفريق الشاذلي أنه كان يقود لواء مظلات تمركز في "شرم الشيخ" عند انتشار الجيش في سيناء، وأنه عاد مع جنوده من سيناء سيرًا على الأقدام في قيظ يونيو، استطاع العودة باللواء سالمًا وهذا في حد ذاته إنجاز كبير.

تعرفت عليه شخصيًّا عندما زرت منطقة البحر الأحمر في بداية العام سبعين، وكان قد صدر قرار بتعيينه قائدًا عسكريًّا لجبهة البحر الأحمر، التي تمتد لمسافة أكثر من ألفين ومئتي كيلو متر، جاء تعيينه بعد سلسلة حوادث تم خلالها إغارة العدو الإسرائيلي على مواقع حراسة، وكان أخطرها النزول في الزعفرانة والاستيلاء علي جهاز رادار حديث، يمكن القول إن اللواء "سعد الشاذلي" وقتئذٍ.. قطع رجل العدو من منطقة البحر الأحمر كلها، كانت فلسفة الدفاع تقوم على انتشار نقاط عبر هذه المسافة مترامية الأطراف، التي لا يمكن للجيش السوفيتي أو الأمريكي أن يحميها، كانت النقاط تتكون من جنود المشاة وجنود حرس الحدود، نقاط كثيرة بجنود أعدادهم قليلة، وكانت "إسرائيل" تحشد قواتها بكثافة وتهاجم نقطة محدودة بأعداد كبيرة، بدّل "سعد الشاذلي" خطة الدفاع، بدلًا من تمركز القوات في نقاط كثيرة بأعداد قليلة، وركّز القوات في نقاط رئيسة بأعداد كثيرة؛ أذكر أنه أشار إلى خريطة كبيرة وقال لي: لينزل العدو في المساحات الفارغة، لكنه عند نقطة معينة سيصطدم بحجم من القوات قادر علي التعامل معه، أمضيت أسبوعًا في المنطقة مع زميلي "مكرم جاد الكريم"، وخلاله اقتربت كثيرًا من شخصه الديناميكي، الذكي، واستمرت الصلة إلى أن رحل عن الدنيا، بعد انقلاب مايو في العام واحد وسبعين، الذي قاده "السادات" اختار "سعد الشاذلي" رئيسًا للأركان، وبدأ الفريق "سعد الشاذلي" إعداد القوات المسلحة لحرب أكتوبر، لمعركة العبور.

إنه القائد الحقيقي لمعركة أكتوبر، وأذكر له تلك المهارة الشديدة في معالجة التفاصيل، وتلك الكراسات الإرشادية الصغيرة التي طُبعت في حجم الإمساكية وبها جميع تفاصيل الحرب، وأذكر أنني كنت أحتفظ بواحدة منها تشرح للمقاتل كيفية التصرف عند وقوعه في الأسر، كان الشاذلي ضابطًا غير تقليدي، سريع الحركة، على لياقة عالية، ظل يقفز حتى تجاوز الخمسين، وله ابنة كانت أول قافزة بالمظلات في "مصر"، وهاجرت إلى الولايات المتحدة، كان عسكريًّا حتى النخاع، ومما أذكره أنه قال لي: أنا معظم خدمتي كانت في التشكيلات المقاتلة، ولذلك خبرتي بالحياة المدنية محدودة، لو أردت أن أشتري قميصًا فلن أعرف.

كان قارئًا ممتازًا، ولكم أعرته بعضًا من كتبي، وكانت أول صفحة يفتح عليها، فهرس الكتاب، كان مثقفًا كبيرًا بامتياز، وشجاعًا، في صباح الأحد السابع من أكتوبر؛ قابلته صدفة في الخطوط الأمامية، كان في عربة قيادة ميدانية مع حرسه الخاص، وكان متجهًا إلى مقر قيادة الفرقة الثانية التي يقودها العميد "حسن أبو سعدة"، ولهما صورة شهيرة يفحصان فيها خريطة ميدانية، رئيس أركان القوات المسلحة يقود العمليات في الخطوط الأمامية، أذكر أنه حدثني عن معوقات العبور، والتدريبات التي تم التخطيط لها، كان يتوقف عند أدق التفاصيل ومنها علي سبيل المثال، طاقة الجندي علي حمل وزن معين وإمكانية سيره به، وتفاصيل وجبة الطعام، التفاصيل في أهمية الأمور الاستراتيجية نفسها.

بدءًا من يوم 16 أكتوبر؛ بدء الثغرة وعبور القوات المسلحة إلى الغرب؛ بدأ خلاف بين الشاذلي والسادات، كان رأي رئيس الأركان سحب القوات التي عبرت إلى الشرق واشتراكها في تدمير قوات الثغرة المعادية، وكان رأي "السادات" ضرورة تمسك هذه القوات بالمواقع التي حددتها، ورغم وجهة نظري في قيادة الرئيس "السادات" للحرب، التي تتلخص في محدودية هدفه بالقياس إلى حجم وقدرات القوات المسلحة التي كان من الممكن أن تصل على الأقل إلى المضايق الحاكمة لسيناء؛ إلا أنني أرى صحة موقفه من خلافه مع الشاذلي، اعتبارًا من التاسع عشر من أكتوبر؛ قرر "السادات" تعيين رئيس العمليات اللواء "محمد عبد الغني الجمسي"، وتجميد "سعد الشاذلي"، لم ينشر شيء عن ذلك، لكن الحديث عن رئيس الأركان توقف رغم تزايد شعبيته في الشارعين المصري والعربي.

وعندما زرت الجبهة السورية وبيروت عقب الحرب؛ كان الضباط السوريون يحملونني تحياتهم ومحبتهم إلى الشاذلي، وفي بيروت؛ كانت صورته قد طُبعت في لوحات ضخمة، وجهه الوسيم وغطاء الرأس القرمزي التقليدي للمظلات، وكانت الواحدة تباع بثلاث ليرات، كان يتحول إلى بطل، وأعتقد أن هذا أحد الأسباب التي أدت إلى تكثيف الحملة ضده، بالإضافة إلى

الخلاف في إدارة العمليات، كان "السادات" يخطب ويقول "وجاني سعد الشاذلي" منهار.." ومن يعرف الشاذلي جيدًا يوقن أن صفة الانهيار أبعد ما تكون عنه، يمكن أن يخطئ، لكن الانهيار أبعد الأمور عنه.

وعندما تم تكريم قادة أكتوبر في مجلس الشعب؛ تم تجاهل الفريق "سعد الشاذلي"، وبدا لي الأمر غريبًا، وتذكرت بعد المارشال "جوكوف" قاهر النازية وفاتح برلين، الذي أطاح به ستالين بعد الحرب، لم يكتف الرئيس "السادات" بالحملة النفسية التي استهدفت تشويه الفريق الشاذلي؛ إنما أقصاه عن القوات المسلحة التي كانت عالمه الحقيقي، وأرسله سفيرًا إلى "لندن"، وإزاء حملة الافتراءات علي دوره؛ اضطر إلى الرد مرة أو مرتين، ولعلها أصعب أيام حياته، قرر "السادات" نقله إلى دولة البرتغال الأقل أهمية، وهناك وقع الشاذلي في الخطأ الذي أحسبه عليه، إذ قبل جواز سفر أجنبي جزائري وانتقل إلى صفوف المعارضة المصرية بالخارج، أذكر أنني قابلته بعد خروجه من السجن إثر عودته في فرح لابنة صديق عزيز، وكان ذلك بفندق شبرد، كان لقاءً حارًّا، يومها تبادلنا الذكريات، وقلت له بصراحة إنني كنت أفضل إعلانه موقفه وعودته إلى القاهرة مستقيلًا من جميع مناصبه.

تطلع إليّ صامتًا ولم يجب، استمر تجاهله، وانسحب الرجل إلى دائرة الظل، في الوقت الذي كانت الأضواء تسلط كلها على الضربة الجوية وقائدها، كأنها العمل الوحيد في الحرب، حتى إن كثرة حديث المنافقين، كادت تغطي على أعظم إنجاز في حياة مبارك العسكرية، وهو قيادته القوات الجوية، وبناء البشر الذين أصبحوا طيارين أكفاء، للأسف، لم يسجل التليفزيون المصري أي حوار معه، شهادته تم تسجيلها في قناة الجزيرة، وظل الرجل وحيدًا، في كل عام أتصل به في ذكرى أكتوبر مهنئًا، وفي أكتوبر الماضي كان صوته أوهن ما سمعته، ويشاء القدر أن يلقى ربه في يوم كان الشعب العظيم والجيش المصري العظيم الذي خدم في صفوفه يقتربان من النصر، ويخرج من الدنيا ليلاقي ربه مشيعًا في جنازة عسكرية مهيبة، دلالتها أن القوات المسلحة تجل أبناءها وتذكر لهم ما قدموه من أجل الوطن، أما الخروج الآخر للرئيس مبارك بكل دلالاته المأساوية فيحتاج إلى تفصيل آخر.

شهادة الأستاذ عادل صبري
رئيس تحرير البوابة الإلكترونية للوفد
"نشرت في جريدة الوفد 2 أبريل 2011م"
ساعة مع الفريق "سعد الشاذلي"

ساعة قضيتها مع الفريق "سعد الدين الشاذلي"، حولتني إلى متهم في أول وآخر جريمة عسكرية ارتكبتها بمحض الصدفة، و لم أدر ما هي التهمة حتى الآن؟

عقب خروج الفريق "سعد الدين الشاذلي" من سجنه منتصف التسعينيات، حاولت الاتصال به عدة مرات لإجراء حوار معه لمعرفة الظروف التي يمر بها، بعد قضاء فترة العقوبة التي امتدت 3 سنوات؛ لم أكن مصدقًا أن الرجل الذي خطط لحرب أكتوبر المجيدة وقاد القوات المصرية في معركة الكرامة، يمكن أن تمتد إليه أيدي السجان لتضعه في زنزانة مثل أي متهم أو مجرم، تخيلت أن هناك ما يخفيه، حول حياته في السجن، بعد أن رفض مرارًا الطلب، بعد 3 سنوات من "المحايلة" عرفت الطريق السحري إلى قلبه، حيث أخبرت الدكتور "محمد علي شتا" نائب رئيس حزب الوفد السابق، وكان بمثابة الأب والراعي لشخصي بهذه الرغبة، أخبرته بأهمية مقابلة هذه الشخصية العظيمة، التي قرأت عنها واستمعت لصوتها عبر الإذاعات و لم أره مرة في حياتي؛ فإن لم نفز بحوار صحافي؛ فليترك لي فرصة تقبيل يده التي صنعت أمجاد نصر أكتوبر.

اهتزت مشاعر والدي الدكتور "محمد علي شتا" عندما قلت هذه الكلمة، لعلمه بصدق قولي ومشاعري، وأخبرني أنه سينقل تلك الرغبة لسيادة الفريق الشاذلي، عندما يلتقيان معًا في بلدتهما "بسيون" في أقرب فرصة؛ خصوصًا أن بينهما من المودة والمصاهرة وذكريات الشباب ما يجعله قادرًا علي تحقيق مطلبي العظيم، بعد أيام عاد الدكتور شتا حاملًا البشرى، مطالبًا بأن أحضر تسجيلًا وتكليف الزميل "مجدي حنا" رئيس قسم التصوير بالوفد، لإجراء الحوار مع الفريق "سعد الدين الشاذلي" في منزل كريمته بشارع بيروت بـ"مصر الجديدة".

في الموعد المحدد مبكرًا؛ اصطحبني الدكتور محمد شتا إلى مقر إقامة الفريق الشاذلي، وقبل أن نطرق الباب وجدت الرجل الذي انتظرت لقاءه بفارغ الصبر أمامنا بشخصه ولحمه، في تواضع جمّ أدخلنا إلى غرفة الاستقبال التي كانت في مقدمتها مجسم خشبي رائع للكرة الأرضية، وهو المجسم الذي يعشقه علماء الاستراتيجية والقادة العظام، أحببت أن أتعرف من

القائد الجليل على تجربته في السجن، وكنت أتمنى ألا يكون قضى منها شيئًا، وأن ما يُنشر عن سجنه نوع من التضليل للرأي العام؛ فإذا به يؤكد أنه سجن ثلثي المدة التي قررت عليه بنحو 3 سنوات.

حكى الرجل كيف تقبل أمر سجنه بصدر رحب؛ لأنه جاء إلى "مصر" بعد سنوات طويلة من الغربة في الخارج، وهو يعلم أن السجن سيكون مقره الأول في البلاد، بعد أن صدرت ضده أحكام عسكرية غيابية لرفضه قرار الرئيس الراحل أنور السادات بمصالحة العدو الإسرائيلي، وهو الأمر الذي دعاه إلى الإعلان عن ثورة لقلب نظام الحكم.. من الجزائر ولندن، لم يتوقف الفريق الشاذلي عند تجربته في السجن كثيرًا؛ فكان شغوفًا بأن ينقل لنا في الحوار أسباب رفضه قرار انسحاب القوات المصرية من شرق القنال، وهي النقطة الأولى التي فجرت الخلاف بينه وبين الرئيس السادات، التي شهدت عملية الثغرة ووجود نوايا لدى السادات بالحل السياسي للقضية، بينما هو كونه رجلًا عسكريًّا كان يريد حسم الصراع مع "إسرائيل" بالطريقة العسكرية التي تعلمها ويتفوق في تنفيذها.

امتد الحوار ساعة أو يزيد قليلًا، ظفرت بالعديد من الأسرار التي تحفّظ على نشر بعضها، والمتعلقة بعلاقته مع الرئيس حسني مبارك، هنا تولد لديّ إصرار على معرفة لماذا حرص مبارك على حبس الفريق "سعد الدين الشاذلي"، وكان بمقدوره أن يصدر عفوًا رئاسيًّا عن رجل كان قائده في المعركة، ومن المفترض أن يكون بينهما من المودة والقربى الكثير؛ خصوصًا أن الشخص المتخاصم معه ذهب إلى ذمة الله منذ سنوات طويلة.

أخطرني الفريق الشاذلي في حواره الذي أحتفظ بسجله حتى الآن: مبارك لا يحبني!! وكان ينطق مبارك بفتح الميم وتشديد الراء كأهل بسيون بمحافظة الغربية بطريقة غريبة على الأذن، واستطرد قائلًا: لقد استخدمه الرئيس "السادات" عندما نشب الخلاف بيننا في حرب أكتوبر عقب وقف إطلاق النار واستقباله وزير الخارجية الأمريكي "هنري كسينجر" وسيطًا لتهدئة الأمور بيننا، وذلك في أثناء قيادته للقوات الجوية، وحينما جاء إلى لنقل وجه نظر "السادات"؛ قلت له: لماذا يطلب منك "السادات" التدخل في أمر بين الرئيس ورئيس الأركان، لقد كان أولى به أن يرسل وزير الحربية أو يطلب مني الجلوس معه مباشرة لمناقشة هذه الأمور؛ لأنها تخص الدولة ولا تتعلق بخلافات شخصية؛ فشعر مبارك يومها بالإهانة، في أمر اعتبرته طبيعيًّا، ومن يومها أصبح يكنّ لي حقدًا شخصيًّا، وأصبح أكثر قربًا للسادات، بما يجعل المرء يدرك لماذا جعله بعد ذلك نائبًا لرئيس الجمهورية؟!

أدركت في هذه اللحظة أن الفريق "سعد الدين الشاذلي" كان مستهدفًا من الرئيس مبارك، لذلك لم يتورع في أن يزج به في السجن في أمر تافه، و لم يعفُ عنه رغم قدرته على هذا الأمر، لكن الذي لم أدركه في حينه؛ أن الفريق الراحل كان مطلوباً أن يظل سجينًا داخل الزنزانة وخارجها، فقد تحولت بعد نشر الحديث على صفحتين في جريدة "وفد الدلتا" التي يرأس مجلس إدارتها الدكتور "علي شتا"، وكنت مشرفًا على تحريرها وفي جريدة "الوفد اليومية"، إلى مطلوب للعدالة ومعي الوالد "محمد علي"، الذي تجاوز في حينها السابعة والسبعين عامًا، ورئيس تحرير الوفد الأستاذ "عباس الطرابيلي". تلقينا نحن الثلاثة طلبًا بالاستدعاء للنيابة العسكرية بتهمة إفشاء معلومات عسكرية، وكانت المرة الأولى التي نقف فيها نحن الثلاثة أمام القضاء في تهمة عسكرية، تجعلنا في مرتبة الجواسيس ومن يهددون الأمن القومي الذي نحميه بأنفسنا وأموالنا وعيالنا.

في النيابة العسكرية طرحنا ما لدينا من مستندات تبين أن ما ذكره الفريق "سعد الدين الشاذلي" من معلومات لا يخرج عمّا نشرته جميع الكتب والدوريات والمقالات، وسلم الأستاذ حسين حلمي المستشار القانوني للجريدة النيابة ما جمعناه من كتب ومعلومات تفند التهمة، خرجنا من النيابة العسكرية ونحن مشدوهون؛ لأن الضابط المكلف بالتحقيق لم يكن على قناعة بتوجيه التهمة إلينا، وعلمنا من بعض من حوله أن المطلوب لم يكن شد أذننا وعدم معاودة نشر حوارات مع شخصيات عسكرية بدون موافقة الأمن الحربي؛ بل عدم السماح لأجهزة الإعلام بإجراء أية حوارات مع الفريق "سعد الدين الشاذلي" تحديدًا.

عرفنا ساعتها أن توقيت نشر الحوار كان الأسوأ من نوعه بدون أن ندري؛ فالرئيس مبارك كان يعد تنظيمًا خاصًا للاحتفال بمرور 25 سنة على انتصار أكتوبر، وكان يريد الظهور على أنه البطل الوحيد على الساحة، وفي هذا التوقيت كان يعد افتتاح بانوراما السادس من أكتوبر بمدينة نصر، التي زوّر فيها التاريخ بإزاحته صورة الفريق "سعد الدين الشاذلي" من الجانب الأيسر للقائد الأعلى للقوات المسلحة وهو الرئيس "السادات"؛ ليضع صورته مجسمة بجوار "السادات"، بالمخالفة للواقع وسجلات التاريخ.

وكان حوارنا الذي ساقته الأقدار بداية تعرف الإعلام على مكان وكلام الفريق الشاذلي، بما يعني تسليط الأضواء عليه، رغمًا عن مبارك، هكذا كان مبارك يتصرف مع قادته وقائد النصر العظيم، وهذه شهادة مسجلة للتاريخ، لعلنا نعيد بعض العرفان والحق لصاحبه، مع بعض الإحسان الذي قدمه المجلس العسكري بإعادة نجمة الشرف العسكري إليه الأسبوع الماضي، يحتاج الفريق الراحل إلى تكريم خاص، فقد عاش كريمًا ومات شهيدًا، وبين الحياتين سجينًا ومظلومًا.

شهادة الكاتب الصحافي محمد شمروخ

"نشرت في جريدة الأهرام 18 فبراير 2011م"

"سعد الشاذلي"

ليس من المناسب هنا أن نتطرق إلى الخلاف الذي أدى إلى عزل الفريق "سعد الدين الشاذلي"، بل الأجدى أن نذكّر الناس بمن هو هذا البطل الذي توارى إلى الظل منذ خروجه من الجيش بعد حرب أكتوبر، وهو في ذروة الانتصار.

لكن الظل الذي آوى إليه الشاذلي منذ ذلك اليوم 13 أكتوبر 73؛ لم يكن ثمة فرق بينه وبين الحروب، فقد أصر الشاذلي على إشعالها نارًا بعزيمة مقاتل عاش حياته كلها على خط النار، هذا المقاتل العنيد العتيد مارس حياة الجندية في سن مبكرة جدًّا؛ فلم يزد عمره على 17 عامًا؛ عندما التحق بالكلية الحربية في العام 1939م وتخرج بعدها؛ إذ كانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت، فكانت أول تجربة حربية حقيقة خاضها هي اشتباكه ضمن القوات المصرية بجانب القوات البريطانية مع القوات الألمانية الغازية.

ولكن عندما صدرت الأوامر بالانسحاب بسبب اكتساح القائد الألماني الشهير "روميل" الصحراء الغربية المصرية وتحطيم الجيش الثامن البريطاني، رفض الفتى الملازم أول "سعد الدين الشاذلي" ذو التسعة عشر عامًا أن ينسحب من أرض المعركة التي هرول منها الجنرالات، وكانت هذه أول بطولة لفتت إليه الأنظار.

وفي حرب تحرير فلسطين 1948م؛ كان الشاذلي ضمن كتيبة الحرس الملكي التي شاركت في الحرب؛ ليتجرع مرارة هزيمة تآمر حقير من القوى الدولية وبعض الخونة الداخليين؛ لإيقاع الهزيمة بجيش "مصر"، ومن ثم الجيوش العربية بعد أن اقتربوا من النصر، على الرغم من أن عتاد وعدة العرب كانا أقل بكثير من العصابات الصهيونية.

وعاد "الشاذلي" من فلسطين مثل بقية ضباط الجيش المصري، وهو على يقين أن عدوًّا آخر اسمه في "مصر" هو الذي هزمهم في فلسطين، ولذا لم يكن غريبًا على المصري الأصيل بن قرية "شبراتنا" بمركز "بسيون" أن يعود ليضع يده في يد "ضباط مصر الأحرار" في 1951م.

وبعد قيام الثورة ونجاحها؛ كان المقاتل العنيد مشغولًا ببدلته العسكرية، و لم يشأ أن يتدخل في أي صراعات سياسية، ففي الوقت الذي كان الصراع على أشده بين نجيب وناصر ومجلس

قيادة الثورة في حالة من الغليان، كان الفتى سعد ينشئ أول فرقة مظلات ويقود عملية تحديث لجيش "مصر" في هذا المجال.

وعندما كانت الثورة تجتاح العالم كله ضد القوى الاستعمارية؛ خصوصًا في إفريقيا؛ كان "الشاذلي" يمارس عشقه العسكري حتى النخاع هناك على رأس القوة العربية الموحدة المقاتلة تحت مظلة الأمم المتحدة في "الكونغو" ليدعم الجذور الإفريقية لـ"مصر".

وربما لم يعرف كثيرون أن "الشاذلي" هو القائد العسكري الوحيد الذي دخل بقوته أرض "إسرائيل" خلال حرب 1967م؛ حيث تحرك بقواته تجاه الشرق بينما كان الجيش ينفذ أمر الانسحاب إلى الغرب.

كان عليه أن ينفذ الأمر بالانسحاب في عرض أراضي سيناء كاملة بدون غطاء جوي، وناور وقاتل بشراسة حتى وصل إلى الضفة الغربية لقناة السويس محتفظًا بنسبة تسعين في المئة من قواته في عمل يشبه معجزات العصور القديمة.

و لم يهدأ الشاذلي في بدلته العسكرية أبدًا متنقلًا بين العواصم والمواقع القيادية في القوات المسلحة المصرية؛ حتى استقر به قدره يوم 16 مايو في العام 1971م، ويختاره "أنور السادات" ليكون رئيسًا لهيئة أركان الحرب في أحلك ظروف "مصر"، التي تحاول النهوض بعد هزيمة مريرة ومحاولات مستميتة لإعادة بناء القوات المسلحة لتحرير الأرض المغتصبة.

وظل "الشاذلي" في منصبه حتى الحرب في 6 أكتوبر، تلك الحرب التي انتظرها ملايين العرب، كان الشاذلي ثالث ثلاثة على قمة "مصر" للتخطيط لها وإدارتها؛ إذ كان موقعه رئيسًا لهيئة الأركان يلي رئيس الجمهورية ووزير الحربية، وكانت الخطة الخالدة التي وضع لمساتها الجوهرية في الهجوم "المآذن العليا"، التي لم يدفعه حماسه إلى تخطيها خلال ساعات الحرب العصيبة، و لم تأخذه نشوة النجاح و لم تنسه معرفته – كونه عسكريًا – قدراته وإمكاناته، واعترض على بعض القرارات بشأن الحرب مع "أنور السادات" والمشير "أحمد إسماعيل"، وبدون التفاصيل التي تدخلنا في أمور لا يحسمها إلا عسكريون محترفون، خرج الشاذلي من الحرب التي طالما خطط لها ونفذها ببراعة مع بقية زملائه الأبطال بعد ظهيرة 6 أكتوبر، ولكنه لم يستمتع بالنصر الذي شارك في صنعه، ليس بسبب إلا أن للسياسة قاعدة أخرى للعبة.

وقد حدث كل ما توقعه من تطور مضاد في الحرب وتسلل قوات إسرائيلية إلى غرب القناة

في "الدفرسوار"، ورُفِضَت خطته لتصفية الوجود الإسرائيلي، وأراد "السادات" تصفيتها سياسيًا كونه رئيس جمهورية يتحمل أمام التاريخ ما سوف يحدث، أما "الشاذلي"؛ فقد كان مثالًا للجندي القح الذي لا يعرف سوى المهام المفروضة عليه وهو يناور، ولكن في ميدان الحرب وليس في ميادين السياسة، وهو جدير بنصب الشراك للعدو لا الخصوم، أمّا وقد دخلت الأمور في السياسة؛ فالأولى به أن ينزع بدلته العسكرية ويخرج من المعركة وهي لم تنته بعد وهو الأمر الملتبس؛ إذ نجد ـ ربما لأول مرة في تاريخ الحروب ـ قائدًا منتصرًا ينسحب من الميدان.

ومناقشة الأمر الصادر يتصادم مع أبسط القواعد العسكرية، ويخل بأصول الجندية، ولذلك اكتفى بالانسحاب، فلا يجوز في المعركة فعل أي شيء يؤدي إلى الفرقة بين المحاربين.

وانتقل الشاذلي إلى الميدان الدبلوماسي سفيرًا في "لندن" منذ العام 1974م؛ ليمضي سنة، ثم ينتقل سفيرًا إلى البرتغال حتى العام 1978م.

وهناك كان وضعه السياسي يتيح له أن تكون له آراؤه المعارضة للتوجهات السياسية للرئيس "أنور السادات"، و لم يتحمل لطبيعته العسكرية؛ إذ ذاق وأذاق من "إسرائيل" الأمرّين.. أن يكون هناك سلام وتطبيع؛ فأعلن اعتراضه على "كامب ديفيد"، وانضم للمعسكر الرافض لسياسة الرئيس "السادات"، هنا دارت معارك أخرى؛ ولكن ليست تلك التي اعتادها كجندي، وأثبتت الأحداث أن العسكري الناجح ليس بالضرورة السياسي المثالي، فكان كل يوم يخسر أمام "السادات" الذي استطاع أن يفرض على الجميع اتباع السلام حتى سلّم بذلك خصوم "السادات" أنفسهم فيما بعد، وعاد "الشاذلي" إلى "مصر" بعد طول غربة في العام 1992م؛ ولكن ليجد نفسه محكومًا عليه بالسجن 3 سنوات، والحكم صادر من محكمة عسكرية، وغير قابل للسقوط بالتقادم، وكان الحكم يشكل وصمة عار لمن تشرّب أصول الجندية، وكان الفارس قد أرغمته سنوات الغربة أن يترجل؛ فقد كان في السبعين من العمر، و لم يعد الجسد المنهك يتحمل سوى الاستسلام لما كتبه القدر عليه، ليدخل السجن نزيلًا بتهمة إفشاء أسرار عسكرية، وعندما كتب كتابه عن الحرب وإن كان قد اعترف بخطأ الكتابة بدون إذن؛ إلا أنه رفض عار أن يكون أفشى سرًا عسكريًا، وكان ما رآه هو أنه تحدث عن خلافات سياسية لا عسكرية، لكن الحكم لا يعرف وجهات النظر، وكانت المدة التي يجب اتخاذ إجراءات وقف تنفيذ الحكم أمام محاكم الأمور المستعجلة ودائرتها الاستئنافية في مجمع محاكم عابدين بالقاهرة لا تكفي؛ خصوصًا أن الحكم صدر بعدم اختصاص القضاء المستعجل بقضية الفريق الذي يوغل في الشيخوخة وتوغل فيه.

وحمل الراحل "عبد الحليم رمضان" المحامي الشهير أوراق القضية وكل ما يريده أن يبرئ واحدًا من صناع النصر الكبار من تهمة لم يتح له الدفاع فيها عن نفسه، ولكن في السجن استسلم لمصيره في انتظار ما سوف تسفر عنه الأحداث، وربما أملًا من القائمين على السياسة من زملاء نصر أكتوبر القديم أن يعترفوا له بالجميل، لكن أمرًا من ذلك لم يحدث، ومضت رحلة القضية في روتينها القاتل الذي لن ينفع معه قصر المدة إلى 3 سنوات سجنًا.

وخرج الفريق سعد ينفض عن نفسه غبار سنين طويلة مرت عليه منذ مولده في فبراير 1922م؛ حتى خروجه من السجن.

وظل يداعب ذكريات الحرب والسياسة في المسامرات وصفحات الكتب والمجلات والجرائد.

وبين ظهور نادر واحتجاب غامض؛ ظل الشاذلي بعيدًا عن أي دوائر للضوء حتى مات قبل تمام التاسعة والثمانين من العمر، ولكن في يوم انشغلت عنه جميع دوائر الضوء ومجالات السمع.

وجاء خبر وفاته يبعث على ابتسامة ساخرة وسخريتها كانت مريرة؛ لأن القدر اختار له يوم الخميس العاشر من فبراير، الذي كانت ليلته هي الليلة الأخيرة التي بات فيها رفيق السلاح القديم الرئيس السابق حسني مبارك، وكانت آخر ليلة في حكم "مصر"؛ إذ أبت الليلة التالية أن تشهد الشاذلي حيًّا ومبارك رئيسًا في الوقت نفسه.

وتكتب في الليلتين نهاية مأساوية بين ضجيج أقلق ليل العالم لرحيل مبارك رئيسًا حيًّا، وصمت مميت لرحيل الشاذلي بطلًا ميتًا.. التقيا في صناعة نصر أكتوبر 1973م، وتفرقا على البعد في شتاء فبراير 2011م.

شهادة المستشار أحمد الشاذلي

نائب رئيس مجلس الدولة وابن عم الفريق "سعد الشاذلي"

"كتبت من خلال حوار بين المؤلف والمستشار أحمد الشاذلي مايو 2011م"

قدوتنا الحسنة

كان الفريق "سعد الشاذلي" قدوة لنا جميعًا أبناء عائلة الشاذلي في خلقه والتزامه واهتمامه بعمله ووطنيته، عندما كان رئيسًا للأركان كان متفرغًا تمامًا لعمله، ورغم ذلك؛ فإنه كان حريصًا دائمًا على السؤال عن الأهل والأقارب وأداء الواجب سواء في الأفراح أو الأحزان.

ورغم شدة تعلقه بالعائلة؛ فإنه لم يكن يقبل مجاملة أحد على حساب الواجب العام، وكان يرفض أي خدمات تبعد فردًا ما عن المشاركة في الدفاع عن الوطن، ومن مقولاته الشهيرة في ذلك "إن أبناء العائلات أحرص على الحرب من غيرهم؛ لأنهم يحاربون دفاعًا عن الوطن وعن ممتلكاتهم".

إن عائلة الشاذلي من العائلات التي أخرجت كثيرًا من النوابغ والمتعلمين، وفيها مستشارون ولواءات وسفراء وأطباء كبار وضباط بالجيش والشرطة، ومع ذلك؛ فإن من قيم العائلة عدم التعالي، وأنه لا فرق بين شخص وآخر بسبب المركز الأدبي أو المستوى المادي، وقد كان الفريق سعد أحد الملتزمين بذلك؛ بل إنه كان قدوة العائلة كلها في التواضع والأدب الجم وصلة الرحم.

في المناسبات؛ كنا نجتمع عند الفريق، وكنا نتعارف ونتقارب من خلاله؛ لأنه كان بمثابة الأب لنا جميعًا، لقد حرص الرجل بعد عودته من الجزائر وخروجه من السجن؛ على أن يقيم حفلات تعارف لأبناء العائلة، وكان يدعونا جميعًا في شهر رمضان لديه في البيت؛ حرصًا منه على تعريف الأجيال الجديدة بأقاربهم، وعندما كنا نلجأ إليه لحل مشكلة ما، أو للفصل في نزاع بين طرفين؛ كان مثالًا للعدل والحكمة والأخلاق الحميدة.

شهادة المهندس كريم أكرم حفيد الفريق "سعد الشاذلي"
"كتبت طبقًا لحوار بين المؤلف والشاهد في يونيو 2011م"
جدي ودروس الحياة

عرفت جدي جيدًا في الجزائر.. كنا نسافر له كل إجازة صيف؛ لنقضيها معه في منفاه الاختياري؛ لنتعلم منه ما لا يمكن تعلمه في المدارس، كان أبرز ما يميزه في نظري الانضباط، والاهتمام بالتفاصيل، والتخطيط الاستراتيجي، والاهتمام بالتدريب والتعلّم، وحب المعرفة وحفظ الأرقام، لقد أثر في سلوكياتنا وأدمغتنا وفكرنا بشكل عميق، وكانت شهور الإجازة الصيفية هي أفضل وأجمل فترات حياتنا؛ حتى إننا كنا ننتظرها عامًا وراء الآخر.

أتذكره كما أنه بيننا، عندما كان يعلمنا الشطرنج ويحرص على أن يجعلنا نفكر دائمًا في تحركات الخصم، كان يقول لنا إن علينا أن نستنتج تحركات الخصم ونضع سيناريو لكل حركة، وكان يعلمنا كيفية التعامل في مختلف المواقف والظروف، حتى إنني مثلًا لا أزال أحرص على الجلوس خلف سائق التاكسي لأنه من المبادئ الرئيسة التي تعلمناها منه.

أول ما تعلمته من جدي الانضباط، كان يستيقظ في الجزائر في السابعة صباحًا ويتناول إفطاره الذي كان حريصًا على ألا يتغير لسنوات طويلة، وكان مكونًا من طبق من "البليلة"، ثم يستمع إلى أخبار العالم، ثم يؤدي تمارين رياضية لفترة طويلة، ويجلس بعد ذلك في غرفة المكتب ليقرأ الصحف والدوريات والنشرات والكتب ويدوّن ملاحظاته حتى الثانية ظهرًا وقت الغداء، وبعد ذلك ينام ساعة على الأكثر، ثم نجلس معًا لنتحدث ونتعلم.

وأذكر أنه كان يقيم لنا جميعًا دورة أوليمبية خلال الشهر الأخير للإجازة الصيفية في العدو والسباحة والغوص والصيد، وقد أفادتني تلك الدورة كثيرًا، حتى إنني عندما عدت منها في أحد الأعوام فزت ببطولة الجمهورية في العدو السريع.

وكان أكثر ما يدهشني فيه حب الأرقام وحفظها وقدرة استخدامها بشكل لافت للنظر؛ حتى إنه سألني يومًا دعوت فيه أصدقائي إلى البيت عن عدد المياه الغازية التي أحضرتها لهم.. فاستغربت؛ ففوجئت به يخبرني أن كل فرد يستهلك 270 مللي جرامًا مياهًا غازية، وبحسبة معينة؛ فإنني أحتاج عددًا معينًا من الزجاجات، كانت دقته تدهشني وتجعلني أفكر كثيرًا قبل أي تحرك أو أي خطوة جديدة في حياتي.

لم أره حزينًا مثلما رأيته بعد سقوط بغداد، كان إيمانه بالعروبة شديدًا جدًّا لدرجة قبوله بعض تصرفات صدام حسين في سبيل تحقق الوحدة العربية، كنت أقول له إن صدام حسين ديكتاتور ومعتدٍ، وكان يوافقني؛ لكنه يرى أن تحقيق الوحدة الغربية يمكن أن يغفر لأي حاكم أمورًا عديدة.

أهم الدروس التي يستفاد منها في سيرة جدي أن الانفراد بالسلطة مدمر للحياة السياسية بشكل عام، وأنه لا يوجد شخص يفهم في كل شيء، لذا؛ فليس من المقبول أن يكون رئيس الجمهورية هو نفسه القائد الأعلى للقوات المسلحة، والقائد الأعلى للشرطة وللقضاء، وفي جميع دول العالم المتقدم؛ فإن الرئيس لا يتدخل في تفاصيل الحروب وإنما عليه التكليف بالأمر أو وقف الأمر، لكن الخطة مسؤولية العسكريين.

كذلك من الدروس المهمة؛ أنه لا يجوز الخلط بين مفهوم الدولة ونظام الحكم، ومعنى ذلك؛ أن من يعارض نظام الحكم لا يمكن مهما كان اتهامه بالخيانة وبالعمالة، وبغيرها من التهم التي لا توجه إلا في دول العالم الثالث.

ومنها أيضًا؛ أن الحكم على الأمور والتصرفات دائمًا ما يخضع للنتائج، وليس من الممكن تصويب رأي ما أو تخطئته ما لم تتم تجربة ذلك الرأي عمليًّا، والأمثلة عديدة، فلو لم تنجح ثورة 23 يوليو؛ لنظر التاريخ لمن نفذوها باعتبارهم خونة ومتمردين، ولو نجح الإسلاميون في السيطرة على الحكم في "مصر" بعد اغتيال "السادات"؛ لأصبح "السادات" خائنًا وطاغية وصار خالد الإسلامبولي فدائيًّا.

شهادة المحاسب طارق عبد الرحمن حفيد الفريق "سعد الشاذلي" "كتبت بتصرف من المؤلف طبقًا للقاءات عقدت مع الشاهد ـ مايو ويونيو 2011م"

مدرسة في التنظيم

علمنا جدي الفريق "سعد الشاذلي" كثيرًا من المبادئ الحياتية التي تحكم طريق النجاح.. كنا نسافر له كل عام خلال الإجازة الصيفية خلال فترة إقامته بالجزائر طوال الفترة من 1984 إلى 1991م، وكان يعلمنا كيف ننظم كل شيء في حياتنا، لقد جعل كل واحد من أحفاده مسئولًا عن شيء في المنزل خلال فترة إقامتنا؛ فكان ابن خالتي هشام مسئولًا عن حمام السباحة، وكان كريم مسئولًا عن ملعب التنس، وأنا عن شيء آخر، وكل شخص في الأسرة له مسؤولية، وقد علمنا أن مصروف كل واحد يحدد ويقدر طبقًا لما أنجزه من عمل.

وكان ـ رحمه الله ـ ينظم لنا مسابقات أوليمبياد متنوعة؛ حرصًا منه على ممارستنا الرياضة والاهتمام بلياقتنا البدنية، فضلًا عن مباريات الشطرنج التي ساعدتنا كثيرًا على التفكير بشكل استراتيجي.

ومما أذكره ونحن أطفال في الجزائر؛ أن جدي كان يحدد لكل فرد طلبين فقط؛ فمثلًا لا يجوز لي أن أشرب مياهًا غازية وبسكويت وعصيرًا وشيكولاتة، كان لي شيئان فقط، وكان يقول لنا في ذلك الحديث الشريف "اخشوشنوا؛ فإن النعمة لا تدوم".

والحقيقة.. أن جدي كان يعشق التنظيم في كل شيء، حتى على المستوى الاجتماعي، وكان عندما يدعونا لحفل أو نزهة؛ فإنه يقدم لنا أكوابًا بلاستيكية مرقمة ويكون لكل شخص رقم محدد حتى يعرف ماذا فعل كل شخص بالكوب البلاستيك بعد أن شرب فيه ما يريد من عصائر، وكان من يترك كوبه بعد ذلك بدون أن يلقيه في سلة المهملات يتعرض للتوبيخ والعقاب.

وكان جدي يشجعنا على القراءة، وأذكر كتابًا نصحني بقراءته عن الجنرال "جياب" قائد فيتنام خلال حربها مع أمريكا، الذي انتصر بناء على استراتيجية عسكرية تُحتذى؛ هي أن نتفرق عندما يتجمعون ـ الأعداء، ونتجمع عندما يتفرقون.

كانت الدروس الحياتية تتوالى علينا بدون أن نشعر، كأننا ندرس الحياة بطعم الحب، كان كل موقف يترجمه إلى درس عملي وعظة دائمة.

وأتصور أن جدي كان رجلًا ديمقراطيًّا بشكل كبير، وكان يبدي كثيرًا من الامتعاض من الأنظمة الديكتاتورية، وفي ظني أنه لم يكن يحب "عبد الناصر" كما هو شائع، لكنه لم يكن يتحدث عنه كثيرًا، بينما كانت جدتي تعبر عن وجهة نظرها السلبية في "عبد الناصر" بشكل صريح، وأتذكر أن جدي كثيرًا ما كان يحكي لنا مواقف للعقيد معمر القذافي تؤكد أنه مجنون، وأنه خطر على العرب.

وعندما نشبت حرب الخليج الثانية؛ وقف إلى جانب العراق؛ مساندة لأي مقاومة ضد أمريكا لا تأييدًا لصدام حسين.

كذلك؛ فإن بعض ما أشاعه البعض من توجهات جدية للاشتراكية غير صحيح؛ لأننا كنا نعايشه وهو يبشر بالاقتصاد الحر، ويستثمر بعض أمواله في البورصة، وكثيرًا ما كان يقول إنه لا إصلاح اقتصاديًّا في "مصر" بدون إصلاح سياسي.

لقد علمنا جدي كثيرًا من الدروس والمبادئ الحياتية التي ستظل معينًا لي في مواجهة عثرات الحياة، لكن؛ يظل أهم وأبقى درس تعلمته منه هو الانحياز للحق مهما كانت المخاطر، وعدم الانحناء لغير الله، رحمه الله لم يكن قائدًا عسكريًّا فذًا فقط، وإنما كان معلمًا لأصول الحياة.

مصادر ومراجع الكتاب

أولًا: محاورات المؤلف مع شهود حياة "سعد الشاذلي":

1. اجتماع مع السيدة "زينات السحيمي زوجة الفريق "سعد الشاذلي" ـ القاهرة مارس 2011م.

2. اجتماع مع السيدة "شهدان سعد الشاذلي" كريمة الفريق الراحل ـ القاهرة مارس 2011م.

3. اجتماعات متعددة مع المهندس "حمدي عبد العزيز" زوج كريمة الفريق "سعد الشاذلي" ـ مارس إلى يونيو 2011م.

4. اجتماع مع المحاسب "طارق عبد الرحمن" حفيد الفريق "سعد الشاذلي" ـ القاهرة – مايو إلى يونيو 2011م.

5. اجتماع مع المهندس "كريم أكرم" حفيد الفريق "سعد الشاذلي" ـ القاهرة – يونيو 2011م.

6. اجتماع مع الدكتور "محمد الجوادي" الكاتب والباحث السياسي ـ القاهرة – مارس 2011م.

7. اجتماع مع الأستاذ "عبيد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - الغربية - يونيو 2011م.

8. اجتماع مع الحاج "عماد العقاد" ابن خال الفريق "سعد الشاذلي" - الغربية - يونيو 2011م.

9. اجتماع مع المستشار "أحمد الشاذلي" نائب رئيس مجلس الدولة وابن عم الفريق "سعد الشاذلي" - القاهرة – مايو 2011م.

10. اتصال تليفوني بالعميد متقاعد "يحيى الشاذلي" ابن عم الفريق "سعد الشاذلي" - يونيو 2011م.

11. اتصال تليفوني باللواء "أشرف راشد" مدير السجن الحربي خلال فترة سجن الفريق الشاذلي – مايو 2011م.

ثانيًا: الكتب والمذكرات

1. أحمد بهاء الدين - محاوراتي مع "السادات" - دار الهلال 1987م.

2. أحمد بهاء الدين - وتحطمت الأسطورة عند الظهر - كتاب الهلال 1996م.

3. إسلام الشافعي - حرب الأيام الأربعة من داخل غرفة عمليات الجيش الإسرائيلي – 2006م.

4. أنيس منصور - عبد الناصر المفترى عليه والمفترى علينا - ط 2 - نهضة "مصر" – 2002م.

5. أنيس منصور - من أوراق "السادات" - دار المعارف - ط 4 - 2010م.

6. جمال حماد - المعارك الحربية على الجبهة المصرية 1973 - الزهراء للإعلام – 1992م.

7. د. جمال حمدان - 6 أكتوبر في الاستراتيجية العالمية - دار الهلال – 2000م.

8. حمدي لطفي - العسكرية المصرية فوق سيناء - كتاب الهلال – 1976م.

9. خالد محيي الدين - والآن أتكلم - طبعة ثانية - أخبار اليوم.

10. سامي جوهر - الصامتون يتكلمون - ط 7 - المكتب المصري الحديث – 1976م.

11. "سعد الشاذلي" - الخيار العسكري العربي - الجزائر 1984م.

12. "سعد الشاذلي" - الحرب الصليبية الثامنة - الجزء الأول - الجزائر 1991م.

13. "سعد الشاذلي" - الحرب الصليبية الثامنة - الجزء الثاني - الجزائر 1992م.

14. "سعد الشاذلي" – أربع سنوات في السلك الدبلوماسي - الجزائر 1983م.

15. "سعد الشاذلي" - مذكرات حرب أكتوبر - الجزائر – طبعة ثانية – 1981م.

16. سليمان الحكيم - تحية كاريوكا بين الرقص والسياسة - دار الخيال - 2000م.

17. سيد جاد - الحرس الحديدي - الدار المصرية اللبنانية - 1994م.

18. عبد الرحمن الرافعي - عصر محمد علي - هيئة الكتاب - ط 6 - 2001م.

19. عبد العزيز الدسوقي - أحمد حسين - منشورات حزب العمل "بدون تاريخ".

20. عبده مباشر - أسرار وحقائق الحروب المصرية الإسرائيلية - هيئة الكتاب – 2007م.

21. د. عصام الدين جلال - الشارع الوطني ج 1 - ميريت للنشر – 2008م.

22. كمال حسن علي - مشاوير العمر – الأهرام للنشر.

23. كمال حسن علي - محاربون ومفاوضون - مركز الأهرام - طبعة أولى – 1986م.

24. محمد أنور السادات - البحث عن الذات - المكتب المصري الحديث – 1980م.

25. د. "محمد الجوادي" - النصر الوحيد - الخيال للنشر 2000م.

26. د. "محمد الجوادي" - صانع النصر المشير أحمد إسماعيل - دار جهاد للنشر - ط 3 - 2005م.

27. محمد حسنين هيكل - الانفجار 1967 - طبعة أولى - الأهرام للنشر.

28. محمد حسنين هيكل - أكتوبر 73 السياسة والسلاح - ط 1 - الأهرام 1993م.

29. محمد حسنين هيكل - الجيوش والعروش - ط 4 - دار الشروق – 1999م.

30. محمد حسنين هيكل - خريف الغضب - الطبعة العربية – 1988م.

31. مصطفى أمين - الكتاب الممنوع - ج 1 - أخبار اليوم – 1990م.

32. موسى صبري - وثائق حرب أكتوبر - ط 4 - 1977م – أخبار اليوم.

33. وجيه أبو ذكري - 5 يونيو مذبحة الأبرياء - ط 4 - 1994م – المكتب المصري الحديث.

34. يوسف إدريس - البحث عن السادات - المنشأة العامة للنشر طرابلس - ليبيا - ط 2 - 1984م.

ثالثًا: برامج وحوارات تليفزيونية

1. برنامج شاهد على العصر - "سعد الشاذلي" "عدة حلقات" 1993 - تقديم: أحمد منصور

2. حلقة برنامج القاهرة اليوم 27 مارس 2011 - تقديم: عمرو أديب ومحمد مصطفى شردي.

رابعًا: صحف ورقية وإلكترونية

الأهرام - الأخبار - الاشتراكية – الأهالي - الأحرار - الشعب - الفجر الجزائرية - القدس العربي - الشرق الأوسط - الحياة اللندنية – المصري اليوم - الوفد - العالم اليوم - اليوم السابع - بي بي أليكس - البشائر - ويكيبيديا "أعداد متفرقة".

السيرة الذاتية للكاتب

كاتب وصحفي يعمل بجريدة الوفد منذ عام 1997 صدر له :

1- ثورة العشاق - شعر - الوكالة العربية للدعاية والنشر . طبعة أولى 2000 .

2- محمد الدرة يتكلم - شعر - الوكالة العربية للدعاية والنشر . طبعة أولى 2000

3- وردة واحدة وألف مشنقة - شعر - مركز الحضارة العربية - طبعة أولى 2005 .

4- التطبيع بالبزنيس - أسرار علاقة رجال الأعمال بإسرائيل - دراسة - ميريت للنشر . طبعة أولى 2009 .

5- بكاء على سلم المقصلة - شعر - مركز الحضارة العربية - طبعة أولى 2009 .

6- مليارديرات حول الرئيس . خبايا زواج السياسة بالبزنيس فى مصر - دراسة - كنوز للنشر - طبعة أولى فبراير 2011، ط2 - أبريل 2011 ، ط3 - يوليو 2011 .

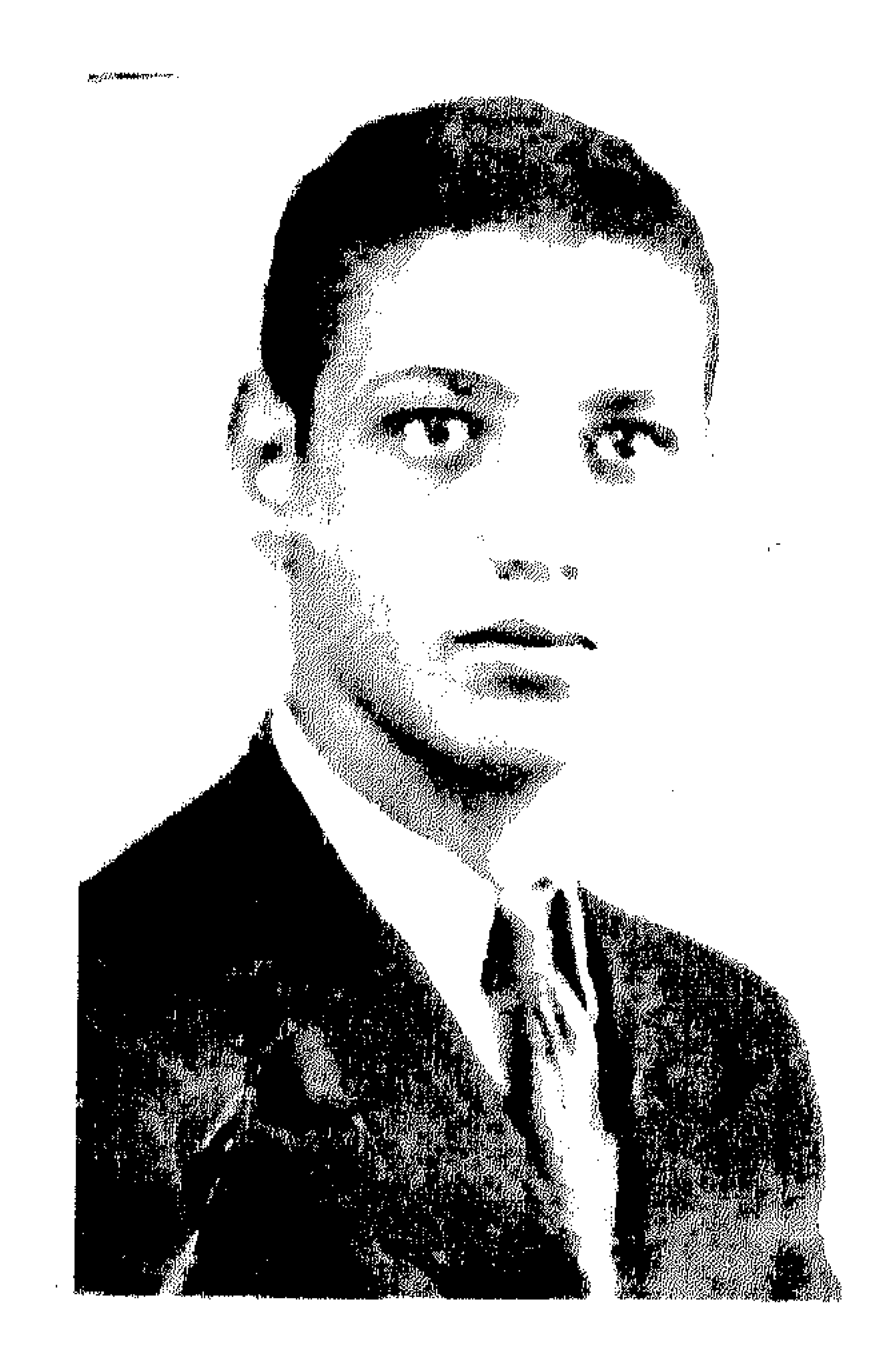
7 - موسم سقوط الطغاة العرب - دراسة - كنوز للنشر - طبعة أولى - يونيو 2011، طبعة ثانية سبتمبر 2011.

للتواصل مع الكاتب

E-mail: mostafawfd@hotmail.com

facebook.com/mostafa.ebeid

ملحق الصور



سعد الشاذلى طالبا فى المدرسة الثانوية



الشاذلى فور تخرجه من الكلية الحربية



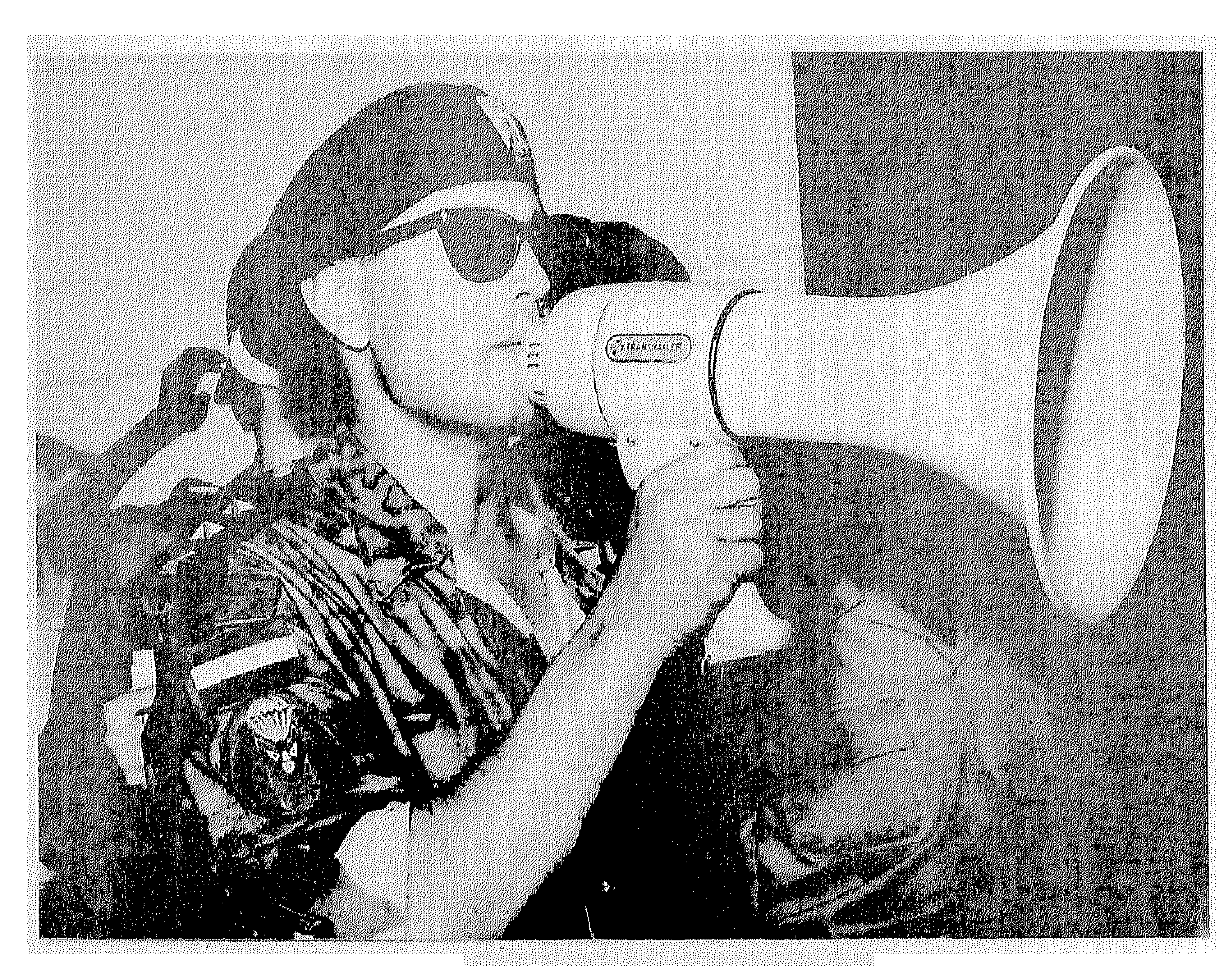
صورة زفاف سعد الشاذلى والسيدة زينات السحيمى 1943



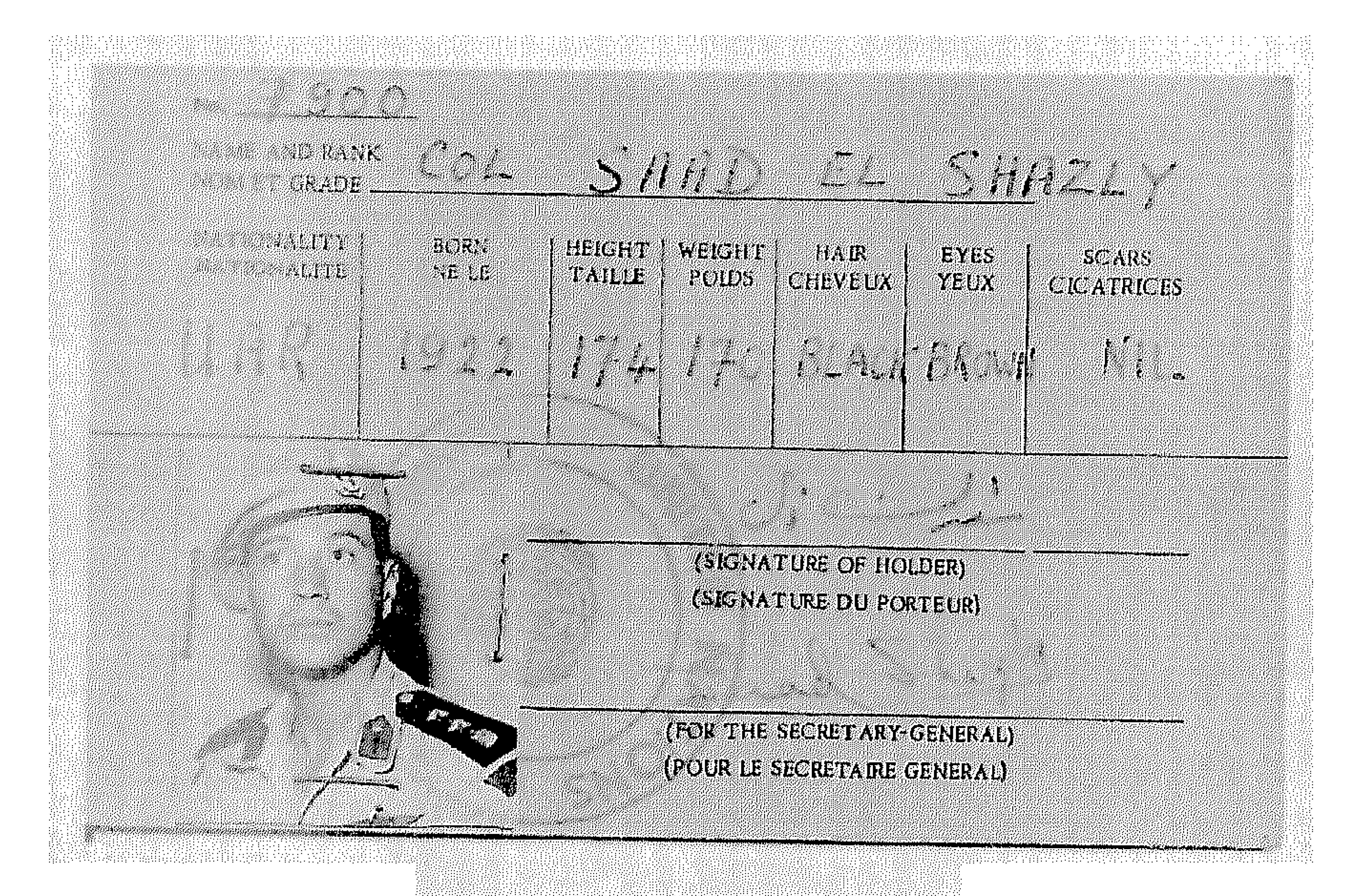
الشاذلى فى دورة تدريبية بامريكا 53



الشاذلى فى الصاعقة المصرية



الشاذلى فى الكونغو


No 1900

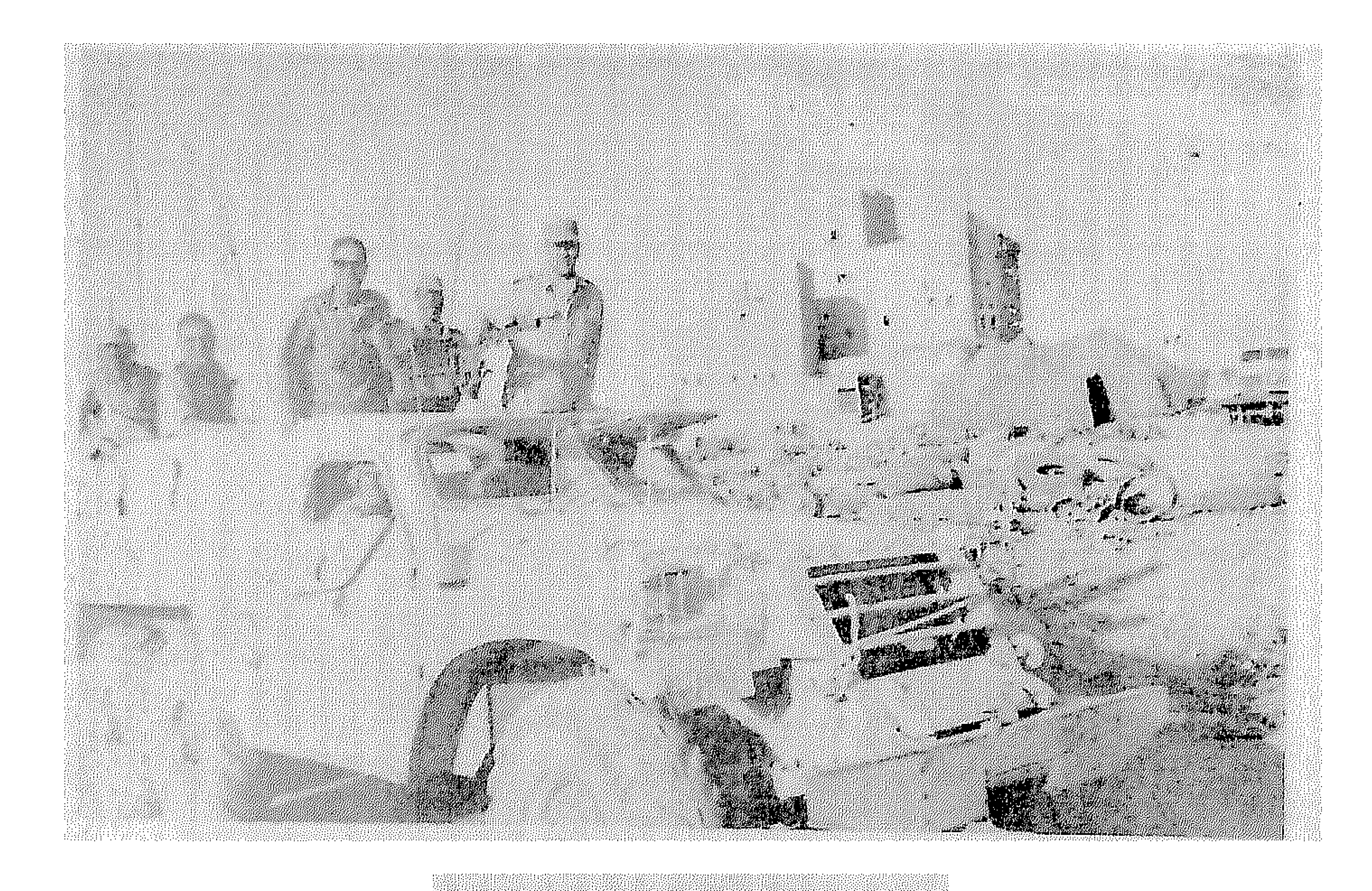
NAME AND RANK / NOM ET GRADE: COL SAAD EL SHAZLY

NATIONALITY / NATIONALITE	BORN / NE LE	HEIGHT / TAILLE	WEIGHT / POIDS	HAIR / CHEVEUX	EYES / YEUX	SCARS / CICATRICES
UAR	1922	174	170	BLACK	BROWN	NIL.

(SIGNATURE OF HOLDER)
(SIGNATURE DU PORTEUR)

(FOR THE SECRETARY-GENERAL)
(POUR LE SECRETAIRE GENERAL)

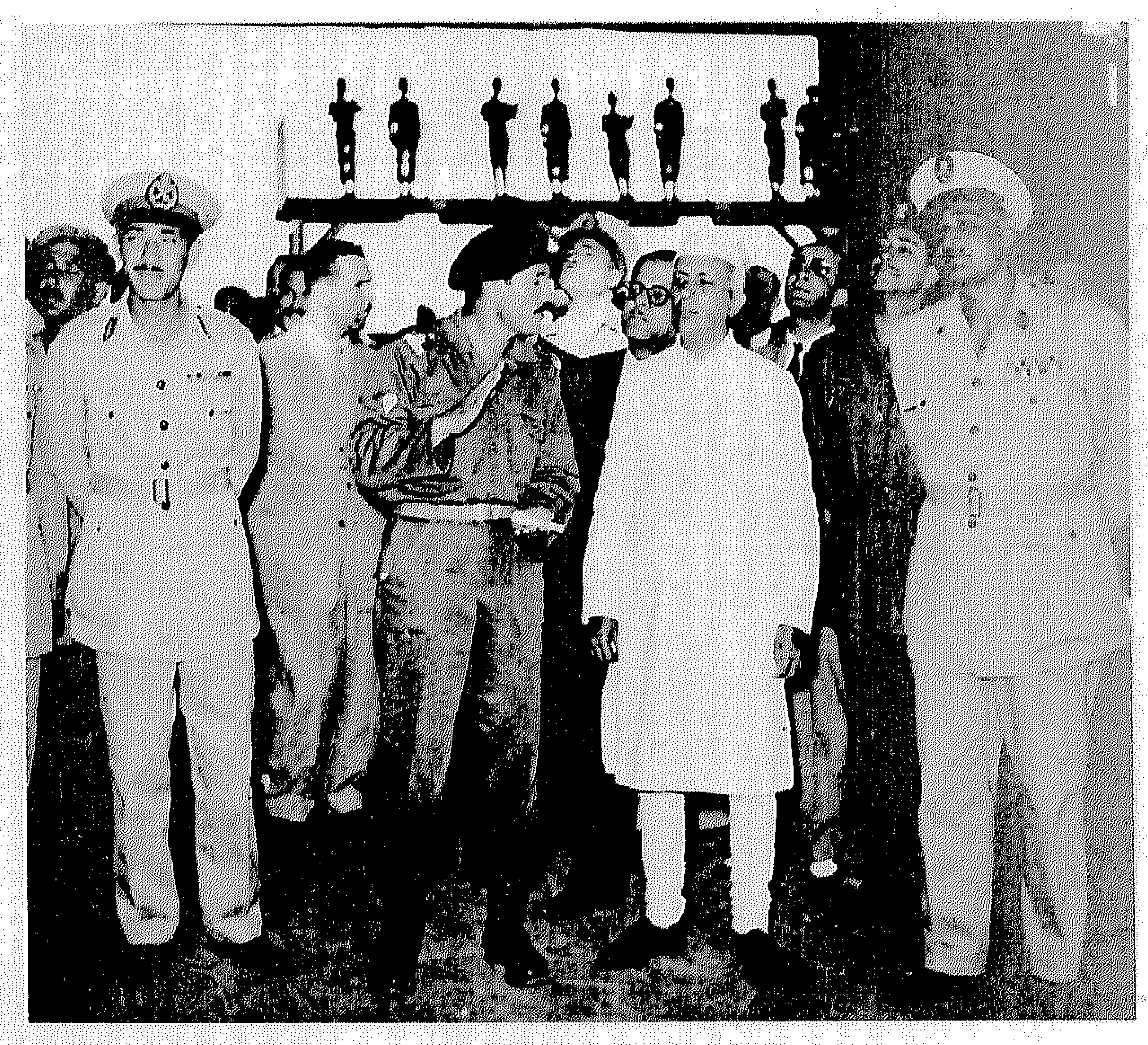
كارنيه خدمة الشاذلى ضمن قوات
حفظ السلام فى الكونغو



الشاذلى فى حرب اليمن 1964



الشاذلى برتبة اللواء



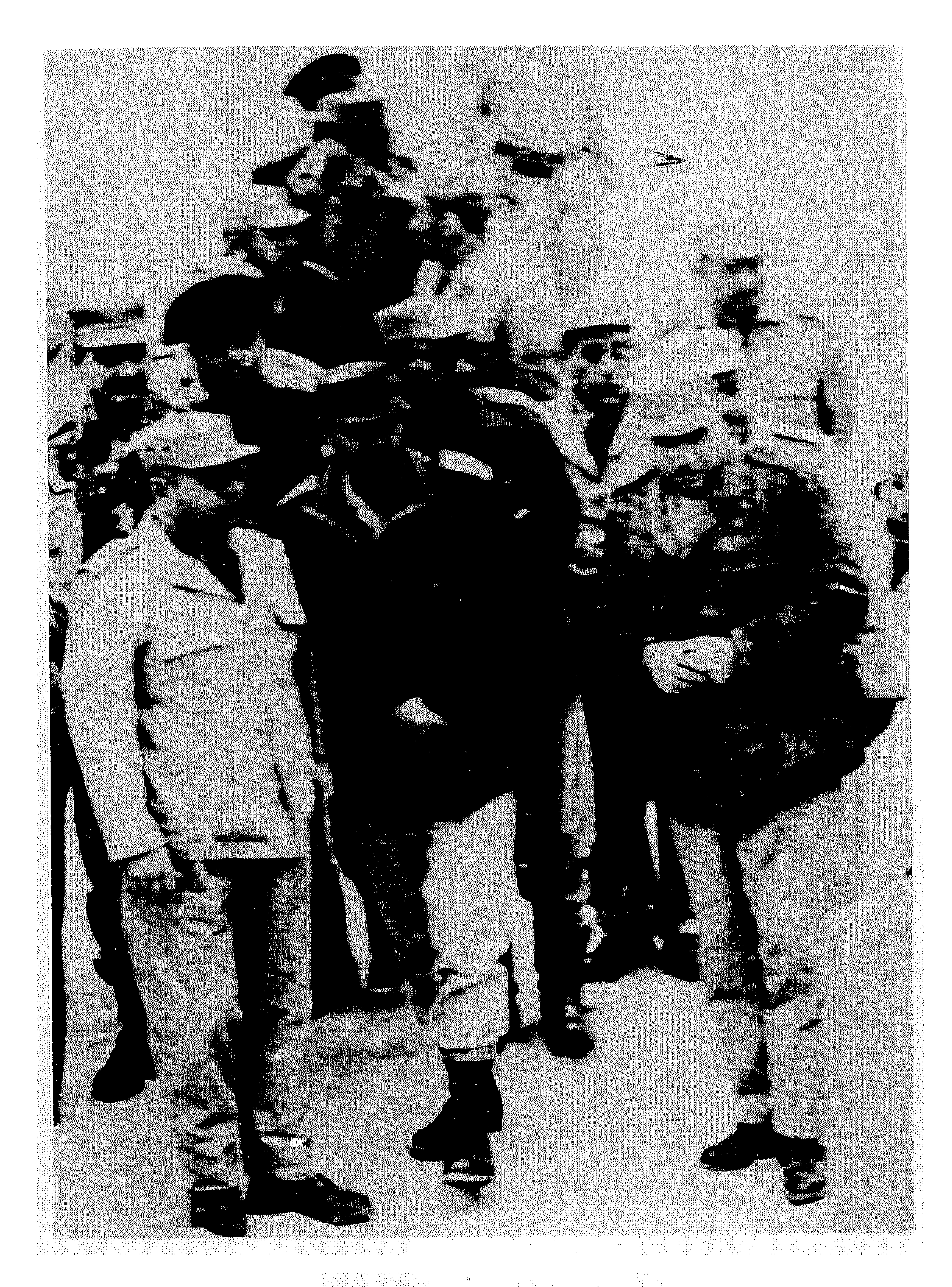
لقطة نادرة الشاذلى بين نهرو وعبد الحكيم عامر وفى الصورة ناصر



الشاذلى بين صادق والسادات فى اجتماع عام 71



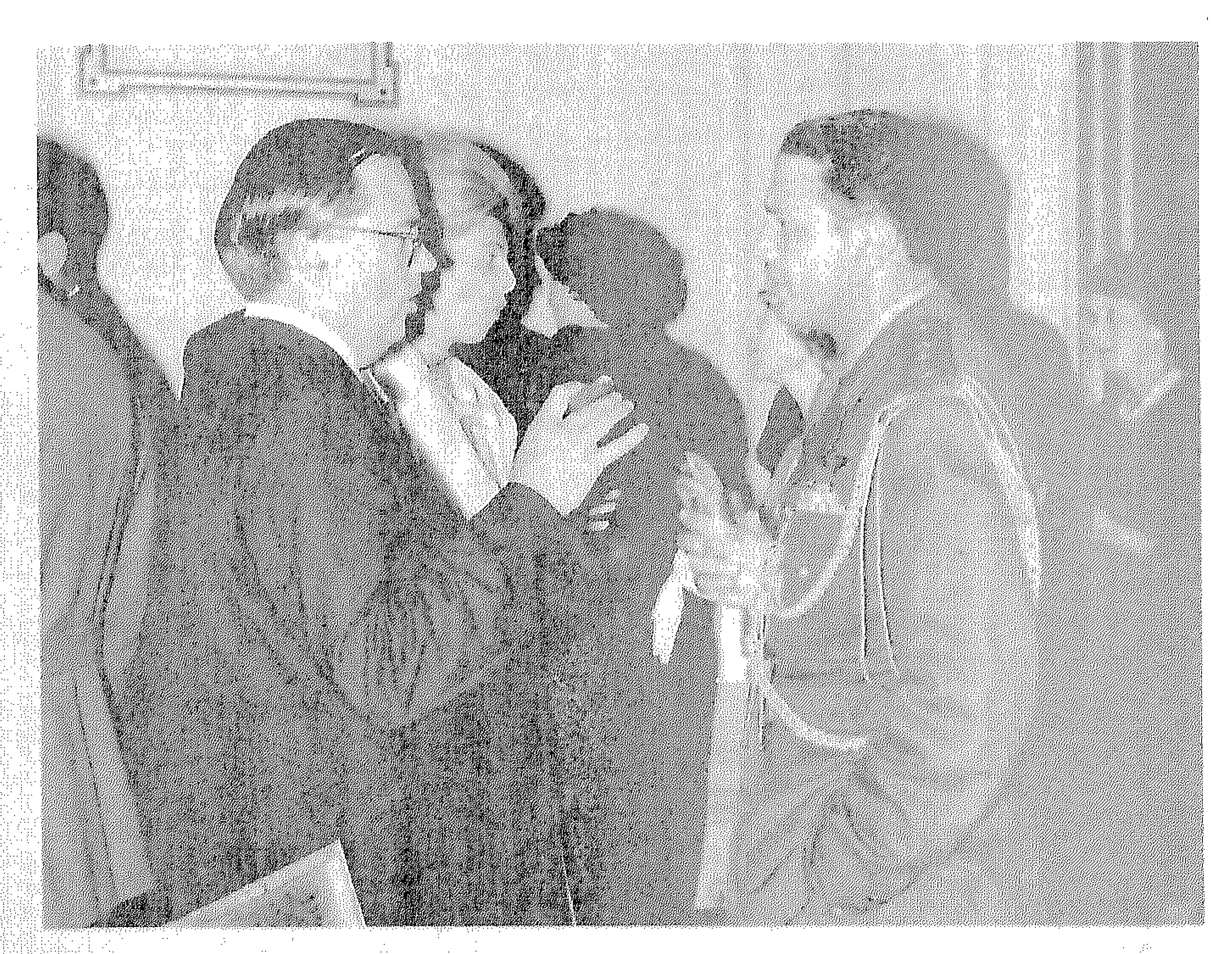
الشاذلى فى اجتماع رؤساء الاركان العرب عام 71



في ادارة المركبات عام 71



فى افتتاح المعهد الفنى عام 71



الشاذلى ملحقا حربيا فى لندن 62



مع الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى



مع الفريق صادق وزير الحربية



فى زيارة لاسيوط 1972



فى زيارة للشرطة العسكرية 1972



مع احمد اسماعيل وزير الحربية والرئيس السادات



فى مدرسة المظلات 71



مع الامير سلطان بن عبد العزيز ..



مع حمد بن راشد ال مكتوم 73



مع الفريق شنشل رئيس اركان حرب العراق عام 73



مدرسة ضباط الصف 72



مع وزير دفاع ألمانيا الديمقراطية عام 71



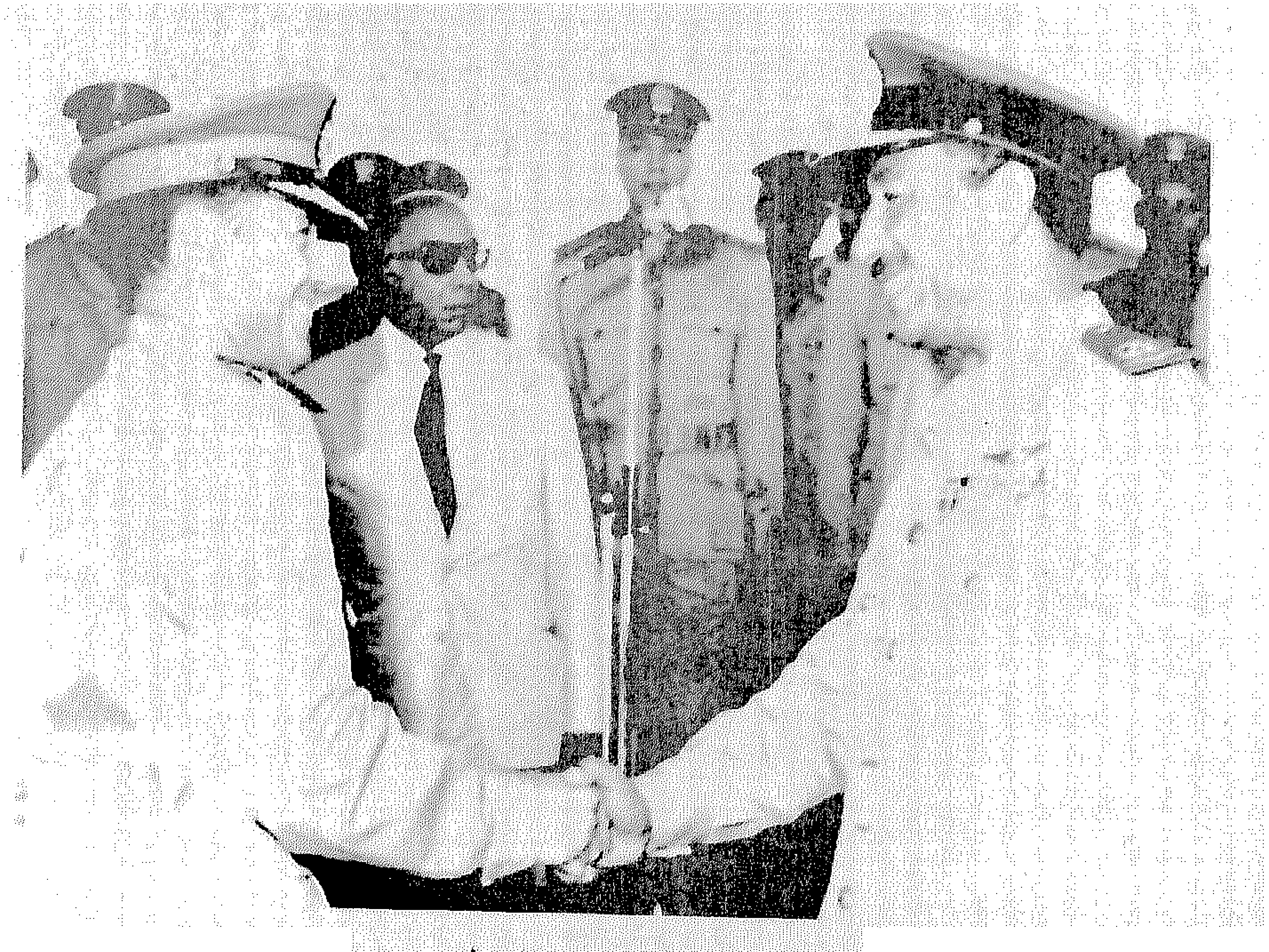
خلال احدى المناورات مع السادات



لقطة نادرة مع المشير احمد اسماعيل والصحفي محمد حسنين هيكل



حسنى مبارك خلف الفريق الشاذلى فى لقطة فريدة



الشاذلى والسادات قبل الحرب



فى زيارة للجبهة خلال الحرب



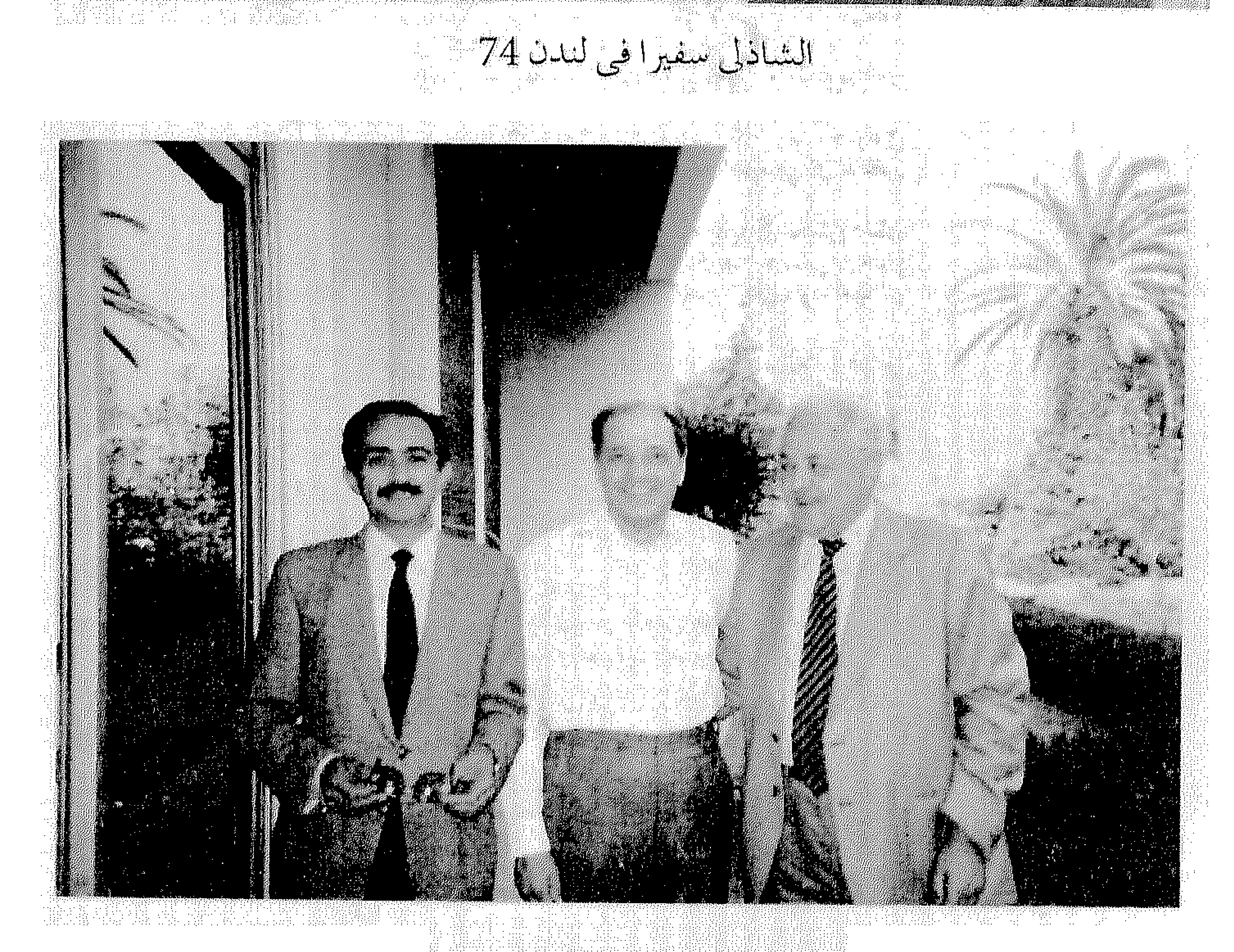
فى الجبهة اكتوبر 73



الشاذلى سفيرا فى لندن



الشاذلى سفيرا فى لندن 74



سعد الشاذلى فى الجزائر

نبضات

الفريق سعد الدين الشاذلي هو رئيس هيئة اركان حرب الجيش المصري في فترة حرب العبور سنة ١٩٧٣ . اشترك في الاعداد لها وفي تنفيذها . وهو الآن مقيد الحرية ينفذ حكما بالحبس لمدة ثلاث سنوات . فهل هذا معقول . وهل لذلك مثيل في اي دولة متحضرة تنتمي إلى العالم المتمدين .

رئيس اركان الحرب في اي دولة يتم اختياره من بين الصفوة ومن بين الكبار ومن بين الافذاذ . ولذلك فهو لا يعاقب لا باللوم ولا بالحبس . وليس من المقبول أو الجائز اهانته او التنكيل به . التصور الوحيد هو اعدامه إذا ارتكب جريمة الخيانة العظمى .

لم ينسب احد للشاذلي تهمة الخيانة العظمى . وانما نسب اليه نشر كتاب تضمن بعض الاسرار العسكرية دون إذن . مع العلم بان الكتاب كان ردا على وقائع نسبها له الرئيس الراحل أنور السادات متعلقة بثغرة الدفرسوار . واعتقد الفريق الشاذلي ان من حقه ان يصحح ما اعلنه السادات بشانه . واعتقد كذلك انه بعد انتهاء اي حرب ، يستحيل ان تظل احداثها غير معلومة فالتقدم العلمي والمتابعة العالمية تكشف أحداث الحرب واسرارها دقيقة بدقيقة . إذن لا يوجد في حرب ١٩٧٣ ما نخفيه على إسرائيل او على اي دولة أجنبية معادية او صديقة .

لا تثريب على القضاء العسكري فيما قضى به . فقد قدم اليه ملف الفريق الشاذلي كغيره من الضباط . ونسب اليه تهمة افشاء اسرار عسكرية . وطبقت المحكمة أحكام القانون فادانته .

إذن يقع اللوم على نظام الحكم الذي أهدر المكانة الرفيعة التي شغلها الشاذلي . واسقط من حسابه تاريخه الطويل في العسكرية المصرية ، والذي تتوجج بالاعداد لحرب ١٩٧٣ والاشتراك في تنفيذها .

ويقع اللوم ايضا على مجلس الشعب الذي لا يتحرك فورا لتعديل قانون القضاء العسكري . وذلك لكي يقصر اختصاصه على افراد القوات المسلحة العاملين فعلا . ويكون هذا الاختصاص قاصرا على الجرائم التي ترتكب اثناء الحرب او داخل ثكنات القوات المسلحة .

فلا محل لاستمرار العمل بمثل هذه القواعد التي تجيز محاكمة مواطن ترك الخدمة في القوات المسلحة ، عن كتاب نشره وتضمن بعض المعلومات التي اعتبرها الادعاء اسرارا . فالقضاء العسكري استثناء يجب حصره في اضيق نطاق . لان الاصل ان يحاكم المواطن امام قاضيه الطبيعي اي القاضي العادي .

يقال ان الفريق الشاذلي لا يقيم بالسجن ، وانما يقيم في مسكن داخل ثكنات الجيش . وانه مسموح لاهله بزيارته والاتصال به . وحتى لو صح ذلك ، فان الامر يظل محل نظر . لان ذلك يعني ان رئيس اركان حرب الجيش المصري السابق مقيد الحرية .

قد يجوز التغاضي عن التقديم إلى المحاكمة ، وعن المحاكمة الغيابية ذاتها . وقد يجوز التغاضي ايضا عن الاجراءات التي اتبعت فور عودة الفريق الشاذلي من الخارج ، وعن قرار وزير الدفاع برفض التماسه . ولكن الذي نعجب له هو عدم تحرك الجهة المختصة لاصدار قرار بالعفو الشامل الفوري عن الشاذلي ، لكي يعود فورا إلى منزله وسط اسرته .

قد يكره المسئول شخص الفريق الشاذلي . ولكن الامر لا يخضع للكره او للحب . فمن يجلس في موقع المسئولية ملزم بالسمو والترفع عن الزج بعواطفه في منطقة القرارات العامة .

الفريق الشاذلي ضابط شجاع وقادر على تحمل المشقة . ولن يموت او يصاب بالوهن ان هو امضى ثلاث سنوات مقيد الحرية . ولكنه سيخرج من السجن مجنيا عليه وشهيدا . فالراي العام يعتقد انه قد سجن بسبب كتاب الفه ، اي في قضية راي . والشعب سيظل يذكر الفريق سعد الدين الشاذلي على انه احد ابطال حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

ولهذا فانني اشفق على السجان وليس على السجين .

د. نعمان جمعة

مقال لنعمان جمعة في الوفد يطالب الافراج عن الشاذلي

حكم تاريخى للقضاء: الحكم العسكرى

أصدرت محكمة جنوب القاهرة الابتدائية -الدائرة الأولى- برئاسة إسماعيل الزيادى رئيس المحكمة وعضوية القاضيين: أسامة فتحى حسن، ورضا فريد كيرلس- حكماً تاريخياً أول يونيو الجارى فى الاستئناف المرفوع من الأستاذ عبد الحليم رمضان المحامى بصفته الشخصية فى الحكم الصادر من محكمة الأمور المستعجلة بعدم الاختصاص فى الإشكال المرفوع بوقف تنفيذ الحكم العسكرى الصادر غيابياً ضد الفريق متقاعد سعد الدين الشاذلى بمعاقبته بالأشغال الشاقة ثلاث سنوات، لنشر مذكراته عن حرب أكتوبر دون إذن كتابى من السلطات العسكرية المختصة، وذلك على النحو الذى أشرنا إليه بإيجاز فى العدد الماضى.



الفريق ا

تعطيل المثول أمام القاضى الطبيعى يحرم المواطن من الضمانات التى يكفلها القانون

ونظراً لما تضمنه هذا الحكم من مبادىء قانونية ذات أهمية وخطورة لا تقتصر على قضية الفريق سعد الشاذلى رغم مساسها بحرية قائد عسكرى له دوره البطولى المشهود به من الجميع فى حرب أكتوبر فى تهمة متداعية تتعلق بالدفاع عن شرفه العسكرى، رداً على من حاول المساس به بعد أن لم يعد لهذه الحرب أسرار، بل تشتد أهمية الإحاطة بهذه المبادىء القانونية، والعمل بها، إلى تقويم الكثير من الأوضاع الخاطئة الجارية بالمخالفة لأحكام الدستور والقانون... فقد رأينا أن نورد هنا المبادىء التى أوردها الحكم بنصها وأسانيدها للاستفادة بها، وحتى لا يتصور من طالعوا الصحف الحكومية -التى اقتصرت على نشر ما انتهى إليه الحكم من عدم قبول الاستئناف- أنها أقرت بصحة الحكم العسكرى المطعون فى تنفيذه، حيث إنه على العكس من ذلك، قرر -وهو فى سبيل استعراض وضع الحكم العسكرى المطلوب إيقاف تنفيذه- أن هذا الحكم منعدم، لصدوره من محكمة لا تملك إصداره، غير أن المحكمة رأت أن المحكمة المختصة بالنظر فى شأنه هى محكمة أمن الدولة العليا، صاحبة الولاية بالحكم فى القضية المحكوم فيها ممن لا اختصاص لهم بها.

تفصيلات الحكم

وفيما يلى بيان هذه المبادىء الواردة فى الحكم بنصها وأسانيدها:

المبدأ الأول - خضوع كافة سلطات الدولة بما فى ذلك القضاء العسكرى لأحكام الدستور والقانون فى ظل الرقابة القضائية.

قرر الحكم "إن قانون الأحكام العسكرية رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٦، وإن كان قانوناً استثنائياً ذا طبيعة خاصة، إلا أنه ليس بالنظام المطلق، بل هو نظام خاضع للقانون، أبان المشرع أصوله وأحكامه ورسم حدوده وضوابطه، فوجب أن يكون إجراؤه على مقتضى هذه الأصول والأحكام وفى نطاق تلك الحدود والضوابط، وإلا كان ما يتخذ متجاوزاً هذه الحدود، أو منحرفاً عنها عملاً مخالفاً للقانون، تنبسط عليه الرقابة القضائية فى صورها المختلفة، إذ إن كل نظام أرسى الدستور أساسه ووضع القانون قواعده، نظام يخضع - ولو كان نظاماً استثنائياً - لمبدأ سيادة القانون، ومن ثم لرقابة

قانون العقوبات.

٢-الجرائم....

فاختصاص محاكم أمن الدولة العليا -طبقاً لهذا القانون- قد حدد بنوع معين من الجرائم، ومقتضى ذلك أن هذه المحاكم قد سلبت اختصاص القضاء الجنائى العادى ذى الولاية العامة، "وكذلك أية محاكم أخرى، ولو كانت خاصة أو استثنائية- بنظر هذه النوعية من الجرائم.

ونصت المادة الخامسة من القانون المشار إليه على أنه: "فيما عدا ما نص عليه هذا القانون تتبع الإجراءات والأحكام المقررة بقانون الإجراءات الجنائية، والقانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٥٩ فى شأن حالات وإجراءات الطعن أمام محكمة النقض فى المواد الجزائية، وقانون المرافعات المدنية والتجارية".

أما عن سلطة الاتهام والتحقيق فى الجرائم التى تدخل فى اختصاص محاكم أمن الدولة، فقد أوضحتها المادة السابعة بقولها: "تختص النيابة العامة بالاتهام والتحقيق فى الجرائم التى تدخل فى اختصاص محاكم أمن الدولة وفقاً للقواعد والإجراءات المنصوص عليها فى قانون الإجراءات الجنائية..."، وكذلك نصت الفقرة الثانية من المادة الثانية من

العسكرى، أو النيابة العسكرية" إلى محاكم أمن الدولة العليا وحدها. وآية ذلك أن لفظ "الجرائم" الوارد فى صلب الفقرة الأولى من المادة الثالثة من القانون ١٠٥ لسنة ١٩٨٠ جاء مطلقاً شاملاً، بحيث ينصرف إلى أى جريمة من الجرائم المشار إليها فى ذات الفقرة، ولو اتصلت بالأمن العسكرى للبلاد، كما أن عبارة "دون غيرها" المنصوص عليها فى الفقرة ذاتها وردت كذلك بصفة عامة مطلقة واضحة الدلالة فى نفى مشاركة أية جهة -بما فى ذلك المحاكم العسكرية- لمحاكم أمن الدولة العليا فى هذا الاختصاص، وبذلك يكون المشرع قد كشف عن حقيقة مراده فى إسقاط ما كان مخولاً -قبل صدور قانون إنشاء محاكم أمن الدولة- لجهة القضاء العسكرى من اختصاص فى الجرائم المشار إليها سواء بمقتضى قانون الأحكام العسكرية، أو أى قانون آخر سابق على صدور القانون ١٠٥ لسنة ١٩٨٠، ولو كان المتهم فيها من العسكريين، ويؤيد هذا المعنى ويؤكده ما ورد بنص المادة ٢/٢ من ذلك القانون من جواز أن يُضم إلى تشكيل محكمة أمن الدولة العليا عضوان من ضباط القوات المسلحة القضاة بالقضاء العسكرى. هذا وقد جاء نص المادة الثانية من مواد

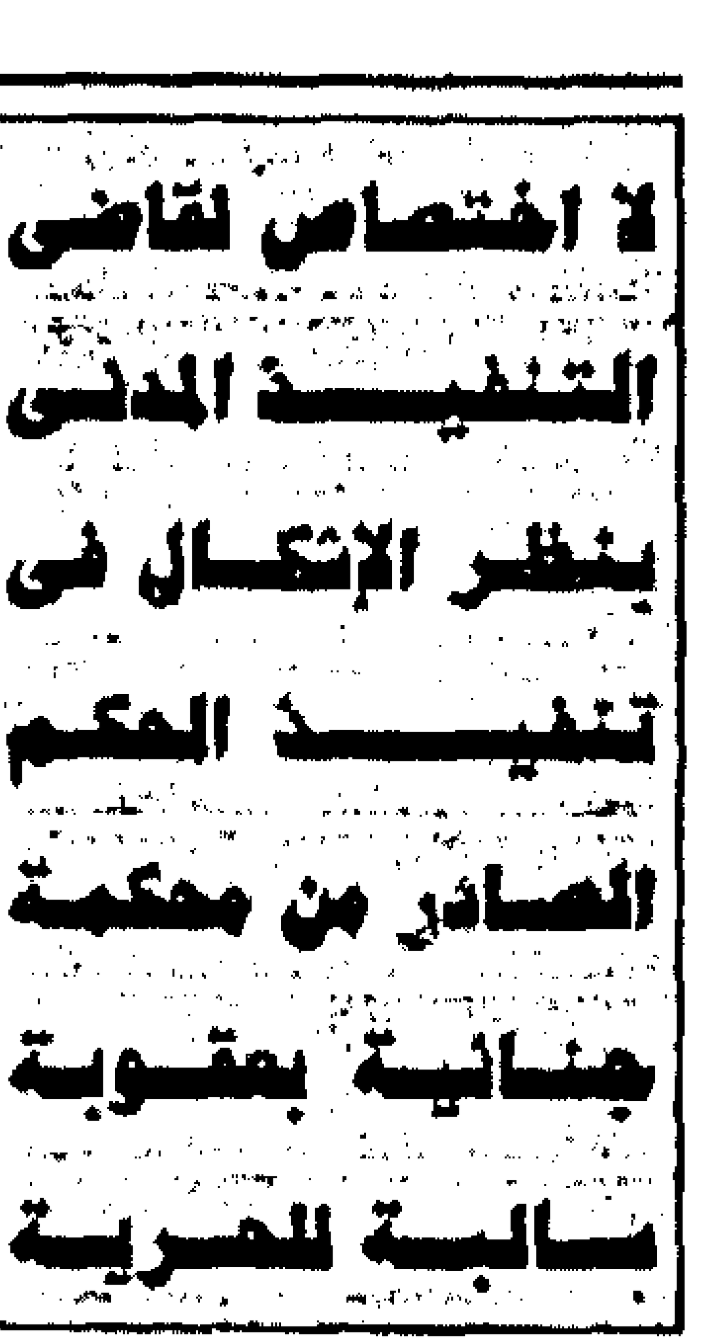
عمل بعد نفاذ القانون الجديد، ولو كانت الدعوى قد رفعت إليها بالفعل طالما أنها لم تنته بحكم بات (محكمة النقض - ٢٨/١١/١٩٦٦ س١١ رقم ١٦١ و٦/٢/١٩٨٠ س ٣١ رقم ٤٠).

الشاذلى وأمن الدولة

لما كان ذلك، وكان البادى- من ظاهر الحكم رقم ٢ لسنة ١٩٨٣ عسكرية عليا- أن الوقائع المسندة إلى الفريق "متقاعد" سعد الدين الشاذلى -رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣- بأنه أذاع أخباراً وبيانات عن القوات المسلحة المصرية "دون إذن كتابى" من السلطات العسكرية المختصة، قد اتخذت الإجراءات بشأنها "فى غيبته" بعد صدور القانون ١٠٥ لسنة ١٩٨٠ وهى المؤثمة بالمواد أرقام ٨٠، ٨٥، ٨٥(أ)، المندرجة ضمن مواد الباب الأول من قانون العقوبات (الجنايات والجنح المضرة بأمن الحكومة من جهة الخارج)، والتى خص القانون ١٠٥ لسنة ١٩٨٠ محاكم أمن الدولة العليا دون غيرها بنظرها، فإنه ما كان يجوز للمحكمة العسكرية أن تقضى فى دعوى الفريق سعد الدين الشاذلى -وبالرغم من أن ظاهر الحال لا يقطع بتوافر صفته العسكرية وقت حصول تلك الإجراءات-

الصادر ضد الفريق الشاذلى.. باطل

"النيابة العسكرية خالفت القانون بتحريكها للدعوى الجنائية"


لا اختصاص لقاضى التنفيذ المدنى بنظر الإشكال فى تنفيذ الحكم الصادر من محكمة جنائية بعقوبة سالبة للحرية

شاذلى

لاختصاص الولائى- يترتب عليه بطلان لحكم الصادر من محكمة غير مختصة، وليس من شأنه أن يجعل الحكم منعدماً، ذلك أن اختصاص المحكمة بالفصل فى لدعوى الجنائية شرط لصحة الحكم لا لوجوده القانونى (نقض جنائى -الطعن ٢١٧٩ سنة ٥٠ فى جلسة ١٩٨١/٢/٤)، فإنه من المقرر أيضاً وجوب تحريك لدعوى الجنائية ودخولها فى حوزة لمحكمة وفقاً للإجراءات التى رسمها لقانون. فإذا مارفعت الدعوى الجنائية ممن لا يملك رفعها قانوناً، فإن الأمر فى هذه الحالة يمتد إلى الحكم ذاته من حيث وجوده القانونى، لا بشرط من شروط صحته. فإذا تصدت المحكمة لنظر الدعوى المرفوعة إليها بغير الطريق الذى أوجبه القانون لرفعها، ولم تقف بقضائها عند الحكم بعدم القبول -تفاذاً لصحيح القانون- فإن حكمها يعد -حينئذ- منعدماً. ذلك أنه لا عقوبة بغير دعوى جنائية مقامة بالطريق القانونى المرسوم لرفعها. فإذا لم تحرك الدعوى الجنائية بالطريق الذى أوجبه القانون، فإنها لا تتصل بداهة بالمحكمة -ولو كانت مختصة بنظرها- وليس لها أن تبحث موضوعها، فإن هى جاوزت ذلك وتصدت لنظر الموضوع، كان حكمها -وما بنى عليه- معدوم الأثر. (نقض

فعل فى الخارج إلا من النيابة العامة». وقد جاء النص من العموم والإطلاق بحيث يخضع أية جرائم، سواء اتصلت بالنشاط العسكرى، أو كانت منقطعة الصلة بهذا النشاط.

ومؤدى هذين النصين أن المشرع رسم طريقاً لرفع الدعوى الجنائية -فى النطاق المحدد بهما- ليكون بواسطة النيابة العامة وحدها، ولو رفعت إلى محكمة مختصة بنظرها، وعلى ذلك تكون النيابة العسكرية، إذ هى حركت الدعوى الجنائية ضد الفريق الشاذلى عن أفعال وقعت بالخارج -معتبرة جناية يختص بنظرها محاكم أمن الدولة العليا- فإنها تكون قد خالفت النصين المتقدمين وتجاوزتهما معاً. ويغبنى لعلها -عندئذ- منعدماً وما انبنى عليه وهو الحكم المستشكل فيه، وما ترتب عليه من تنفيذ. ذلك أن الدعوى الجنائية تكون قد سعت إلى المحكمة عن غير طريقها القانونى.. فقاعدة حصر سلطة تحريك الدعوى العمومية فى يد النيابة العامة وحدها فى الأحوال المتقدمة يعد مبدأ يلزم الكافة، فإن تجاوزته سلطة الاتهام، كان لزاماً على المحكمة أن تقضى بعدم القبول لرفعها بغير الطريق القانونى.

متى كان ذلك، وكان مبنى انعدام الحكم

تحريكها من غير النيابة العامة هو «عدم القبول»، وليس «عدم الاختصاص»، إذ لا تكون الدعوى فى هذه الحالة قد اتصلت بالمحكمة اتصالاً مطابقاً للأوضاع المقررة قانوناً.

المبدأ الرابع- تعطيل المثول أمام القاضى الطبيعى يحرم المواطن من الضمانات التى يكفلها القانون.

وحيث إن الدستور القائم قد أفرد الباب الثالث منه «للحريات والحقوق العامة»، وصدّر هذا الباب بالنص فى المادة ٤٠ منه على أن: «المواطنون لدى القانون سواء»، فكان الحق فى المساواة أمام القانون هو أول مانص عليه الدستور فى الباب الخاص بالحريات والحقوق العامة، وجاء فى الصدارة منها باعتبار أن هذا الحق هو أساس العدل والحرية والسلام الاجتماعى، وعلى تقدير أن الغاية التى يستهدفها تتمثل أصلاً فى مواجهة صور التمييز التى تنال منها أو تقيد ممارستها، وأضحى بذلك هذا المبدأ فى جوهره وسيلة لتقرير الحماية القانونية المتكافئة. (حكم المحكمة الدستورية فى القضية رقم ٢٧ لسنة ٩ قضائية).

محاكمة بلا ضمانات

وحيث إن الدستور نص فى المادة ٦٨ منه -التى وردت فى الباب الخاص بسيادة القانون- على أن «التقاضى حق مصون ومكفول للناس كافة، ولكل مواطن حق

-وبحسب الظاهر- انعدامه. والأمر هنا ليس فيه مساس بحجية حكم، ذلك أن الحكم المنعدم ليس له وجود قانونى، وبالتالى لا حجية له. ولا وجه للتحدى فى هذا الخصوص بالمادة ١١٧ من قانون الأحكام العسكرية التى جرى نصها على أنه: «لا يجوز الطعن -بأى وجه من الوجوه- فى الأحكام الصادرة من المحاكم العسكرية- أمام أية هيئة قانونية أو إدارية، على خلاف ما نصت عليه أحكام هذا القانون»، إذ أن ذلك مردود بأن الحظر الوارد فى المادة المشار إليها مجاله الحكم العسكرى المستكمل لأركانه، ولو كان باطلاً، أما إذا شاب الحكم عيباً أفقده كل قيمة فى نظر القانون، أى جرده من مدلول الحكم، وإن اتخذ مظهره، فلا تكون بصدد حكم، ومن ثم لا يستطيل إليه الحظر المذكور.

عدم الاختصاص

المبدأ الخامس- لا اختصاص لقاضى التنفيذ المدنى بنظر الإشكال فى الأحكام الجنائية السالبة للحرية، وإنما يختص به القضاء الجنائى:

ولما كان المقرر قانوناً أنه لا اختصاص لقاضى التنفيذ المدنى بنظر الإشكال فى تنفيذ الحكم الصادر من محكمة جنائية بعقوبة سالبة للحرية، ولو كان الحكم المستشكل فى تنفيذه منعدماً، ذلك أن للقضاء الجنائى اختصاصاً مستقلاً عن

زيارة فى الفجر.. للفريق الشاذلى

بعد صدور حكم محكمة جنوب القاهرة فى استئناف رفض الإشكال المقدم من الأستاذ عبد الحليم رمضان المحامى، فى الحكم العسكرى الصادر غيابياً بالأشغال الشاقة ٣ سنوات على الفريق سعد الشاذلى، قامت مجموعة من المسئولين بالقضاء العسكرى بزيارة مفاجئة -بعد منتصف الليل- للفريق الشاذلى فى سجنه الحربى، الذى نقل إليه بعد مانشرته جريدة «الشعب» بعنوان «أين الفريق سعد الشاذلى؟». وحضر المقابلة مدير السجن، وجلال الديب المحامى- الذى كان أحد رجال القضاء العسكرى سابقاً -وهو الذى سبق للفريق الشاذلى أن ألغى توكيله بعد رفض الالتماس بطلب إعادة محاكمته عند حضوره من الخارج.

وحاول الحاضرون إقناع الفريق الشاذلى بتقديم التماس إلى رئيس الجمهورية للعفو عنه، إلا أنه رفض كتابة هذا الالتماس باعتباره ماساً بكرامته، واعترافاً من جانبه بصحة الاتهام السابق توجيهه ضده، والعقوبة الصادرة بحقه.

وانتهت الزيارة دون تحقيق الغرض منها.

جريدة الشعب حكم تاريخى للقضاء سجن الشاذلى باطل



الشاذلي خلال الايام الاخيرة



شهدان وناهد وسامية بنات الشاذلي خلال العزاء



شهدان الشاذلى تتحدث الى المؤلف مارس 2011

هذا الكتاب يفتح نوافذ جديدة على حياة بطل مصرى عظيم كان له الدور الأكبر في حرب أكتوبر، هو الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى أكتوبر ١٩٧٣م.

يتتبع المؤلف حياة الرجل منذ مولده فى قرية شبراتنا بمحافظة الغربية، مرورا بدراسته فى الكلية الحربية، واختياره في الحرس الملكى، ثم مشاركته فى حرب فلسطين، وعلاقته بعبد الناصر، وحتى دوره العظيم فى حرب أكتوبر. كما يعرض الكتاب - مستعينا بوثائق وشهادات ومذكرات - قصة الخلاف بين الشاذلى والسادات، ومرحلة عمله سفيرا، ثم تأسيسه جبهة الصمود والرفض، ومحاكمته وسجنه فى واحدة من أظلم محاكمات الأبطال.

إنها لمحات من حياة عسكرى أبيض قدم لمصر حياته، وظلمه الحكام والإعلام، ولكن آن أوان شمس الحقيقة أن تسطع بعد أن سطر المصريون أروع ثورة حرية.



الرواق للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف أحمد مراد